مُحسن أحمَد العيني

مَعَارك وَمُؤامَرات ضد قضيَة اليَمَن

دار الشروق

مَعارك وَمُؤامَرات
ضـد
قضيّة اليمَن

طبعة دار الشروق الأولى
١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

مقدمة الطبعة الثانية

* هذا كتاب أو كتيب صدر عام 1957م أي قبل اثنين وأربعين عامًا ، ولم يكن من السهل أن يوزع في سوريا حيث طبع ، ولا في مصر حيث كنت أقيم وأدرس . ولا في اليمن طبعًا .

وقد أرسلت منه أعدادًا إلى بعض مراكز اليمنيين المغتربين في السودان وأثيوبيا وبريطانيا وفرنسا وكميات كبيرة إلى عدن . وتسربت أعداد منها إلى مدن الشمال .

* رحب به بحرارة الأستاذ سلامة موسى في يومياته في الصفحة الأخيرة من جريدة الأخبار . .

وكنت أعارض إعادة طبعه ؛ لأني اعتبرته مجرد منشور سياسي .

* لكن كثيرين ـ وفي مقدمتهم الصديق الأستاذ/ أحمد جابر عفيف ، الذي تفضل بالإشراف والتحضير والإعداد ـ ألحّوا على إعادة الطبع ، وحجتهم أن قليلين اطلعوا عليه حين صدوره ، وأن كثيرين يتوقون لمعرفة ما كان يدور في الخمسينيات الملتهبة . . وأن الماضي هو أساس الحاضر ، وأن من حق الجيل بل الأجيال أن تعرف .

* وحتى يكون الكتاب أو الكتيب مفهومًا . . لابد من مرور عابر على الخلفية ، على قاعدة الانطلاق ، على الظروف التي ساقتنا إلى كتابته . .

* وهي ظروف لم تكن ظروفنا الشخصية ، أو الخاصة . . بل كانت ظروف اليمن والحكم ، والمعارضة ، وأجواء التحركات والأحداث . .

* * *

* شاركت اليمن في تأسيس جامعة الدول العربية ، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وكان ذلك أبرز حضور دولي لها ، وأول خروج من العزلة ، واحتكاك لرجالها بالعالم الحديث .

* وقد تعرض بعض المسئولين فيها لضغوط من بعض الشخصيات العربية ، ومن الحركة الوطنية اليمنية الوليدة ، التي مثلها اليمنيون الأحرار في عدن . .

* فكان خروج البعثة المكونة من أربعين طالبًا إلى لبنان ، التي انتقلت إلى مصر بعد عام أو أكثر قليلاً ، إثر فشل الحركة الدستورية عام 1948م .

* وبثورة مصر عام 1952م ، انتعشت من جديد حركة اليمنيين الأحرار ، بعد وصول الأستاذ محمد محمود الزبيري من منفاه البعيد في باكستان ، وتأسيس الاتحاد اليمني ، وتوجيه الأحاديث إلى الشعب من إذاعة صوت العرب ، وصدور صحيفة « صوت اليمن » .

* وقد التف الطلاب حول الزبيري والاتحاد ، وخاصة بعد التحاق عدد منهم بالجامعة . .

* وإلى جانب مكتب الاتحاد في شارع النيل بالقاهرة ، استؤجرت شقة في المنيل وتعددت اللقاءات والاجتماعات والإعداد والتدريب [1]، تمهيدًا لقيام مجموعة من الطلاب بزيارة اليمن لقضاء إجازة الصيف ، وإجراء الاتصالات بالعديد من الشخصيات الوطنية .

* وقد وصلنا تعز ، واستقبلنا الإمام أحمد في قصر صالة ، ثم انتقلنا معه إلى صنعاء حيث وصلها لاستقبال ضيفه الملك سعود في زيارته الرسمية لليمن .

* وبعد يومين أو ثلاثة ، استدعيت في منتصف الليل لمقابلة الإمام في « بستان الخير » بحضور ابنه البدر ، والسفير عبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب ممثل الإمام بالقاهرة .

---

(1) انظر كتاب فتحي الديب : عبدالناصر وحركة التحرر اليمني ، ص 54 .

وقد أمر الإمام بسفري صباح اليوم التالي مع الزميل محمد أحمد الرعدي ، مرافقين لابنه البدر في زيارته للقاهرة وحضور أعياد ثورة يوليو المصرية .

*حاولت الاعتذار بحجة رغبتي في زيارة أهلي وقريتي بعد غياب سبع سنوات، ولكن دون جدوى .

* وفي الصباح ، وفي مطار صنعاء ، كان سيف الإسلام عبد الله وزير المعارف العتيد ، والذي كان له الفضل في إرسال البعثة إلى لبنان فمصر ، ضمن المودعين للبدر ، وعندما صافحناه . . قال ، معاتبًا : « هكذا . . مع البدر . . » فقلنا له : «إنها أوامر صاحب الجلالة . . » .

* وهكذا وجدنا أنفسنا ، في المساء ، في « المحروسة » السفينة الخاصة بالملك فاروق ، التي ألحقت بفندق سميراميس ، حيث نزل البدر ضيفًا على الحكومة المصرية . .

* فوجئ الأستاذ الزبيري بعودتنا ، وفسرها بأن الإمام، ربما ارتاب ، أو عرف ببعض الاتصالات التي أجريناها فور وصولنا في تعز أو صنعاء . . ورغب في إعادتنا إلى القاهرة ، ومرافقتنا لابنه البدر ، سيراً مع توجه الأحرار للمناداة بالبدر وليا للعهد ، وتقربًا من القاهرة ، أو تظاهراً بالتقارب .

* وطالت زيارة البدر لمصر ، وعندما حان موعد عودته إلى اليمن ، كانت إجازتنا الصيفية على وشك الانتهاء ، ولكن الأستاذ الزبيري رأى أن من المفيد أن نواصل مرافقة البدر إلى اليمن . . وبما أننا في كلية الحقوق ، فيمكن أخذ كتبنا معنا، والحضور إلى القاهرة في موعد الامتحانات .

وعدنا مع البدر (2)، ومعنا بعثة عسكرية مصرية برئاسة البكباشي أحمد كمال أبو الفتوح .

* وفي مطار الحديدة الترابي ، طمرت الرمال عجلات الطائرة ، وتعذرت حركتها ، وخرجت جماهير الحديدة تحاول رفعها وشدها بالحبال . . دون جدوى . .

---

(2) انظر كتاب فتحي الديب: عبدالناصر وحركة التحرير اليمني. ص 53.

* وتعثرت هناك حتى جاءت طائرة مصرية أخرى برافعات ، وبصعوبة أنقذتها . .

* أمضينا شهوراً بين صنعاء وتعز ، وطال مقامنا في الحديدة في دار الضيافة المطلة على البحر . . والتقينا فيها بمن خرجوا من سجون حجة ، الأستاذ أحمد محمد نعمان والسيد أحمد الشامي والأستاذ إبراهيم الحضراني وغيرهم . وكانت أمسيات ممتعة . . أدب ، وفلسفة، وسياسة ، . . . . ، وأحلام وكوابيس . .

* كنت بعد « اليُقلمة» وهتاف الجنود عند الغروب « اللّه يحفظ الإمام » وصوت النفير ، أشعر بالحزن والضياع والكآبة . . وعند ابتلاع البحر لقرص الشمس ، أرتعب وأخاف ألا تظهر الشمس مرة أخرى . .

* في فبراير 1955م حضرنا الاحتفال في الحديدة بعيد النصر . . انتصار الإمام أحمد على أحرار 1948م ، وقد وقف السيد علي عقبات خطيب اليمن المفوه ، وصال وجال ، ولعل مظهري وزميلي محمد الرعدي ، بثيابنا الغربية ، ورءوسنا المكشوفة ، استفزه ، فنسي نفسه ، واسترسل في الهجوم على هؤلاء القادمين من مصر ، المتأثرين بنجيب وعبد الناصر ، المغرمين بالأفكار الثورية الخطيرة . . الذين يريدون أن يأكلوا «با لخاشوقة» . . الشوكة والسكين . . الذين لا يحترمون تقاليد اليمن . . . إلخ . .

* ولم يكن أمامى إلا أن أندفع إلى الميكرفون ، وأسحبه ، وأرد بعنف على هذيان هذه « العقبات » الكأداء التي تقف في طريق الشعب ، وإننا فعلاً نأكل بالخاشوقة ، ونرجو أن يأتي اليوم الذي يأكل فيه كل اليمنيين بالشوكة والسكين ، وأن يكشفوا رءوسهم للهواء والسماء والشمس . وأن يستروا بدلاً من رءوسهم . . أقدامهم الحافية العارية . . فهي التي تلامس المكروب والشوك . .

* وقلت في ختام كلمتي الطويلة . . إن الحكومة هى التي أرسلت البعثة للدراسة في الخارج ، وإن الإمام يحاول تشجيع التعليم والتحديث . . ولكن هذه العقبات . . وهذه العقليات . . هي التي تحاول وقف التطور . ودخول اليمن العصر الحديث . .

* وقد اختل النظام ، وتدافع الناس ، وانتهى الحفل ، وكان نائب الإمام في الحديدة هو السيد محمد أحمد باشا رحمه الله وأكرم مثواه ، فقد منع تسرب أي خبر عن الحفل وما جرى فيه ، وحاول حصر الموضوع وتطويقه ، حمايةً لنا ، ولكن في المساء . . وصلت برقية من الإمام لابنه البدر . . « هل بلغتك خطبة العيني . . ؟» وكان جواب البدر « بلغتني . . وجُلها ثناءٌ عليكم . . » .

* وصدرت الأوامر بترحيلنا فوراً إلى القاهرة .

* لم يكن هناك خط طيران منتظم بين اليمن ومصر إلا عن طريق عدن ، ولكن الإمام عارض مرورنا بعدن بعد أن نشرت بعض الصحف ما جرى في احتفال عيد النصر بالحديدة ، وكلمة عقبات وردي عليها ، وأمر بأن ننتقل إلى الصليف ومنها إلى جزيرة كمران ، وكلف الشيخ علي محمد الجبلي وكيله في عدن ، أن يرتب سفرنا إلى القاهرة على الخطوط البريطانية BOAC التي تتوقف أحيانا في كمران .

* وهكذا سافرنا إلى الصليف ، حيث نزلنا في ضيافة عاملها الشاب المهذب السيد أحمد حميد الدين الذي أكرمنا ورعانا ، والذي كان يربي في بيته «عرجًا» صغيراً ويحاول رعايته ومداعبته عسى أن يصبح أليفًا . .

* وحينما حان موعد مرور الطائرة البريطانية بجزيرة كمران التي لا تبعد عن الصليف إلا نحو ميل ونصف ، انتقلنا إلى الجزيرة ، ونزلنا في استراحة شركة ملح الصليف ، وكانت مهجورة ، والحشرات والزواحف تسرح وتمرح فيها . . وكنت أنا والزميل الرعدي نتناوب النوم والحراسة .

* ولم يكن بالجزيرة إلا بعض الصيادين ، وبريطاني واحد هو ممثل حكومة صاحبة الجلالة ، وممثل شركة الطيران . . وهو كل شيء . . وكانت الطائرة لا تتوقف في كمران إلا من أجله إذا كانت له مراسلات أو طلبات .

وعندما مرت أيام دون توقفها . . هددنا بأننا سنرفع عليه قضية ونطالبه بالتعويض إذا تخلفنا عن موعد الامتحانات في القاهرة ، فاتصل بالطائرة وحطت في الجزيرة وحملتنا معها إلى عدن فالقاهرة . .

وكان وصولنا في الوقت المناسب للاستعداد ودخول امتحانات نصف العام .

* في أول أبريل 1955م نقلت الأنباء محاصرة الجيش اليمني بقيادة العقيد أحمد الثلايا لقصر الإمام أحمد في تعز ، وإرغامه على التنازل لأخيه سيف الإسلام عبد الله . وقد فوجئ الأحرار في القاهرة ، كما فوجئ المصريون . . إذ كان المتوقع أن البدر هو الذي سيخلف أباه عند أي تغيير .

* كلفت هذه المرة مع الزميل يحيى حمود جغمان بحمل رسالة من الأستاذ الزبيري إلى العقيد الثلايا في تعز ، للتحذير مما قد يفعله الإمام أحمد المحاصر الجريح ، وللاستفسار عن السبب في تولي السيف عبدالله بدلاً من البدر . .

* وكان الطريق الوحيد إلى تعز . . هو عبر عدن . .

* وقد وصلنا عدن ونزلنا في فندق « مارينا هتيل » في التواهي ، ولم نكد نضع حقائبنا حتى سمعنا هتافات المتظاهرين بحياة الإمام أحمد « يا جناة » الذي خرج من الحصار ممتطيا صهوة جواده . . ! وأنه قد تم اعتقال السيف عبدالله والعقيد الثلايا وآخرين كثيرين . .

* في صباح اليوم التالي . . اتصل بنا تلفونيا القاضي محمد عبدالله العمري ، القائم بأعمال وزير الخارجية ، الذي كان في طريقه إلى تعز . . وقال بلهجته الصنعانية الجميلة . . « ما سرنا . . ؟ مولانا قبل شهر واحد أمروا بترحيلكم من الحديدة إلى القاهرة عن طريق الصليف ، كمران ، حتى لا تمروا بعدن . . لماذا جئتم إلى عدن . . الآن ؟ » .

فقلنا له . . نحن مرافقون لولي العهد . . سمعنا بالأحداث فتحركنا إلى عدن وكنا في طريقنا إلى تعز للاطمئنان عليه .

والآن وقد هدأت الأمور ، فإننا سنعود إلى القاهرة ، لمواصلة دراستنا ، وإن شاء الله ، تبلغونه أنتم تحيتنا . فقال « على كل حال قد نراكم في تعز » . . .

وحدثنا بعده وكيل الإمام بعدن ، وقال : إن برقية قد وصلت من الإمام يستعجل وصولنا إلى تعز . . . وإنه سيعد لنا السيارة . .

وبعد تفكير وتردد ، تركنا رسالة الزبيري لدى الأحرار في عدن ، ربما لدى

سلام حاجب أو محمد أحمد شعلان . . وتوجهنا بالسيارة . . وعند وصولنا الراهدة بعد الظهر ، استضافنا الجنود ، وكان بعضهم من أصحابنا بنى بهلول وقد أصروا على بقائنا للغداء والمقيل . وانفرد بي أحدهم ولعله حسين بن حسين العيني وقال : إننا نحاول تأخيركم حتى نقنعكم بالعودة إلى عدن . . إننا نخاف عليكم . . إن الرجل هائج والإعدامات متواصلة . .

* عندما طمأناهم بأنه لا خوف علينا ، قالوا : على كل سيرافقكم بعض أصحابنا إلى تعز ، وإذا شعرنا بأي خطر فسنأخذكم معنا إلى الراهدة ، ومنها إلى عدن . .

* في المساء وصلنا تعز وأنزلنا بدار الضيافة والتقينا فيها بالأستاذ نعمان ، الذي كان الناس يعتبرونه بعد وقوفه إلى جانب البدر والإمام ، أبرز الشخصيات يومها ، وأن الأمور كلها بيده ، وأن الإمام يستمع إليه ولا يرد له رأيًا أو طلبًا ، وكان هو ، ساخراً ، يتظاهر بأن هذا هو الواقع . . ويقفل على نفسه باب حجرته ، ويرفض الحديث أو الاجتماع بأحد . . بحجة أنه مشغول . . ! ويردد بصوت عال . . دعونا نعمل . . لا تشغلونا . . !

وعندما يخرج يحرص على أن يتأبط أي ملفات أو أوراق ، إيهامًا للناس بأنها أوراق الدولة ، وقضايا الناس . . رحمه الله ، كم كان ساخراً ومرحًا ، حتى في أتعس الظروف . . !

* وفي صباح اليوم التالي زرنا الأمير البدر في وزارة الخارجية ، وذهبت معه لمقابلة والده الإمام فى أثناء استقباله مسيو ستيبانوف قنصل فرنسا في جيبوتى ، الذي وصل للتهنئة باسم الحكومة الفرنسية .

* وقد طلب الإمام أن أقوم بالترجمة ، فقلت له : إننى لا أجيد اللغة الفرنسية . . فقال على الفور وكأنه قد ضاق بوجودنا في مصر . . إذن يجب أن تنتقل من القاهرة إلى باريس لمواصلة الدراسة وتعلم اللغة . . أنت وزميلاك جغمان والرعدي ، وطلب من القنصل الفرنسي عمل الترتيبات اللازمة ، وكلف الشيخ أحمد حسين الوجيه بقطع تذاكر السفر وتسديد رسوم الدراسة . .

* وفي دار الضيافة ونحن على مائدة إفطار رمضان ، قال القاضي عبدالرحمن

الإرياني ؛ الذي عاد من ساحة الإعدام قبل أيام : يجب أن تغادروا تعز الليلة بعد العشاء مباشرةً إلى عدن ؛ ففي جو التحقيقات والملاحقات يخشى أن تنكشف أي أوراق أو رسائل حملتموها في رحلتكم السابقة إلينا أو إلى العقيد الثلايا أو آخرين . . وتحدث تعقيدات .

وكان الإمام قد حول لكل واحد منا مائتي ريال ولم نستلمها بعد . . فقلنا للقاضي : غداً في الظهر نستلم الحوالة ونغادر ، فقال : بل الليلة بعد هذا العشاء حتى نطمئن عليكم .

وهكذا ، غادرنا . . ولم تشرق شمس الصباح إلا ونحن على أبواب عدن . . ووفر الإمام أربعمائة ريال . . !

* * *

* في القاهرة بدأنا نستعد للسفر إلى باريس ، فوصل البدر والأستاذ نعمان والسيد أحمد الشامي وآخرون لشكر الحكومة المصرية على موقفها ، ورداً لزيارة وفد مصري برئاسة السيد حسين الشافعي عضو مجلس قيادة الثورة ، كان قد زار الإمام في تعز ، وهنأه ، وتمنى ألاّ يسرف في الانتقام ويتوسع في الإعدام . .

* كنا نسكن في شقة بالقرب من جامعة القاهرة ، في الدور الأول ، وكانت بلكونتها الكبيرة سطح جراج تتسع لجلوس العشرات والعشرات ، وقد أقمنا فيها حفلاً حضره البدر والأستاذان نعمان والزبيري وعدد من الشخصيات العربية السياسية والإعلامية .

وفي الحفل وزّع كتيب بعنوان « آمالنا وأمانينا » وفيه إيضاح بما يطالب به الأحرار من إصلاحات في اليمن .

* وتحدث الأستاذ الزبيري حديثاً طويلاً ، وآخرون ، وكان خلاصة ما تردد في الحفل هو أن الذين وقفوا إلى جانب الإمام وابنه ، ينتظرون أن تتحقق أهداف الشعب ، وأن الصراع على خلافة الإمام بين إخوته وابنه قد حسم ، ولم يعد هناك أي سبب للتلكؤ والتردد في السير في طريق الإصلاح ، وإلا فإن المعارضة ستستمر وتشتد . .

* وفي كلمتي ركزت على الوحدة الوطنية ، فلا شمال ولا جنوب ، ولا زيدية ولا شافعية ، ولا هاشمية ولا قحطانية ، وبحضور طلاب اليمن من جميع أنحاء البلاد ، طلبت من البدر والنعمان والزبيري أن يقفوا وأن يتعانقوا ، رمزاً لوحدة الشعب ، وإعلانا لإنهاء كل أسباب الفرقة والتمييز . .

وقد وقفوا بين تصفيق الجميع . . وقد غضب بعض مرافقي البدر ، وقالوا : لقد أحرجتم الأمير . . !

إنكم بهذا تعلنون إنهاء الإمامة . . !

وقيل لي إن برقية وصلت من الإمام تقول للبدر . . « ألم أحذرك من العيني . . »

والأخ عبد الله الضبي هو الذي يستطيع أن يؤكد أو ينفي مثل هذه البرقية . .

* ولا يفوتني هنا أن أذكر أن بين مرافقي البدر ثلاثة من خيرة أبناء اليمن وطنيةً ووفاءً وتواضعًا ، هم . . القاضي محمد أحمد الجرافي، والعميد عبد الله الضبي، والأستاذ هاشم طالب.

* * *

* وتوجهنا بعد ذلك إلى باريس ، وركزنا في فترة الصيف على دراسة اللغة الفرنسية في « الإليانس » وفي « السربون» ، وفي بداية العام الدراسي سجلنا في كلية الحقوق . .

* في اليمن . . تظاهر الإمام بالاستجابة لبعض طلبات الأحرار ، فشكل وزارة لكن من رجاله وعماله وكبار موظفيه ، وعندما وجد النعمان ألاّ أمل في الإصلاح، وصل القاهرة، وانضم إلى زميله الزبيري ، فجن جنون الإمام وركز هو وحكومته على محاربتهما ، وعلى إضعاف الاتحاد اليمني ، وتم ترحيل العديد من الطلاب إلى بريطانيا وإيطاليا وأمريكا، وتشكيك من تبقى من الطلاب في الاتحاد وزعيميه .

* وقد تأثرنا في باريس لهذه الأخبار ، فوجهنا رسالة مطولة بخطي وتوقيع الثلاثة . . جغمان ، والرعدي ، والعيني ، إلى زملائنا في القاهرة ، نندد بالنشاط المعادي للأحرار ، ونحث على الصمود والثبات والمواجهة . .

* وقد قطعت عنا المنحة الدراسية ، ولكننا قاومنا ، وواصلنا دراستنا في ظروف صعبة . .

* * *

* وفي الصيف توجهنا إلى لندن ، وفي مكتب السفير قلنا إننا لن نخرج إلا إذا عادت منحتنا الدراسية أو تذاكر العودة إلى القاهرة . . وفرضنا وجودنا على السفارة ، التي ظلت في أخذ ورد مع الإمام . . دون جدوى .

فعدنا في نهاية الصيف إلى باريس .

وعندما ضاق الحال ؛ غادر جغمان والرعدي باريس للتدريس أولا في الكويت ، ثم للدراسة في دمشق .

*وفي محطة القطار وأنا أودعهما . . قالا ، مازحين . . «رسالتك أخرجتنا من باريس . . نأمل ألاّ تكتب رسالةً بعد الآن . . لا إلينا . . ولا إلى غيرنا . . ! » .

* افتقدتهما ، وخفف عني أديب النحوي ، وأحاديثه التي لا تنقطع عن العروبة والوحدة ، ومنصور الكخيا وشايه بالنعناع ، وعاطف دانيال وحماسة لوحدة الطلبة العرب في أوروبا ، واتصالاته الواسعة بمحرري « فرنس أوبزرفاتو والإكسبرس » وشرح قضايا العرب فى أثناء أزمة تأميم قناة السويس . .

* وقد واصلت في باريس شهوراً وعندما تعذر العمل والدراسة عدت لإكمال دراسة الحقوق في جامعة القاهرة . .

* وفي القاهرة وعلى مائدة الغداء في ضيافة القاضي إسماعيل الجرافي ـ أطال الله عمره ـ سألني السيد حسن بن إبراهيم : « افتقدناكم في لندن » .

* فقلت له : لقد ذكر لنا البعض أن تعليمات الإمام كانت أن نسافر معكم إلى روما حيث تمثلون اليمن أيضا ، وتُسحب منا جوازات السفر ، ونواصل معكم إلى السودان ، ومنها إلى تعز . .

* وقد فضلنا ألا نضعكم في موقف حرج ؛ لأننا كنا نرغب في العودة إلى باريس أو القاهرة ، وليس إلى تعز .

*وحتى لا يتطور الحديث؛ تدخل القاضي إسماعيل وقال: «يا سيدى الشرفي، لا تحتاجون لتوجيه أي سؤال .. يكفي أن تقرءوا الكتاب» .. فقال .. «أي كتاب .. »؟

* قال: معارك ومؤامرات ... ولعله كان قد اطلع عليه.. فقد أرسلت له نسخة إلى مكتبه في السفارة في لندن.

* * *

* وفي إجازة نصف السنة توجهت إلى دمشق، ونزلت ضيفًا على الزميلين يحيى جغمان ومحمد الرعدي، اللذين كانا يواصلان دراستهما في جامعة دمشق.

وفاجأتهما هذه المرة ليس برسالة، بل بكتاب، أو كتيب أو منشور؛ رغبةً في استمرار المجابهة مع الإمام وحكمه، وللتعريف باليمن، وتاريخها وشعبها، ونظام الحكم فيها، وإيقاظا لمواطنيها في الداخل والمهجر.

* وتم طبع الكتاب .. تحت الأرض، في مطبعة «الوحدة العربية» التي كانت تصدر عنها صحيفة «الرأي» لسان حال حركة القوميين العرب.

* وتخلصًا من ملاحقتي ومتابعتي اليومية لعمال الطباعة، ومحاولة استعجالهم؛ نظم لي الأستاذ عدنان فرج رئيس تحرير «الرأي» رحلة إلى عمان، حيث نزلت ضيفًا على الدكتور چورچ حبش، في عيادته المتواضعة، ثم أمضيت أيامًا في مخيم الكرامة في ضيافة الدكتور وديع حداد.. الذي كان وديعًا .. وديعًا.. كاسمه.

* وفي حديثي مع اللاجئين، وأنا أتلو: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ تدخل ضابط كبير لإسكاتي، فقلت له: إن الحديث هو عن اليمن، والآية الكريمة جاءت على لسان بلقيس ملكة اليمن .. فقال .. «إن حكومة النابلسي قد سقطت، وأعلنت الأحكام العرفية .. «فغادرت إلى دمشق».

* وقد استدعاني ، وقد انتهينا من عملية الطبع ، السيد يوسف مزاحم ، مدير الأمن العام في دمشق ، وتوقعت أن يغضب ، ويمنع ، ويصادر . . ولكنه ، بعد حديث طويل ، قال وهو يتأمل صور الذين سقطوا بسيف الجلاّد . . « إننا نعدم . . ولكن ليس بهذه الصورة . . ! » وقيل لي بعد ذلك إن الإمام أحمد قد أخرج الكتاب ولوح به عند زيارة الأستاذ صلاح البيطار إلى تعز ، وقال . . « أنا جزار . . ! هل تسمحون بطبع مثل هذا الكتاب في سوريا ؟ فقال له الأستاذ البيطار . . كم يكتب ضدنا وينشر . . ولا نتأثر . . ولم يكن لنا علم بهذا . . وكاتبه على كل حال غير مقيم في سوريا . . ».

* وفي مطار القاهرة ، والكتاب هو حقائبي الخمس . . تصفح ضابط الجمارك نسخةً . . منه . . وقال . . كيف نسمح بدخوله ، وهو يتعرض لرئيس دولة هي معنا في مواجهة حلف بغداد ؟

فقلت له . . ألا ترى جواز سفري الدبلوماسي ، وصفتي كمرافق لولي العهد . . ؟ إننا جمعناه ، حتى لا يتم توزيعه ؟

وفي خارج المطار ، وقبل أن أركب السيارة . . لحق بي الضابط . . وقال . . ولكنك أنت مؤلف الكتاب . . ؟ كيف هذا ؟

فقلت له . . خليها على الله . . !

كان هذا فى عام 1957م ، قبل أكثر من أربعين عامًا . .

* * *

* اليوم نعيد الطبع . .

لنرى أين كنا ، أين كانت اعتراضاتنا ، شكاوانا ، اهتماماتنا ، تطلعاتنا ، طموحاتنا وما تحقق منها . . وأين نحن اليوم . . ؟

* في حجة ، في سجونها التي ضمت العلماء والأدباء من الأحرار بعد ثورة 1948م ، كان الجدل والنقاش حول الإمامة ، ورئاسة الدولة ، ومن يتولاها . . والشروط الأربعة عشرة في المذهب الزيدي ، كالعلم والشجاعة والكرم والعدل وسلامة البدن . . إلى آخر ذلك . .

وقد اتفق الجميع على الشروط كلها . . لكنهم اختلفوا حول الشرط الرابع عشر، وهو أن يكون الإمام علويًا فاطميًا . . وقالوا: إن هذا الشرط غير ضروري .

ولكن السيد أحمد الشامي تمسك حينئذ بهذا الشرط . .

وبعد سنوات وسنوات . . اتصل من «كنت» بضواحي لندن ، بصديقه الأستاذ أحمد عبد الرحمن المعلمي بدمشق ، وقال له . . قل للقاضي عبد الرحمن الإرياني . . إنني اليوم مقتنع بأن الشرط الرابع عشر غير ضروري . . وإنني تنازلت عنه . .

وعندما نقل هذا الكلام للقاضي الإرياني . . قال . . قولوا للسيد أحمد . . لقد تنازلنا عن الشروط كلها . . !

* وكان السيد الشامي قد قال لي مرة مازحًا : في كتابك « معارك ومؤامرات » قلت : « نريد حاكمًا اسمه مسعد ، صالح ، سعيد ، علي ، محمد ، هكذا مثلي ومثلك ومثل سائر الناس ، لا نريد حاكمًا من الآلهة ، ولا من الملائكة ، ولا من الأطهار .

نريد حاكمًا إذا أخطأ قال له الناس: أنت أخطأت ، فلا يكونون خارجين، ولا كافرين ولا مارقين . . "

وأكمل الشامي . . « تُرىَ هل وصلتم إلى ما تمنيتم . . ؟ ! ».

بقي لي أن أقول :

* إن اليمن اليوم قد تخلصت من الإمامة في الشمال ، ومن الوجود الاستعماري في الجنوب، وقامت الجمهورية ، وتحققت الوحدة ، وخطت البلاد خطوات كبيرة في العمران والتعليم والمواصلات والصحة ورفع مستوى المعيشة ، والصلة، مع العالم .

* وبقي أمامها شوط طويل . . طويل . . لتحقيق الدولة الحديثة ، دولة المؤسسات ، دولة العدل والنظام والقانون والأمن والاستقرار واحترام حقوق الإنسان . .

* والخلاص من كابوس القبلية ، والسلاح ، والثأر ، والقات ، وأكوام القمامة في المدينة والريف .

* إن المسيرة الحضارية . . طويلة . . طويلة . .

وإذا كنت قد قبلت أخيرا إعادة طبع هذا الكتيب ، فقد يكون ذلك مقدمةً لكتابي عن مسيرة الخمسين عامًا الأخيرة . .

* في هذا الكتيب . . إذا كانت هناك بعض تجاوزات أو هنات في الألفاظ أو العبارات أو الأفكار . .

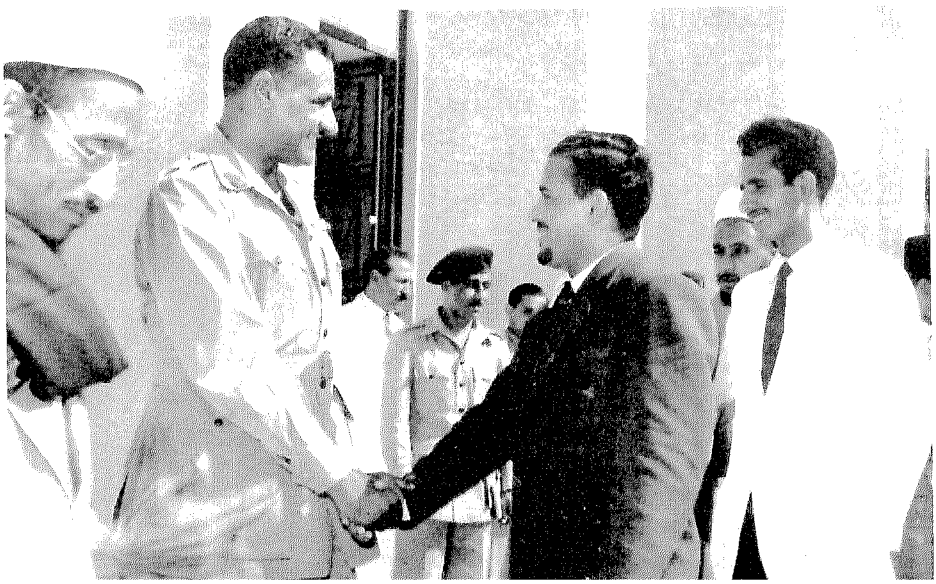
* فللشباب عذره . . وللظروف حكمها . . !

محسن العيني

يناير 1999م



الرعدي والعيني وعبدالله الضبي مع الرئيس محمد نجيب



الرعدي ، القاضي محمد الجرافي والعيني



مطار الحديده عام ١٩٥٤ ـ البكباشى أحمد كمال أبوالفتوح



عبيد النصر بالحديده ـ عام ١٩٥٤ . الرد على عقبات الذي هاجم الأحرار..



مذيعو صوت العرب وعلى الخضر، والعيني يتحدث إلى الطلاب في حفل حضره البدر والنعمان والزبيري بالقاهرة في مايو ١٩٥٥



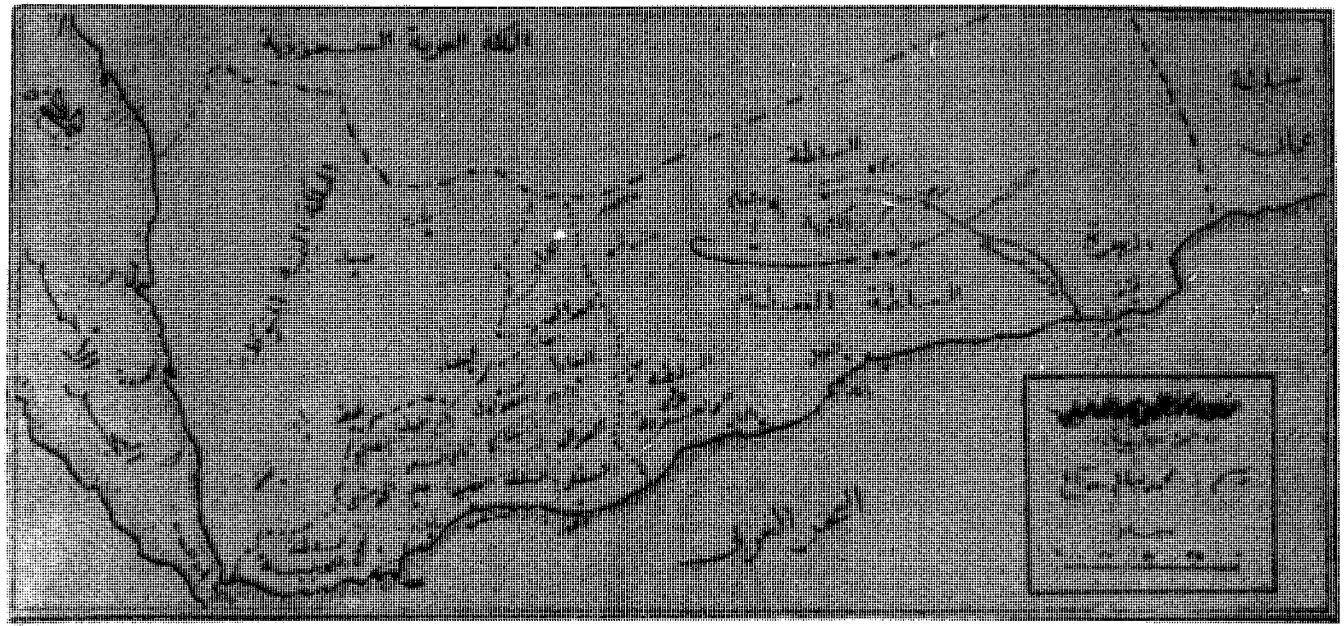
نعمان في القاهرة، عام ١٩٥٥، بصحبة الإمام البدر والشهيد محمد محمود الزبيري ويظهر إلى أقصى يسار الصورة فتحي الديب أيضاً

إهـــــداء

إليك أيها اليمني ، حيثما كنت ، في سجنك الكبير
أو في مهجرك ، مشرداً تحت كل كوكب .
إلى كل عربي حر ، يتطلع ببصره عبر الحدود
متسائلاً عما يجري في ذلك الجزء الغالي من وطنه الكبير .

محسن العيني

1957م



﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾

[سورة النمل : ٣٤]

نظرة جغرافية عابرة

تقع اليمن في جنوب الجزيرة العربية ، ويحدها من الشمال نجد والحجاز ، ومن الجنوب بحر العرب ، ومن الغرب البحر الأحمر ، ومن الشرق عمان . . واليمن اليوم قسمان : قسم مستقل ومساحته تتراوح بين 62 ألف كيلومتر مربع إلى 195 ألف كيلو متر مربع ، ويبدو أن التقدير المعقول هو 75 ألف كيلو متر مربع . ويتراوح عدد السكان بين أربعة ملايين وخمسة ملايين نسمة . وقسم يحتله الاستعمار البريطاني ، ومساحته تقدر بـ 290 ألف كيلو متر مربع ، وتبدأ من مضيق باب المندب على البحر الأحمر حتى ظفار التابعة لسلطنة عمان . ويقدر عدد السكان بمليون نسمة .

الأقسام الطبيعية :

1 ـ تهامة وهي أرض رملية شديدة الحرارة على الساحل ، وأهم المدن فيها عدن ، الحديدة ، المخا ، وهذه أشهر الموانى اليمنية ، ولحج والمنصورة وزبيد في الداخل وفي هذه المنطقة وديان شهيرة ، وتنتج النخيل ، والقطن ، والتبغ ، والحبوب .

2 ـ الجبال والسهول الشرقية : ويصل ارتفاع الجبال فيها إلى 3500 متر وإلى 4500 وتهطل فيها الأمطار بغزارة في الصيف . وفيها أنهار كثيرة متوسطة أهمها أنهار بنا ، ورزان ، سردود ، مور ، الخارد . وهذه هي منطقة السدود ، فقد كان فيها سد مأرب ، وسد ريعان في وادي ظهير ، وسد الخانق في صعدة ، وسد أضرعة بعنس ، وسد شاحك بخولان . وبها حقول ووديان كثيرة . وفيها أكثر من ثلاثة

أرباع سكان اليمن . وتنتج محصولات المنطقة الموسمية ومحصولات منطقة البحر الأبيض المتوسط . وجوها معتدل طول العام ولا يكاد يشعر المرء بتغير الفصول فهي في ربيع دائم . وأهم المدن فيها : صنعاء ، عمران ، صعدة ، ذمار ، أب ، تعز ، قعطبة ، رداع ، حجة ، مناخة ، مأرب، شبوة ، البيضاء .

3 ـ حضرموت وهي جزء من العربية السعيدة وبالرغم من أن مساحتها شاسعة واسعة فلا يزيد سكانها على 300 ألف نسمة ، وسطحها جبلي يشقه واد عظيم الاتساع هو وادي الكسر ، وفيها وديان عظيمة أخرى أهمها وادي حَجر ، وادي ميفعة ، وادي دوعن ، وأهم مدنها : شبام ، المكلا ، الشحر .

4 ـ الربع الخالي أو الدهناء : وهي صحراء مترامية الأطراف ، ليس بها عيون مائية ولا أودية ؛ وإنما تهطل بها الأمطار في مواسم معلومة فتعشب ، ويؤمها البدو بخيامهم وإبلهم فيرعونها ثلاثة أشهر .

والربع الخالي قسمان : قسم واقع إلى الجنوب والشرق وهو هضاب سهلة من الممكن اجتيازها ، ويقدر بنحو ثلث الربع الخالي. والقسم الآخر في الغرب والشمال، وهو كثبان رملية كثيفة ، ويقدر بثلثي الربع الخالي .

وتتنازع اليمن ـ من الناحية السياسية ـ أوضاع ثلاثة .

ـ المملكة المتوكلية اليمنية . . وهي الجزء المستقل .

ـ عدن . . وقد فرض عليها الإنكليز منذ نزولها في عام1838 الاستعمار .

ـ محمية عدن الشرقية ومحمية عدن الغربية، وهما مكونتان من سلطنات ومشيخات عديدة ويخضعان لنظام الحماية الإنجليزية .

الحالة الاقتصادية :

لليمن إمكانيات اقتصادية واسعة لكنها لم تستغل حتى الآن ، فالخصوبة الطبيعية المتوفرة في تربتها ، وتنوع المناخ . . كل هذا يسمح بمختلف الزراعات .

أما الثروات المعدنية فتوجد بصورة تجعل من اليمن بلداً صناعيا هاما ، وهذه

الثروات الضخمة موجودة بجانب الإمكانيات البشرية النشيطة الذكية . . فإذا تحسنت صحة الإنسان، وحكمت البلاد حكمًا شعبيًا سليما ، فليس ببعيد أن تقفز اليمن إلى الصف الأول من الدول الصناعية القوية .

اليمن اليوم تشبه ـ من جوانب كثيرة ـ اليابان قبل مائة سنة ، ولكن يبدو أن اليمن تستطيع أن تعوض ما فات بسرعة عظيمة ، إذا تخلصت من أوضاعها الفاسدة الراهنة .

الزراعة : اليمن حتى الآن تعيش على الزراعة وحدها . . وإذا كانت قديمًا قد بنت السدود ، ونظمت الري فهي الآن محرومة من كل هذا . ولكن حيث تسقط الأمطار توجد الزراعة ، فالفلاح اليمني نشيط ماهر في زراعته، وتشهد على هذا تلك المدرجات الزراعية في الجبال والوديان .

وقد قال وندل فليبس : « لقد كنا ونحن نتسلق جبالهم الشاهقة نعجب وندهش من تلك المدرجات الزراعية الخلابة التي يقيمونها في كل شبر من فوق قمم الجبال العالية . . إن الزراعة بتلك الصورة تدل على عمل إنساني ونشاط ومهارة لا تقارن . وحين تهطل الأمطار الغزيرة تجرف معها هذه الحقول المعلقة . . ولكن السواعد اليمنية القوية تعيدها » .

أما جوران فيقول: « إن اليمن بلد غني جدًا بالإمكانيات ، وذو طبيعة متنوعة ، وينتج المحاصيل الزراعية المتنوعة . . وخصوبته تجعل من الممكن إنتاج محاصيل ثلاثة في السنة الواحدة في قطعة أرض واحدة » ويقول « إن أهم محاصيل اليمن الزراعية هو البن وهو دون شك أحسن بن في العالم . . وقد نزل رقم إنتاجه في هذا العهد الحاضر إلى الثلث بالنسبة لما كانت تنتجه اليمن في عهد العثمانيين » .

ولعل أهم ما أثر في الزراعة اليمنية هو إهمال السدود .

الصناعة : أما الصناعة فلا وجود لها . . فاليمن بالنسبة للصناعة والحرف لاتزال في مستوى ما وراء القرون الوسطى .

التجارة : التجارة ضئيلة جدًا ؛ لأن البلاد تعتمد أساسًا على الزراعة، ولأنها محرومة من خطوط المواصلات الحديثة .

والمبادلات التجارية منذ عشرات السنين تكاد تكون كلها في أيدى الإمام وسيوف الإسلام.

ففي اليمن تاجر هو نائب الإمام وممثله ، يحتكر التجارة كلها، فلا استيراد إلا له ولا تصدير إلا عن طريقه ، وهناك بعض التجار على الهامش في داخل المدن .

والنقل : هناك مجموعات من السيارات يملكها الإمام والجبلي تقوم بنقل البن والزبيب والحبوب والجلود إلى عدن . . والأشياء المصنوعة المستوردة من عدن إلى اليمن.

كذلك هناك باخرتان صغيرتان يملكها الجبلي بالاشتراك مع الإمام تصل إلى الحديدة وإلى المخاء . . وإلى الصليف .

وهناك عدد من طائرات النقل ، للإمام وللعائلة المالكة ، وكبار الموظفين والضيوف الأجانب .

الموانى : كلها غير صالحة لرسو أي سفينة بل ولا حتى لقوارب الصيد الصغيرة . وتجارة اليمن كلها عن طريق عدن ـ تعز .

الثروة الطبيعية : اليمن من أغنى الأقطار العربية، فهي تجثم على ثروة معدنية متنوعة وافرة هامة . فالبترول موجود بكميات وافرة وقد تأكد وجوده في دائرة قطرها 25 كيلو متر بين الصليف واللحية .

وقد ذكر كثير من الجيولوجيين أن في اليمن الذهب والفضة والنحاس والرصاص ، ويبدو أن الشمال غني بالفحم الجيد ، كما أن الملح موجود بكميات هائلة في الصليف وهو أجود صنف في العالم .

والحديد، أكد الخبراء الألمان وجوده في صعدة في الشمال ، والمغنسيوم في تعز ، والبوتاسيوم بمأرب ، وعلى العموم فما دامت البلاد محرومة من المواصلات فلا يمكن الاستفادة من هذه المعادن والثروات .

النقد : ليس في اليمن أي بنك مركزي أو محلي ، ولا وكالة لأي بنك أجنبي ، ولا أي مؤسسة مصرفية على الإطلاق .

والعملة الوحيدة المتداولة هي ريال ماريا تريزا النمسوي . ويبدو أن الأتراك هم الذين أوصلوه إلى اليمن في القرن السابع عشر .

والميزانية لاوجود لها ، فالمالية كلها في يد الإمام ، هو الذي يقرر ما يشاء؛ كيف يشاء .

ويقول القاضي العمري في حديث له إلى صحيفة روز اليوسف : إن ميزانية اليمن تقدر بخمسة عشر مليونا من الجنيهات ، أما ثروة الإمام فتصل إلى ثمانين مليون جنيه . .

لمحات خاطفة من حياة اليمن

* يمكن إرجاع كلمة « اليمن » إلى « يمين » بالنسبة لمكة وبمقابلة سوريا . . الشام . . الشمال .

* ويمكن إرجاعها أيضا إلى اليُمن . . أو السعادة ولعل هذا هو سر التسمية «العربية السعيدة » ومنذ بدء التاريخ والعربية السعيدة تشمل الجزء الجنوبي كله من جزيرة العرب .

* عرب الجنوب . . أصلهم من أخ لإسماعيل بن إبراهيم يسمى قحطان ، ويطلق المؤرخون العرب اسم عاد على سكان « العربية السعيدة » قبل اثنين وعشرين قرنًا قبل ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ .

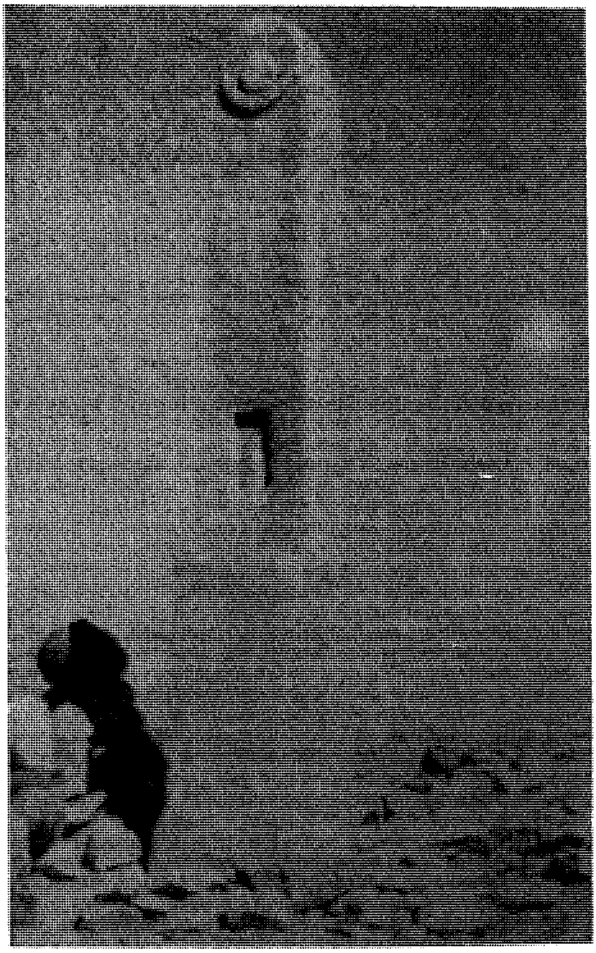
* وبالرجوع إلى ما كتبه الجغرافيون اليونان ، تؤيده النصوص القديمة والمكتشفات والحفريات الحديثة يمكن التمييز بين أربعة عهود في العربية السعيدة قبل الإسلام :

* دولة معين من 1200 إلى 650 قبل الميلاد ، وسلطان هذه الدولة يمتد إلى شواطئ البحر المتوسط ، وشواطئ الخليج الفارسي ، وبحر العرب . . وكانت دولة تجارة وسلام لا فتح و حرب .

* دولة سبأ ـ من 970 إلى 110 قبل الميلاد ، وازدهرت في نفس الوقت حضارة قتبان في الجنوب الغربي .

* دولة الحميريين الأولى من 115 قبل الميلاد إلى 300 بعد الميلاد ، وقد وسعت سلطانها ونفوذها في جنوب الجزيرة العربية كله .

ويرجعون إلى الحميريين تشييد سمرقند وهزيمة الهنود والبرابرة .



نصب القمر في معبد بلقيس (سبأ)

غزو الأحباش لليمن :

خَيَّرَ ذو نواس آخر الملوك الحميريين ـ وكان قد أعتنق اليهودية ـ نصارى نجران بين اليهودية أو الموت . وقد أحرق الكثير منهم ، وهاجر آخرون منهم وشكوا أمرهم إلى قيصر الروم . وقد أرسل القيصر سفنًا محملة بالرجال والسلاح إلى

النجاشي ملك الحبشة المسيحية ، وطلب منه أن يوجه حملة انتقامية ضد ذي نواس .

خرجت حمير تقابل قوات الأحباش والرومان . . ولكنها وقد بدأ انهيارها ، هزمت أمامهم . . ولما رأى ذو نواس ما حل بقومه وكان بالساحل توجه بفرسه إلى البحر واقتحمه حتى غرق .

* عاش الأحباش فساداً في اليمن . . وكانوا عاملاً من عوامل انهيار الحضارة والمدنية فيها . . وقد خرج الأمير الحميري سيف بن ذي يزن إلى كسرى ملك الفرس وطلب نصرته على الأحباش واسترجاع ملك حمير . . وقد أمده كسرى بجيش من المسجونين، ولما وصل إلى اليمن انضمت إليه القبائل القحطانية ، وقد هزم الأحباش هزيمة منكرة . . وتوج سيف ملكًا على الحميريين ، فأقبل عليه رؤساء العرب ووفودهم يهنئونه برجوع ملك آبائه . . وكان ممن وفد عليه لهذا الغرض عبد المطلب بن هاشم رئيس أهل مكة .

* ظل حكم الحميريين حتى سنة 525 ميلادية .

* كان ملوك الحميريين يلقبون بالتبابعة .

* وتحت حكم التبابعة يبرز معظم الأحداث الخالدة التي صنعت تاريخ اليمن .

* الثروات التي كان اليمنيون يحصلون عليها من مرور البهارات والتجارة بأرضهم، كانت تهيئ لهم مستوى من الحياة المترفة تفوق التصور .

* فلوقوع اليمن على ممر القوافل بين الهند والبحر الأبيض المتوسط ؛ فقد تحكمت في التجارة التي جعلت منها دولة كبرى في ذلك الزمان . . وكان اليونان والرومان يعتقدون أن كل ما يحمله لهم العرب هو من نتاج أرضهم .

* كما ان العربية السعيدة كانت مشهورة بتجارة البخور . .

* والسد العظيم ، سد مأرب الذي شيده السبئيون كان يوزع المياه للبلاد كلها فيوفر الخصوبة والنماء . . وقد قال وندل فليبس : « أكثر الأطلال شهرة في مأرب هو السد . . الذي يعتبر بحق إحدى عجائب العالم القديم ،ولا يزال حتى اليوم ورغم أنه أهمل وترك أطلالا . . لا يزال محيراً للألباب . . وقد كان مخزنًا مركزيًا

لمجموعة المياه الساقطة من جبال اليمن . . ومن هناك يتدفق ليخلق آلاف آلاف الحقول الخضراء .

* لم يكن سد مأرب هو السد الوحيد . . فقد برع السبئيون في تنظيم الري وبناء السدود . . وقد قال شاعرهم :

وفي البقعة الخضراء من أرض يحصب

ثمانون سداً تقذف الماء سائلاً

ويحصب منطقة واحدة من مناطق العربية السعيدة العديدة .

* ليس بغريب إذن أن تستيقظ الرغبة الجامحة لدى الرومان عدة مرات لفتح اليمن . . وأشهر حملاتهم تلك التي قادها الجنرال الروماني « أيوس جالوس » على رأس عشرة آلاف مقاتل . . وقد خرج من مصر في عام 24 قبل ميلاد المسيح ، للاستيلاء على العربية السعيدة . . ولكنه فشل كما فشلت الحملات الأخرى التالية .

* كان نظام الحكم في معين لا مركزيا ، فكل منطقة لها نظامها الخاص وفيها ممثل للحكومة المركزية ، ويسمى هذا الممثل « الكبير » وكان في كل مدينة وفي كل قرية مجلس يسمى «المسود» وهو يمثل أعيان كل قرية أو مدينة . ويعقد هذا المسود اجتماعاته في أيام السلم والحرب ، ويقوم بتقديم الاقتراحات والتوجيهات للحكومة المركزية .

* كان لحكومة معين علاقات تجارية مع مصر ، وهناك نقوش في الجيزة في قصر البنات مؤرخة من عهد بطليموس بن بطليموس ، وتبين هذه النقوش أنه كانت هناك جالية معينية تقيم في مصر ، وكان لمعين مندوب في مصر لقبه كبير معين . . وهذه العلاقات تتمثل في إمداد معين لمصر بالبخور والمر واللبان للمعابد .



أسد من جنود العربية السعيدة

* وهناك نقوش تثبت أن حكومة معين بلغت أقصى شمال الجزيرة العربية حتى حدود فلسطين .

* لقد كانوا صناعًا مهرة . . وذوي عبقرية أصيلة في البناء والعمران، وتذهب بهم لا إلى بناء السدود العظيمة فحسب ، بل وإلى تقطيع المرمر الشفاف؛ إلى صحائف رقيقة لنوافذ بيوتهم ذات الطوابق المتعددة .

* في لغة الحميريين اسم « الجندي » أَسَد ، « والجنود » أُسُد .

* كان اليمنيون يعبدون الشمس والقمر ونجمة الصباح .

أشهر ملوك العربية السعيدة

* بلقيس . . ملكة سبأ التي ذكرها القرآن الكريم والإنجيل . . وهي التي عبرت الجزيرة على ظهور الجمال في أطول قافلة عرفها التاريخ القديم ، محملة بالهدايا الثمينة والذهب والبخور، فقد « أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . . » وهي التي أصدرت ـ كما جاء في القرآن الكريم ـ ذلك الحكم الخالد ضد الملوك عندما قالت ﴿ .. **إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون** ﴾ .

وهي التي قال لها قومها « نحن أولو قوة وأولو بأس شديد. . » .

*ومنهم الملك شداد بن عاد، وقد قال المؤرخ الكبير الهمداني «إن هذا الملك قد دوخ الأرض وإنه وصل بفتوحاته حتى سمرقند وأرمينيا » .

* ومنهم الملك ذو الأذعار ويقال له ناشر النعم أو ياسر النعم . . وقال ابن خلدون « إن هذا الملك هو الذي غزا أفريقيا ، وبلغ وادي الرمل ، وكتب على صنم من نحاس على شفير الوادي بالخط المسند : هذا الصنم لناشر النعم الحميري ، ليس وراءه مذهب فلا يتكلف ذلك أحد فيعطب» .

* ومنهم الملك شمر يرعش بن الملك ناشر النعم ، وهو تبع الأكبر ، وقد غزا هذا الملك إمبراطورية الصين وغيرها من الأقطار .

* وقالت كريستيان شاتو في صحيفة فرانس سوار الصادرة يوم الأحد 7 يناير 1956م .

«في القرن الثاني قبل الميلاد ، خرج الملك أصعب الذي جلس على عرش آبائه المحاربين على رأس ألف راية ، تحت كل راية ألف محارب ، واخترق بلاد فارس والتركستان ، ووصل إلى سور الصين العظيم ، واخترق إمبراطورية السماء ، ثم انثنى نحو بلاد التتار الشرقية وقفل نحو الهند» .

وبعد غياب سبع سنوات عاد إلى عاصمة ملكه في العربية السعيدة مزهواً بالمجد والانتصار مثقلاً بالكنوز والثراء . .

انهيار العربية السعيدة

* قال المؤرخ الكبير فيليب حتى : « وباكتشاف أثر الرياح الموسمية دقت البواخر الرومانية ـ التي بدأت تعبر المحيط الهندي ـ دقة الحزن بالنسبة لرخاء العربية السعيدة» فلم تعد اليمن محتكرة للتجارة ولم تعد الممر الوحيد للقوافل بين الشرق والغرب . . ؟

وهناك عامل آخر : هو تصدع سد مأرب وتشققه للمرة الأولى في عام 120 بعد الميلاد ، وقد فاضت المياه على ما أمامه من القرى والحقول والوديان فأتلفتها ، وكان من نتيجة ذلك هجرة الأزد المشهورة ، وتفرقهم في البلدان نزولا على رأي رئيسهم عمرو بن عامر حيث خرج هو وعشائره ، يرتادون لهم مواضع صالحة لسكناهم ، وتقوم مزروعاتها بحاجاتهم ، وحاجة مواشيهم من إبل وبقر وأغنام وخيول . . في كل مكان حتى ضرب المثل بتفرقهم ، فيقال « تفرقوا أيدى سبأ » .

* فقد نزل ثعلبة بن عمرو . . أرض الحجاز ، وسكن المدينة ومن أبنائه الأوس والخزرج .

* ونزل حارثة بن عمرو . . الحرم المكي وأجلى منه سكانه من جرهم .

* وسار جفنة بن عمرو إلى الشام فحط رحاله فيها . . وجفنة هذا هو أبو الملوك الغساسنة .

* كما سكنت قبيلة لخم بن عدي بالحيرة ، وهم من كهلان ، ومنهم نصر بر ربيعة ، أبو الملوك المناذرة .

* دخل اليمنيون الإسلام دون قتال ، وعندما بعث الإمام علي كرم اللّه وجهه إلى الرسول عليه السلام يبلغه إسلام أهل اليمن ، سجد الرسول شكرًا للّه وقال : اللّه أكبر . . جاءكم أهل اليمن . . أرق قلوبًا ، وألين أفئدة . . الإيمان يمان ، والحكمة يمانية .

* وفي كل الأقطار التي هاجر إليها اليمنيون ، نقلوا إليها ـ كما يقول جان جاك بريبي ـ أرفع درجات الثقافة التي ورثوها عن آبائهم .

* أما الجنرال بريموند فيقول : « . . ومما يجب الاهتمام به هو الدور الكبير الذي لعبه اليمنيون الذين نقلوا العربية إلى سورية وإلى بلاد فارس قبل الإسلام . . ويزيد الجنرال بريموند قائلاً : إن تاريخ الشرق الأوسط كله قد غيره اليمنيون . . من أرض الغساسنة» .

اليمن منذ الإسلام

* وقد ساهم اليمنيون في الفتوحات الإسلامية مساهمة فعالة في عهد الخلفاء الراشدين وعهد بني أمية ، وعهد بني العباس .

* فقد وصل إلى المدينة في عهد أبي بكر في يوم واحد ، واحد وعشرون ألفا من اليمنيين أرسل نصفهم إلى سورية وهم من قبيلة عك ومن قبيلة حمير . ونصفهم الثاني إلى العراق وهم من قبيلة همدان ومذحج .

* سميت بعض قلاع الأندلس بأسماء اليمنيين ومن ذلك : قاعة همدان بالقرب من مدينة غرناطة ، قلعة خولان بالقرب من مدينة أشبيلية ، وقلعة يحصب ، وغيرها من القلاع والحصون .

* بلغ خراج اليمن في عهد هارون الرشيد ثمانمائة وسبعون ألف دينار سوى الثياب .

* في عهد الخلفاء كانت اليمن مقسمة إلى ثلاثة أقاليم : صنعاء، الجند ، حضرموت . وقد ظلت حضرموت تابعة للحكام في اليمن حوالي 450 سنة ، من الهجرة إلى 1087 .

* في القرن العاشر . . انحلت الخلافة ، وكانت اليمن أول الدول التي انسلخت عن الخلافة ، وتقسمت هي إلى إمارات عديدة تتنافس وتتصارع من أجل السيطرة.

* بين القرن العاشر الميلادي ، والقرن السادس عشر ، تحطمت آمال الغزاة الأجانب من البرتغاليين والهولنديين والإنجليز والأتراك أمام مقاومة المواطنين الشرسة العنيفة .

* ولكن الأتراك مع ذلك تمكنوا ـ باسم الدين ـ أن يسيطروا على اليمن في القرن السادس عشر .

* كانت اليمن في هذا العهد قسمين : اليمن المستقلة حاليًا ومعها جزء كبير بما يطلق عليه الاستعمار اليوم محمية عدن الغربية .

وحضرموت وكانت ممتدة حتى عمان .

* كانت الأجزاء اليمنية التي تكون ما يطلق عليه الاستعمار اليوم محمية عدن الغربية يحكمها حكام وشيوخ هم على صلة باليمن الأم ، حتى انفصلت عنها كوحدات مستقلة .

* سلطان لحج قطع صلته بالإمام في سنة 1728 والتحق بعدن ، وأصبح مستقلاً في تحالف مع القبائل المجاورة .

* في سنة 1838م احتل الإنجليز عدن ، وعقدوا معاهدة مع سلطان لحج ، واشترط فيها السلطان على حكومة بريطانيا أن تدفع المساعدات التي كان يقدمها هو إلى رؤساء قبائل الفضلي ويافع والحواشب والأميري حتى يضمن حسن نواياهم . . وكان هذا بداية المعاهدات والاتفاقيات مع رؤساء القبائل التي وضعت الأساس لسيطرة الإنجليز .

*عندما عاد الأتراك مرة ثانية إلى اليمن في سنة 1872م طالبوا نظريًا بجنوب

الجزيرة كلها ، ولكنهم عمليًا قبلوا وجود المعاهدات الموقعة مع ما سماه الاستعمار بالمحميات التسع بين 1839 و 1904م .

* وقعت عدة اتفاقيات حماية مع رؤساء السواحل الممتدة حتى حضرموت وسلطنة قشن وسقطرة ، وفيما بعد وقعت اتفاقيات إضافية مع رؤساء الداخل ،

* كل هذه الاتفاقيات أو المعاهدات أو معظمها على الأقل استعمل الإنجليز للحصول عليها وسائل الاحتيال والتزوير والغش ، فقد كان - مثلاً - الضباط الإنجليز يقدمون لبعض المشايخ هدايا من الملكة الإنجليزية أو الملك ويطلبون منه أن يوقع وصلاً باستلامها ، فيبصم عليها هذا الشيخ . . وإذا هي معاهدة تكبله وتكبل بلاده لعشرات السنين . .

* جزيرة سقطرة احتلتها شركة الهند الشرقية في سنة 1834م ، ووضعتها تحت الحماية الإنجليزية .

الأدارسة في اليمن

جاء أحمد الإدريس من المغرب الأقصى إلى صبيا من بلاد تهامة اليمن ، وأقام بها حتى توفي سنة 1253هـ ، وكانت له سيادة روحية قديمة .

ومن أولاده محمد الإدريس الذي تعلم بالأزهر في مصر ، وبدأ يهتم بالأمور السياسية في سنة 1327هـ ، وخدع العثمانيين وأظهر الانتماء إليهم ، ولكنه كان يدبر في الخفاء للقضاء على الأتراك . وفي سنة1328 هـ حاصر أبها ، فأرسلت الدولة العثمانية شريف مكة الذي فك الحصار ، واعتصم الإدريس بجبال فيفا .

وفي سنة 1329هـ أعلنت إيطاليا الحرب على العثمانيين ، واحتلت طرابلس الغرب ، ثم اتجهت إلى البحر الأحمر ، وحاصرت «ولاية اليمن » ، أطلقت مدافعها على المواني ، ووقف الأسطول الإيطالى أمام جيزان . وقد نزل الإدريسي إلى صبيا ، واتصل بإيطاليا ، وأبدى استعداده لمعاونتها ، فمدته بالسلاح . . واستأنف هو الحرب مع الأتراك .

وقد اشتد غضبه عندما عقد الإمام يحيى الصلح مع الأتراك ، فأرسل جنوده لاحتلال بعض المناطق التابعة للإمام ، فأرسل الإمام والوالي التركي محمود نديم وفداً يمثلهما لعرض النصيحة على الإدريسي حتى ينفصل عن الإيطاليين ، ولكن دون جدوى . . فبدأت الحرب بين الإمام والإدريسي في حجور ، وخولان الشام ، ورازح وغيرها . . واستمرت الحرب حتى مات الإدريسي سنة 1341هـ؛ فشمل نفوذ الإمام البلاد كلها .

* كانت اليمن مقبرة العثمانيين . . وكانت جبال اليمن تبتلع الحملات العثمانية الواحدة تلو الأخرى . . فلم يقر لهم قرار بل ظلت البلاد تحاربهم وتطاردهم .

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى استسلم الأتراك باليمن . وخرجوا وسلموا البلاد إلى الإمام يحيى سنة 1337هـ الموافق 1919م الذي تمكن بمعاونة السيد عبدالله الوزير والأمير علي الوزير وغيرهما ، من تأسيس الدولة ، وبسط نفوذها على سائر القبائل والمناطق .

ولكنه توقف هنا ، وعجز عن تطويرها ، والعمل على استفادتها من نعمة الاستقلال والاستقرار .

عهد الاستقلال

تولى الحكم في اليمن الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ، يعاونه أولاده الذين حمل كل واحد منهم لقب سيف الإسلام !

* بدأ عهده بالقضاء على الشخصيات اليمنية الكبيرة حتى يخلوا له الجو . . واستخدم السم والقتل غيلة وغدراً . . والسجن الرهيب .

* ظل أكثر من ثلثي البلاد تحت السيطرة الاستعمارية الإنجليزية .

* وقع مع إنجلترا معاهدة 1934م التي تقضى ببقاء الأوضاع كما هي لمدة أربعين سنة ؛ أي ببقاء الاستعمار في أرض اليمن أربعين عاماً قابلة للتجديد .

* انكمشت اليمن في عهده وانعزلت عن الكون كله ، فبعدت عن التأثر بالحضارة والتأثير فيها ، وحرمت من مدنية هذا القرن العشرين .

* حول مدرسة الصنائع في صنعاء التي بناها الأتراك إلى سجن معروف إلى اليوم بسجن الصنائع .

*حول المستشفى الذي كان يعالج فيه سكان صنعاء إلى قصر له .

* تميز حكم هذا الإمام بالجور والظلم ، وكان مستبداً متحجراً ، عدواً للحضارة، فلم تتقدم اليمن خطوة واحدة ، بل تدهورت وضعفت وزادت حالها سوءاً .

* يعتبر عهده أسوأ عهد عرفته اليمن في تاريخها كله . . فلم يكن للبلاد جهاز إداري ، ولا وزارات ، ولا إدارات ولا مصالح ، ولا مكاتب للموظفين . . ولا ميزانية .

* ظل يسلط القبائل بعضها على بعض ، فيكلف هذه القبيلة بقتال تلك حتى يفنيها كلها ويتخلص من كل مقاومة أو معارضة .



جيش اليمن اليوم

* ظل الجيش مجموعة من القبائل . . فلم يوفر له السلاح ولا التدريب الحديث، ولم يكن للجيش رتبًا معينة ، ولا مرتبا ، كما أن أفراد الجيش هم الذين يدبرون أمر معيشتهم ، فيجمعون الحطب ويطبخون ، رغم ضآلة مرتباتهم .

* لجأ إلى كل وسيلة لإضعاف الجيش وتحطيمه، لأنه يرى أن مهمة الجيش الوحيدة هي جمع الضرائب ، واحتلال القرى ، ومحاربة القبائل .

* ابتدع أقذر نظام عرفته البشرية وهو نظام الرهن الآدمي . . فقد جمع أبناء المشايخ وأبناء كبار رجال القبائل وأعيانها ووضعهم في سجونه ؛ ضمانًا لولاء آبائهم وخضوعهم، ويظل هؤلاء الأطفال معرضين للخطر ؛ إذا بدرت أي بادرة من آبائهم بمعارضة الإمام أو استنكار جرائمه .

ولا يزال أبناء القبائل في سجون صنعاء وتعز وحجة .

* لم يكن في اليمن في عهده المظلم سوى مطبعة واحدة خلفها الأتراك واستولى عليها .

* لم تنشأ في عهده صحيفة يمنية واحدة سوى « الإيمان » التي كان يحررها هو، يشرح فيها فضائله ومعجزاته . ولا تزال اليمن إلى اليوم محرومة من الصحافة ، بل إن الصحف العربية محرم دخولها وبيعها دائمًا .

* في اليمن كتاتيب ، فليس في اليمن مدارس ابتدائية ولا إعدادية ولا ثانوية .

* وقد قتله اليمنيون وأفرغوا في جسده خمسين رصاصة بعدد السنين التي ظلل فيها اليمن بحكمه البغيض ، وقبره في صنعاء مشهور مزار .

* قتل إذن الإمام يحيى في عام 1948م، وتشكلت بعده حكومة جديدة برئاسة السيد عبدالله الوزير، ونشر اليمنيون الأحرار الميثاق الوطني المقدس وأشرفت اليمن على عهد جديد .

* وكان الإمام أحمد قد تمكن من النجاة والفرار؛ فأخذ ينظم القبائل ويحرضها على النهب والسلب .

* فلم يمض شهر حتى تكالبت الظروف من الداخل والخارج وأسقطت الحكومة الجديدة، ونهبت صنعاء، وعادت البلاد إلى قبضة الزبانية من جديد .

* استعاد الإمام أحمد الملك عام 1948م وبدأه بسلسلة من المجازر، وكان يقتل من يشاء دون تحقيق أو محاكمة .

* ولأن الإمامة نظام فوضوي ، فقد بدأ الصراع بين سيوف الإسلام إخوة الإمام وابنه فيمن يخلف هذا الإمام .

* أيد الأحرار في هذا الصراع البدر ابن الإمام أحمد لأنه أبدى استعداده لتحقيق مطالب الشعب .

* في أبريل عام 1955م حوصر الإمام أحمد، وأرغم على التنازل لأخيه سيف الإسلام عبدالله .

* استعاد الإمام سلطته فأعدم أخاه سيف الإسلام عبدالله، وأخاه سيف الإسلام العباس، وشرد أخاه سيف الإسلام الحسن، وأعدم مع أخويه أكثر من سبعة عشر رجلاً من الضباط والمشايخ والعلماء .

* لا يدري أحد ما تخبئه الأيام .

الحكم الإمامي والاستعمار

إننا معشر العرب أمة واحدة، لا لأننا نفكر هذه الأيام في وضع الأسس لوحدتنا العربية، بل لأننا هكذا خلقنا في منطقتنا وفي تاريخنا وفي أحاسيسنا، وفي مصيرنا المشترك الذي تجلى في القتال، وإن الجبهة الاستعمارية تود من أعماق قلبها لو استطاعت أن تلغي وحدتنا وتقضي على هذه الحقيقة الأزلية، وتجاري منطق التجزئة.. هذا المنطق السياسي الطارئ المفتعل الذي صنعته ظروف شاذة، بيد أن الجبهة الاستعمارية، لا تستطيع ذلك، بل ولا تستطيع أن تعاملنا منذ اليوم على أساس الأوضاع المجزأة المصطنعة، وذلك لأن المسألة بعد انبعاث الأمة العربية لم تعد مسألة كلام في كلام، بل لقد أصبحت معركة فعلية بيننا وبين الطامعين فينا مما يجعلهم في حالة عجز عن إخفاء شعورهم وإيمانهم بأننا أمة واحدة.

لقد اضطروا تحت ضغط المعركة القاهرة أن يصرحوا بأنهم يحاربوننا في القناة خوفًا على البترول، وجزعًا من ثورة الجزائر، وبهذا أعلنوا وحدتنا من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي.

فلنأخذ هذا الدرس عنهم ولنضع مناهج حياتنا على أساس هذه الحقيقة الأزلية.

ولنكن حذرين وواقعيين، ولنثابر حتى نصل إلى ما وصلت إليه الأجهزة الاستعمارية من معرفة لكل جزء من أجزاء وطننا العربي.

إننا اليوم ندرك وبجلاء أن الاستعمار لا يحاربنا في القنال من أجل القناة نفسها، بل من أجل المناطق العربية التي تقع في قبضة الاقتصاد الاستعماري والشركات الاستعمارية، هذه المناطق التي ورثتها دول الاستعمار منذ عشرات السنين ووضعت أجهزة إدارية لمواصلة بحثها وفهمها، ومعرفة كل شيء يجري فيها،

وللدول الاستعمارية اليوم في هذه المناطق العربية التي يجهلها العرب مئات من الاختصاصين في دراسة هذه الأجزاء العربية، التي لا نكاد نحن العرب نعرف عنها شيئًا. إننا داخلون مع الاستعمار في معركة طويلة مريرة، وليست معركتنا محصورة في ميدان واحد.. ولكنها في ميادين بعيدة المدى واسعة النطاق.

يجب أن نتوسع في فهمنا للوطن العربي، وأن ندرس أجزاءه، المجهولة الغامضة التي نسرد أسماءها الآن، فلا تحرك مشاعرنا ولا تثير اهتمامنا، بينما هي الهدف الأكبر لهذه المعركة الدائرة الآن.

ماذا صنعنا من أجل عمان، ذلك الجزء الكبير الخطير في وطننا العربي الغالي..؟

ماذا عملنا من أجل مناطق الخليج العربي وإماراته وسلطاناته..؟

كم عدد الأبطال المغامرين الذين مكنتهم شجاعتهم ونزعتهم القومية العربية من زيارة هذه الإمارات، أو دراستها، أو توطيد الصلات بينها وبين أجزاء الوطن العربي الأخرى..؟

لماذا نحجم نحن الحكومات والهيئات والأفراد عن ارتياد هذه الربوع العربية المجفوة المهملة..؟

إن رواد الاستعمار الأوائل قبل عشرات السنين كانوا يغامرون بزيارة هذه المناطق ويجازفون بحياتهم في سبيل الارتباط بها، وهم أجانب عنها، فاستطاعوا أن يحققوا للإمبراطوريات الاستعمارية تركة من العبيد والأجراء والجماهير الكادحة العارية الجائعة، تكدح وتعمل من أجل توفير الرفاهية لشعوب الإمبراطوريات السعيدة؛ حتى ينبعث رجل مثل إيدن فيصيح بملء فيه (إن جمال عبد الناصر يهدد كل بيت في بريطانيا بالفقر والجوع..).

ونحن كلنا نعلم أنه لا مصر ولا سورية ولا لبنان هي الأجزاء العربية التي يخشى الاستعمار أن تفلت من يده.. فقد أفلتت من قبل وتخلصت من قبضته، ولم يعد يحلم بأن يعتمد عليها في توفير الرفاهية لبلاده.. وإنما يخاف الاستعمار على الأجزاء المجفوة المهملة المنسية أن يتنبه إليها العرب وأن يذكروها، وأن يفطنوا إلى ما

تدره على الاستعمار ، وما تضمه في جوانبها من ثروات هائلة دفينة . . بعد أن انبعثوا انبعاثًا حقيقيًا بقيادة رجل عبقري يقال له جمال عبد الناصر . .

فلنحقق للاستعمار مخاوفه لأنها مخاوف حقيقية . . فالاستعمار لم يجزع ولم يستعر دمه المتبلد ؛ إلا لأنه يعرف أننا نستطيع أن نصنع شيئًا كثيراً لهذه الأجزاء المهملة من بلادنا ، وإننا نحن رغم تأخرنا وضعفنا سوف نكون في هذه المناطق العربية أقوى من الاستعمار وأقدر منه على التأثير ، وأنفذ منه إلى أعماق الشعب العربي الذي يعيش هناك . . ولأننا سنصل وسنعمل لأننا وإياهم شعب واحد . .

لماذا لا نضع مناهج قومية واسعة النطاق لتنظيم رحلات وزيارات ودراسات لهذه المناطق العربية . . ؟

ولماذا لا نبث فيها دعوتنا القومية في الصحف والنشرات . . ؟ لماذا لا نخصص لها في إذاعاتنا برامج خاصة تستهدف بعث مشاعر شعبنا الذي يعيش في تلك الربوع القصية . . ؟ لماذا لا نمد أيدينا للطلائع الواعية من الأحرار في هذه الأجزاء . . ؟ لماذا . . ؟ ولماذا . . ؟

أسئلة كثيرة ؛ تعجب وتدهش للإمكانيات الكثيرة التي نملكها ولا نتتفع بها ولا نفكر فيها .

اليمن

لم يكن إهمال العرب مقصوراً على المناطق الواقعة تحت سيطرة الاستعمار ، بل إن هذا الإهمال يشمل المناطق التي لا تزال مستقلة ، بل إننا لنرى الأجزاء العربية التي وقعت في يد الاستعمار لم تنلها يد المستعمرين إلا لأننا أهملناها من قبل ، ولأن الاستعمار في البلاد العربية المتقدمة كان يوجهها توجيهًا إقليميًا شعوبيًا ، يحملنا على ألا نفكر إلا تفكيراً محليًا ضيقًا ، وقد كانت نتيجة ذلك أن سقطت هذه الأجزاء الغالية من يدنا واحدة بعد الأخرى ، حتى كانت النكبة الكبرى وضاعت فلسطين وعندئذ تنبه العرب وأدركوا الخطر الذي يحيط بهم . . ولم تكن نكبة فلسطين هي النكبة الأولى ، بل إنما جاءت في أعقاب سلسلة من نكبات عربية

صامتة خرساء . . والفرق بين نكبتنا في الأجزاء الأخرى أن الشعب العربي في فلسطين كان شعبًا واعيًا حوله أجزاء الوطن العربي الواعية التي كانت محتكة به ومدركة لمأساته . . لكن المناطق المنكوبة البعيدة لم تكن تتمتع بمثل هذا الوضع، لذلك فقد مرت بها الكوارث والنكبات دون أن يشعر بها أحد أو يرثيها أو يذرف عليها دمعة . .

لقد أتى حين من الدهر على قضية فلسطين كانت فيه مشكلة سهلة الحل يسيرة العلاج ، ولكن العرب لم يكن عندهم من الإحساس القومي ما يدفعهم إلى التضحية في سبيل الحلول اليسيرة الرخيصة التي يطلب العون من أجلها أبناء فلسطين . . وجاء اليوم الذي يود العرب فيه لو افتدوا هذه الأرض المقدسة بكل ما عندهم من جيوش وأموال ، وبكل ما يملكون من إمكانيات . . إن هذا درس يجب ألاّ ننساه ، وألاّ نسمح للأحداث أن تسوقنا إلى نكبات تشبه نكبتنا في فلسطين . . وأن يكون عندنا من الوعي السياسي ما يجعلنا نعالج النكبة قبل أن تصبح نكبة . .

وها نحن الآن أبناء منطقة من المناطق العربية المهملة جئنا إلى البلاد العربية روادًا للشعب العربي ، نضع بين يديه مصير قطر عربي مستقل من أغلى الأقطار العربية على العرب . . ذلك هو القطر اليمني الذي عرف العرب وقرءوا عنه في كتب التاريخ والجغرافيا بأنه البلاد العربية السعيدة ، وظلوا بهذه المعلومات الغامضة في قناعة صوفية عجيبة لا يطلبون شيئًا وراءها يزيدهم من المعرفة والإحاطة بمصير هذا الشعب وحياته وظروفه . .



الإمام وابنه البدر

استقلال اليمن

منذ أكثر من أربعين عامًا استقل جزء من اليمن بعد جهاد طويل مرير قام به الشعب ضد الاحتلال التركي ، وكلنا يعرف أن الاستقلال عند كل الشعوب وسيلة وليس غاية ، ورغم هذه الحقيقة البسيطة الواضحة فإن الرأي العام العربي ظل طوال هذه المدة يكتفي في علاقته باليمن بمجرد الاغتباط بأن اليمن بلد مستقل . . ورغم أن حكام اليمن ظلوا طوال أربعين عامًا قابعين في جنوب جزيرة العرب معتزلين بشعبهم عن الأمة العربية . . عزلة قاسية مريبة ، فإن مهمة العرب لم تزد على مجرد الاغتباط باستقلال اليمن ، ولم تتطور بتطور الوعي العربي ، والاتجاهات الحديثة نحو تفسير الاستقلال وفهمه .

لقد نشأت في البلاد العربية في مطلع القرن العشرين خرافة رائعة تفيض بسلسلة من الأخطاء والنظريات الساذجة . . تلك الخرافة هي أن العرب أصبحوا يعللون

كل النكبات في اليمن، وكل الجهل والفقر، وكل الإباحية والإرهاب، وكل عملية من عمليات الإبادة لعرب اليمن بأنها كلها محافظة على استقلال اليمن . . وخوفًا عليه من المستعمرين الطامعين، وتعارف الرأي العام العربي على الاستسلام لهذه النظرية الساذجة الخطيرة . . وكأن الأمة العربية كلها قد أجمعت على إباحة الشعب العربي في اليمن لفرد واحد. أو لعائلة واحدة تنكل به وتطحنه طحنًا وتلغيه من دنيا العروبة بحجة أن اليمن دولة عربية مستقلة، ويعجب اليمنيون، ويتألمون ويستغيثون من العذاب الذي يعانونه . ويستنجدون شهامة الأمة العربية . . فلا يجدون إلا الرد التقليدي الذي سمعوه منذ أربعين سنة . . فاليمن مستقلة وحكام اليمن خائفون على استقلالها . . فلنمسك على هذا الجزء في البلاد العربية لأنه مستقل، ولنصم أسماعنا عن كل نداء لهذه الملايين العربية التي تعيش فيه . . عجبًا . . لقد أصبح في البلاد العربية بلدان عربية مستقلة إذن فلماذا لا ينطبق عليها هذا المنطق السياسي الذي تفرضه على شعب اليمن . . ؟ لماذا كل هذه الصحف في البلاد العربية . . ؟ لماذا كل هذه المدارس . . ؟ لماذا كل هذه الإدارات . . ؟ لماذا كل هذه المنافع الإصلاحية . . لماذا هذه الأحزاب والهيئات والبرلمانات والوزارات . . ؟ لا شك أنها ليست من أجل الاستقلال لأن الاستقلال في هذه البلاد أصبح شيئًا واقعًا . . بل إنها في سبيل حياة الشعب العربي . . تلك الحياة التي هي الغاية للاستقلال ولولاها ما كان هناك مبرر للتضحية والاستماتة من أجل الاستقلال .

لماذا لا يفرض هذا المنطق العجيب على الأقطار العربية الأخرى . . ؟ لماذا لا يطلب من الشعب العربي في مصر وفي سوريا ولبنان أن يعلن العطلة الأبدية عن ممارسة أي عمل من أعمال الحياة، وأن يتنازل عن كل حق من حقوق الإنسان، وأن يعيش فقيرًا جاهلاً محرومًا مكبلاً بالأغلال والقيود، صابرًا خائفًا، راضيًا عن حكامه ما داموا حكامًا يحافظون على الاستقلال .

إننا كلنا ندرك أن معركة القناة انبعثت عن معركة السد العالي، ذلك المشروع الذي يستهدف سعادة الشعب العربي في مصر، ورفع مستواه الاجتماعي وخلق قوة حقيقية تبعث هذا الشعب وتجعل استقلاله حقيقيًا وتعطيه المناعة ضد أي خطر يهدد استقلاله ، ومن هنا نستنتج على البداهة أن الاستقلال ليس شيئًا حقيقيًا ثابتًا إذا لم يحصن نفسه بقوة الشعب اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا وعسكريًا . .

ماذا صنع حكام اليمن من أجل المحافظة على الاستقلال؟

إن الخرافة السائدة في الرأي العام العربي القائلة بأن حكام اليمن يخافون على الاستقلال ويتصرفون في سياستهم على هذا الأساس . . هذه الخرافة لا تستطيع أن تقف أمام أية مناقشة . .

دعونا نستعرض هذه البديهيات :

حكام اليمن لم يبنوا مدرسة حديثة واحدة منذ أربعين عاما ؛ لأنهم يخافون من الاستعمار ، حكام اليمن لم يستقدموا لأربعة ملايين من البشر إلا ستة أو عشرة من الأطباء ؛ لأنهم يخافون من الاستعمار ، ولتأكيد هذا الخوف فإن الأطباء دائما من الطليان والإنجليز والفرنسيين ، ويندر جداً أن يستقدموا طبيبا عربيا واحدا .

حكام اليمن لا يسمحون للشعب بإصدار جريدة ولا بناء مدرسة ولا مكتبة ولا استقدام آلة كاتبة ، ويحرمون على أبناء الشعب الاتصال بالبلاد العربية بأية وسيلة من الوسائل .

حكام اليمن يجيعون الجيش اليمني ويذلونه ، ويدعونه حافيا ، ويحملونه على جمع الحطب لنفسه ، يطبخ الطعام لنفسه ، ويعيش في أماكن لا تعيش فيها الحيوانات ، ويجعلونه عالة على الشعب ، يقتحم بيوتهم ، ويسلب منهم قوتهم ، لأنهم يخافون من الاستعمار .

حكام اليمن يتهربون من كل المشاريع ، فلا يقبلون أي اتفاقية ، ولا يقرون أي مشروع ، إلا إذا أخذوه حبرا على ورق . . لأنهم يخافون من الاستعمار . حكام اليمن تبذل الدول العربية لهم كل معونة في حقل التعليم والزارعة والطب والمالية والإدارة . . وتعرض عليهم قبول أساتذة عرب ، وينصحهم كل زعيم وكل هيئة وكل حكومة عربية مخلصة فيرفضون ذلك كله ولا يستجيبون لأي صرخة من صرخات الحياة ، ولا لأى مطلب من مطالب الشعب العربي في اليمن . . ذلك محافظة منهم على استقلال اليمن !! أليس كذلك؟ إن وجود خوف حقيقي من الاستعمار يقتضي من الحكومة الحذرة الخائفة . . أن تنتهج طريقين اثنين سلبيًا وإيجابيًا .

أما الطريق السلبي فهو أن تتجنب التورط في الارتباط مع الدول الأجنبية الاستعمارية ، وأما الطريق الإيجابي فهو أن تدعم استقلالها بأسباب القوة والمنعة ماديا ومعنويا .

فلنتساءل عن تصرف الحكومة اليمنية في الناحية السلبية :

إنها لم تحذر من الارتباط بالدول الاستعمارية لقد ارتبطت بإيطاليا في علاقات قوية ، حتى لقد كان موسوليني يعتبر اليمن الحبشة الثانية ، وكان وزراء الإمام يحيى يتقاضون مرتبات من إيطاليا بصورة ثابتة وعلنية وبمعرفة الإمام يحيى نفسه ، وحينما قامت الحرب السعودية الإمامية طلب الإمام يحيى من إيطاليا النزول في المخا ، ونزلت القوات الإيطالية فعلا بميناء المخا ، و قدمت لحاكم الميناء الشيخ محمد أحمد نعمان برقية الإمام يحيى التي تطلب منها النزول في هذه المدينة ، ولكن الشيخ نعمان رفض هذا الأمر ، وقال إن البلاد ملك للشعب لا للإمام .

وفيما يتعلق بصلة اليمن بالإنجليز نجد الإمام يحيى يتسلم بعد عهد الأتراك معظم المناطق التي يطلقون عليها المحميات اليمنية ، التي كان الأتراك يحكمونها ، حتى لقد كان الإنجليز لا يطمحون بالبقاء هناك ، بل إنهم كانوا يعترفون بشيء من حق اليمن في عدن في أن تعين قاضيا شرعيا يستمد سلطته من الإمام .

وقد وفد كثير من رجالات هذه المناطق وزعماء حضرموت وعلمائها يطلبون من الإمام أن يحكم بلادهم ويمد سلطته إلى هناك ، حيث كان الإنجليز عاجزين عن التوغل في تلك المناطق الشرسة الأبية . . ولكن الإمام يحيى كان يتنصل من ذلك تنصلاً غامضًا لم تعرف مبرراته ، إلا يوم انكشف فيما بعد أن الإمام كان قد تفاهم مع الإنجليز سرًا على أن يساعدوه على طرد الأدارسة من بعض مناطق تهامة في مقابل أن يطلق أيدي الإنجليز في المحميات .

ولقد تحقق هذا الاتفاق فامتد نفوذ الإنجليز إلى كثير من المناطق التي كانت تابعة لليمن ، واستحكم نفوذ الإنجليز في المناطق التي لم يكن لهم نفوذ يذكر .

إن الأتراك جلوا عن اليمن بما فيها معظم المناطق التي يسمونها اليوم المحميات . . ولما تسلمها الإمام يحيى سالم الإنجليز ، وترك لهم الأجزاء المحتلة ورفض نداء الشعب الذي كان مصممًا على الوحدة .

لقد جاء الإمام يحيى واليمن جزء منها محتل بيد الأتراك والجزء الآخر محتل بيد الإنجليز . . فحارب الأتراك حتى جلوا عند هزيمتهم في الحرب العالمية الأولى . . ولكنه لم يحارب الإنجليز ، بل ولم يسمح للشعب اليمني في الأجزاء المحتلة أن ينضم إلى اليمن الأم . . وذهب إلى أبعد من ذلك ، فعقد معاهدة مع الإنجليز لأربعين سنة تقضي بوضع ثلثي اليمن في يد الإنجليز الذين يكونوا قد تمكنوا من التسلط على القبائل هناك ، وبسط سلطان حقيقي عليها ، فكانت هذه المعاهدة بمثابة الإذن بالاستعمار ، ومن هنا نعرف أن الإمام يحيى لم يكن متصلبًا مع الإنجليز ولا متعصبًا ضدهم ، بل لقد منحهم مناطق واسعة من اليمن بمحض اختياره ، ولو أن حكومة من الحكومات الوطنية تنازلت وسكتت عن جزء كبير من أرضها للاستعمار مقابل استقلال الجزء الآخر لجردها الناس من الوطنية ، وحكموا عليها بالخيانة والمروق .

ولقد عقد الإمام يحيى معاهدات عديدة مع دول أجنبية ، واستقدم الأطباء من هذه الدول . . ولكن فيما يتعلق بالدول العربية كان دائمًا منعزلاً حذراً لا يقبل التعاون الحقيقي مع أية دولة عربية ، وإذا اضطر إلى نوع من التعاون فإنه لا يقبل إلا على أساس أنه حر في أن ينفذ أو لا ينفذ ، فكان كل اتصال له بالعرب وكل اتفاق معهم يبقى حبراً على ورق .

تلك هي الطريقة السلبية التي سلكها الإمام يحيى في سبيل الاستقلال ، وهي طبعًا لا تصدق دليلاً على تزمت حكام اليمن ، وتصلبهم ضد النفوذ الأجنبي . . وأما الطريق الإيجابي الذي كان يجب أن تسلكه حكومة اليمن لتدعيم استقلالها فهي أهم من الناحية السلبية وأكثر دلالة على نفسية الحكام . إنه من الممكن أن يقول الناس إن حكام اليمن لم يرتبطوا بالدول الأجنبية خوفًا على الاستقلال . ولم يبنوا إلا ثلاث مستشفيات صغيرة . . . ولم يبنوا مدرسة ابتدائية واحدة خلال أربعين عامًا خوفًا على الاستقلال . . . ولم يسمحوا لشعبهم بإصدار صحيفة واحدة ولا استقدام مطبعة ولا آلة كاتبة ولا تأسيس مكتبة أو ناد أو فندق أو مصنع أو شركة ، ولم يفكروا في بناء سد واحد من عشرات السدود التي كانت قائمة في اليمن قبل آلاف السنين ، ولم يصلحوا الجيش ولم يعلنوا ميزانية الدولة منذ أربعين سنة ، ولم

يؤلفوا وزارة شعبية ، بل ولم ينظموا إدارة واحدة حديثة ولم يُعَبِّدوا طريقًا ، ولم يحاكموا فردًا واحدًا من مئات الأفراد الذين قتلوهم بالسيوف والسجون، ولم يعنوا أي عناية بصحة الشعب أو غذائه أو ثروته أو زراعته أو تعليمه، فلا يزال كل شيء في اليمن كما كان قبل ألف سنة، وليس في البلاد أي أثر للحكومة إلا القصور والضياع التي كان يملكها الأمراء والسيوف .

ولا يمكن أن يقال بلغة المنطق إن هذه الأوضاع البالغة السوء إنما كانت نتيجة لخوف الحكام على استقلال اليمن .

إن أكثر من نصف مليون يمني هاجروا من مزارعهم وقراهم خوفًا من بطش الحكام. . . وذهبوا يعيشون في أقطار مستعمرة . ويعانون المذلة والهوان والتشرد في نكبة لا تقل عن نكبة النازحين الفلسطينيين . .

فهل نستطيع أن نفسر تشريد الشعب بأنه جزء من السياسة الاستقلالية التي ينتهجها حكام اليمن . . . ؟

إن تحطيم الشعب وإذلاله وإفقاره وتجهيله وتقطيع أوصاله وحرمانه من كل حق من حقوق الحياة؛ لا يمكن أن يكون تفسيرًا للخوف من الاستعمار . فالاستعمار لا يمهد له شيء كما يمهد له هذا الحكم الرجعي المدمر .

إن الحالة السيئة في اليمن أصبحت هي الدعامة الأولى للاستعمار في جنوب جزيرة العرب ، بل وفي الخليج العربي . . إن الإنجليز في هذه المنطقة يشعرون بأن اليمن منطقة أشبه بالمناطق المعزولة المحرومة المنزوعة السلاح. . . والإنجليز بذلك يستفيدون من هذا الوضع، ويطمئنون على نفوذهم، ويمارسون في هذه المنطقة استعمارًا فذًا لا يحتاجون في حراسته إلى جيوش ولا أساطيل؛ لأنهم يعتمدون على وجود الحكم الإمامي الرجعي المدمر الذي يجعل أبناء الشعب المستقل يلوذون إلى المناطق المحتلة بل ، إن الأمر لأدهى من ذلك وأمر، فقبائل المحميات الحرة الأبية والشباب الحر كل هؤلاء يحسون بروح القومية والتحرر تجري في أعراقهم ويودون أن يساهموا بالنصيب الأوفر في معركة الحرية ولكنهم لا يجدون سندًا عربيًا إلى جوارهم . . بل يجدون نكبة مروعة خرساء تحل بشعب اليمن وتجعل

الإنجليز يباهون بالحكم الاستعماري ، ويفخرون به عند المقارنة بينه وبين الحكم في اليمن المستقلة ، مما يفت في عزائم المناضلين الأحرار . . وبدلاً من أن يصبح الحكم الاستعماري مهربًا للجنود اليمنيين والعمال والفلاحين والتجار ، وبدلاً من أن يخاف الاستعمار .



آل الحسيني .. شقيقان من أبطال القبائل ، في ساحة الإعدام

من انضمام المناطق المحتلة إلى المناطق المستقلة ، أصبحنا نخاف نحن اليمنيين المستقلين أن ينهار الجزء المستقل فيلاقي مصير القطاع المحتل .

لقد اتصل الأحرار بعدد من سلاطين الجزء المحتل وذوي النفوذ ، واستنكروا رضوخهم للحكم الاستعماري في عصر التحرر والقومية ، فكانوا يردون ردًا ساخرًا ولاذعًا قائلين :

أتريدون مزيداً من الرءوس لتذبحوها ، أم تريدون أن نملأ لكم السجون بعد فراغها ، أم تريدون أن تضموننا إلى آلاف المشردين اليمنيين في أنحاء العالم . . أم تريدون أن تدمروا المدارس القليلة التي استطعنا أن نبنيها في بلادنا . أم تريدون لنا مصيراً كمصير القردعي والرصاص وقبيلة الزرانيق ورؤساء الحجرية وتعز والعدين وآل نعمان وآل أبو راس وغيرهم و غيرهم . .

لو كـان في اليـمن حكومـة حرة لاسـتطعنا أن نناضل ونكافح وأن نكون أحـراراً . . . تلك نظرة مؤلمة قاسية . فالأحرار هناك يجدون أنفسهم بين نارين ، بين الحكم الاستعماري الغاشم وبين حكم القرون الوسطى وعصر الغاب .

والأخطر من ذلك أن الإنجليـز يتـخـذون من هذه الأوضـاع مـادة شيطانيـة ، يسممون بها الشعور القومي وينفرون الشعب في اليمن المحتلة لا من حكام اليمن فحسب بل من العرب جميعًا . إنهم يقنعون الأمراء والسلاطين بأن السياسة العربية سياسة عائلات تتآمر ضد الشعوب . . . ويقولون هاهي اليمن . . وأنتم تعرفون ما تعانيه ؛ ماذا صنعت البلاد العربية من أجل شعبها . . ؟

وهكذا نجد الأمراء في المناطق المنسية المجفوة ، وإنهم ليصرحون بأنهم لو وجدوا عونًا أو عناية أو وجدوا دولة في اليمن ؛ لكان الوضع يختلف عـما هو عليه الآن اختلافا شديداً .

ولقد اعترف أمين عام الجامعة العربية الذي زار بعض هذه المناطق بأن إصلاح الأحوال في اليمن هو الطريق الناجح لتحرير الأجزاء المحتلة .

ونود بهذه المناسبة أن نقرر حقيقة لا سبيل إلى إغفالها ، وهي أن روح الثورة في مصر وما تبثه في دماء العروبة من حياة ، كان لها الفضل الأكبر لهذه السنين الأخيرة في تحطيم المشاريع الاستعمارية التي وضعها الإنجليز .

لقد أعادت إيمان العرب بأنفسهم وصنعت مثلاً أعلى من الحكام الأحرار ، لا يستطيع الاستعمار أن يطعن فيهم أو ينال من مكانتهم .

والحق أنه لولا ثورة مصر ومثلها العليا ورسالتها القومية التي تبثها في صوت العرب ، لكان الاستعمار في اليمن المحتلة قد دخل في أخطر مراحله ، ولربما كان استقلال اليمن كلها قد أصبح خبراً من الأخبار .

وهناك حقيقة أخرى هي أننا نعترف الآن ولا نذيع سرّاً إذا قلنا أن اليمن العربي كله سواءً منه المحتل أو المستقل إنما يعيش اليوم بخيط واحد من الأمل وهو الأمل في الروح القومية التي انطلقت في مصر وسوريا والأردن ، فإذا تخلت عنا هذه الروح أو انطفأت لا سمح الله فسوف تسقط اليمن كلها في هاوية لا يعرف مداها أحد .

والجزء المستقل من اليمن ليس كما يظن البعض نقطة انطلاق للأحرار ضد الاستعمار . ففي عدن شبان كثيرون يعانون الاضطهاد، ولكنهم لا يفكرون في الالتجاء إلى اليمن المستقلة بأي حال من الأحوال؛ ليأسهم من الحرية فيها بأي شكل من الأشكال حتى حرية الدعاية المنظمة ضد الإنجليز، بل إن الأمر أشد عسراً وغرابة من هذا. لقد نفى أحد الشبان عن عدن وهو من رعايا الإمام، وقد اختار عندما نفاه الإنجليز أن يطلب منهم ترحيله إلى أفريقيا الشرقية بدلاً من اليمن، رغم أنه من أنصار الإمام ومن رعاياه . وأعجب من هذا كله سلطان لحج السابق فضل عبد الكريم الذي هرب إلى اليمن؛ ولكنه لم يجد أي مجال يشجعه على مجرد البقاء في اليمن فانتقل إلى المملكة العربية السعودية لاجئًا سياسيًا.

تلك هي سياسة الحكومة المتوكلية ومواقفها من قضايا الوطن ، وتلك هي خرافة الخوف على استقلال اليمن ، والتزمت المزعوم في العلاقات الدولية سواءً في عهد الإمام يحيى أو في عهد الإمام أحمد .

إنها حكومة أضاعت ثلثي اليمن بمحض اختيارها وسلمت شعبنا للاستعمار وخذلت الأحرار المناضلين ، ووقفت من أمراء المنطقة وسلاطينها مواقف منفرة حملتهم على الرضوخ للإنجليز، ثم إنها منذ هادنت الأتراك لم تفكر في الوقوف بوجه الإنجليز في معركة واحدة كما فعلت ضد الأتراك . كما أنها لم تعد نفسها ولا جيشها ولا شعبها الإعداد الذي يحوط اليمن من الأخطار التي قد تتعرض لها في يوم من الأيام ، بل بالعكس حطمت الشعب وقطعت أوصاله وفرضت عليه الفقر والجهل والسجون والمرض حتى أصبح لقمة سائغة للاستعمار.

إن الحكومة اليمنية ملزمة منذ زمن طويل بتحسين حالة الجيش اليمني وتدريبه وتسليحه؛ حتى يستطيع أن ينهض بالأعباء الملقاة على عاتقه ، وكان في إمكانها الاستعانة بالدول العربية في هذا المجال، ونحن نعلم أنه ما من دولة عربية ترفض أن تبعث إلى اليمن أفضل ضباطها لتدريب الجيش اليمني .

إن الإمام يحيى تسلم من الأتراك الجزء المستقل من اليمن، وهو مستقل استقلالا تامًا . وإذن لا يمكن أن يقال بأنه قام بأي جهد من أجل الاستقلال؛ لأن الاستقلال

كان أمراً واقعًا ، وإنما توزن مواقفه الاستقلالية إزاء الإنجليز في الأجزاء اليمنية المحتلة وإزاء الدول الأجنبية بعد ذلك .

لقد ضاع ثلثي اليمن في غير معركة وفي غير حرب ، وظل أربعين عامًا يحكم الجزء المستقل فلم يعد الجيش ولم يحضر البلاد لمعركة فاصلة لتحرير الجزء المحتل ، وهو بهذا يحمل مسئولية تاريخية ثقيلة لا تكاد تحمل مثلها دولة عربية أخرى .

ثم انغمس في التعاون مع إيطاليا إلى حد السماح لوزرائه بتقاضي المرتبات من موسوليني ، وإصدار الأوامر للقوات الإيطالية بالنزول إلى ميناء المخا ، و كان يعتمد في استقدام الأطباء والخبراء على الدول الأجنبية دون العرب .

وفي آخر أيامه في عام 1948 استقدم بعثة أمريكية للتنقيب عن البترول في سائر أنحاء اليمن ، حتى منعه الشعب وقامت المعارضة في وجهه ، فعدل عن ذلك . وجاء ابنه الإمام أحمد وأعلن في أول الأمر أن الشركات الأجنبية خطر على الاستقلال ، وأنها استعمار مقنع ، وبعد حين قصير بعث أخاه الحسن إلى أوربا ، فعقد معاهدة سرية مع شركة ألمانية للتنقيب في اليمن ، رغم المعارضة الشديدة وتدخل زعماء العرب وتحذيرهم له .

وأخيراً جاءت الشركة الأمريكية الأخيرة فمنحها الإمام أحمد امتيازا واسعًا للتنقيب عن جميع المعادن في معظم أنحاء اليمن ، وقد أقدم على هذا رغم تحذير الجامعة العربية والأحرار اليمنيين ، ورغم علمه بأنها شركة صهيونية يتزعمها صهيونيون عالميون .

سياسة الخداع

وبعد ؛ فإن حكام اليمن لم يجيدوا شيئًا كما أجادوا الضحك على الرأي العام العربي والتلاعب بمشاعره ومخادعته وتضليله ، ولم يحسنوا شيئًا كما أحسنوا التمثيل وإجادة أدوار البطولة الزائفة الكاذبة .

وهذه أضواء تكشف حقيقتهم هذه :

لقد جاءت ثورة مصر ، وكانت صدمة عنيفة لهذه الفئة أن ترى فاروق يخرج طريداً مهزوماً أمام الأحرار . وأن تشهد مصرع الملكية وقيام الجمهورية . . جمهورية الشعب التي تزيح عنه ظلم السنين . رأوا كل هذا ، ورأوا أن القاهرة قد أصبحت مصدر إشعاع للوطن العربي كله . . فلم يقفوا ضد التيار . . وإنما تمالكوا أعصابهم وأخفوا حقيقتهم . . وتوافدوا على القاهرة أميراً بعد أمير . . يصطنعون الابتسام . . ويتكلفون الرضاء . . ويلتقون برجال الثورة . . وبرجال الصحافة . هنا وهناك ويتحدث كل أمير في همس عن أماله وأحلامه وعن عطفه على الشعب وثورته على الأوضاع الفاسدة وهو الذي صنعها هو وعائلته . .

وظن الرجال الذين لم يتعودوا الكذب ، ولم يألفوا النفاق أن أمراء اليمن قد يكونون صادقين وأنه يجب أن تمد لهم حبال الصبر . . والمسألة مسألة وقت . . ومبالغة في الخديعة قَبلَ الإمام أحمد أن توفد مصر بعثة عسكرية من خيرة ضباطها لتدريب الجيش اليمنِي وتنظيمه . . وخرجت البعثة ومعها كميات من الملابس العسكرية والأسلحة الحديثة والبرامج والمشروعات لتكوين جيش يمني حديث . ووصلت البعثة وبدأ صراع مصطنع . . أين تقيم البعثة . . في صنعاء . . في تعز . . في الحديدة . . ويظل الأمر هكذا ، والضباط المصريون في دار الضيافة في تعز لا يعملون شيئًا . . حتى مر عام . وعادت البعثة إلى القاهرة . . وظهر حكامنا على حقيقتهم . .

ولم يمر وقت طويل حتى سارعوا أو بدءوا بلعبة جديدة يخدعون بها الرأي العام العربي . . فانضموا إلى ميثاق جدة . . ووصل الإمام أحمد بنفسه إلى جدة ووقع مع الرئيس جمال عبد الناصر والملك سعود الميثاق ، وجعل جيشه تحت قيادة اللواء عبد الحكيم عامر . . ورضي الرأي العام العربي واستبشر ، وكان اليمنيون وحدهم هم الذين يعرفون الحقيقة .

وقد نشر الأحرار بيانًا في ذلك الحين أعلنوا فيه تأييدهم المطلق للميثاق ، ولفتوا النظر إلى أنه من جانب حكام اليمن سيظل حبراً على الورق .

وتحررت السياسة العربية من الخضوع للغرب ومدت يدها للمعسكر الشرقي . فتقدم الإمام الصفوف وأرسل ابنه البدر لزيارة الاتحاد السوفيتي . .

وبكل بساطة . . بل لعله استغرب الضجة التي أحدثها خبر احتمال زيارة الرئيس جمال عبد الناصر لروسيا . . واستغرب أن يعلق الناس هذه الأهمية على مجرد زيارة . . ! أجل إن الأمر لا يعدوا في نظر حكام اليمن أن يكون زيارة . . فسحة . . . طائرة روسية تحمل الأمير إلى موسكو . . ويتجول في أنحاء الاتحاد السوفيتي وقبل عودته يوصي على كمية من السكر الروسي والسلام عليكم . . ! والناس هنا في الوطن العربي . . ينظرون في إعجاب إلى هذه الزيارة . . وينتظرون نتائجها . . ويسترسلون في الأحلام . واليمنيون وحدهم هم الذين يعرفون الحقيقة .

وعقدت مصر صفقة الأسلحة . . ذلك الحدث التاريخي الذي قلب الأوضاع في الشرق الأوسط رأسًا على عقب . . ونظر حكام اليمن إلى بعض وقالوا : بسيطة . هيا نشتري شوية أسلحة من تشيكوسلوفاكيا ؛ حتى ننافس جمال عبد الناصر، وينظر إلينا الرأي العام العربي كما ينظر إلى جمال . . وشاع أمر الصفقة وذاع . . وظل الناس ينتظرون . . وذات يوم وصلت باخرة إلى ميناء الحديدة . . وكان الجنود على الميناء ينتظرون الصفقة . . ونزل من الباخرة شيء . . حمل إلى دار الضيافة . . وتوجه الجنود إلى ضابطهم يعاتبونه لأنه أخفى عنهم أن الصفقة ستصل إلى الحديدة ذلك اليوم . . فأبدى الضابط دهشته واستغرابه وأقسم لجنوده أنه لا يعرف شيئًا عن هذه الصفقة ، فقال له الجنود لقد وصلت الصفقة فعلاً ، وهي هناك في دار الضيافة، اذهب . . واستقبلها . . !

فخرج الضابط الشاب مهرولاً ووصل دار الضيافة وأنفاسه تتصاعد ، وصعد إلى الدور العلوي حيث وجد عمال دار الضيافة ملتفين حول . . حول ماذا . . ؟ حول فتاة رائعة الحسن والجمال ، تتكلم الإنكليزية بطلاقة أحضرت من تشيكوسلوفاكيا .

ونزل الضابط فوجد جنوده أمام باب دار الضيافة يضحكون . . فابتدره أحدهم قائلاً : متى يبدأ التدريب على الأسلحة الجديدة ، يا حضرة الضابط؟ وقد قالوا فيما بعد إن باخرة قد وصلت فعلاً إلى ميناء الصليف تحمل كمية من الأسلحة . . ووصلت الباخرة وظلت بعيدة عن الشاطئ تحاول إنزال السلاح . . ونزل السلاح

بعد جهود شاقة . . وكان الرجال الذين أحضروا السلاح ينظرون من على الباخرة إلى العمال اليمنيين وهم يسحبونه سحبًا بالحبال ويجرونه بين الرمال . . وكانت المشكلة التي واجهت المسئولين اليمنيين هي أنه ليس لديهم سلاح للمهندسين، ولا سلاح صيانة، ولا مخازن، ولا عربات نقل، بل ولا رجال يستطيعون أن يشرفوا بمعرفة على نقله وحفظه وتكديسه. وكان اليمنيون وحدهم هم الذين يعرفون الحقيقة.

وجاء الاختبار الحاسم . . اعتدت إنجلترا وفرنسا وإسرائيل على مصر وكان العدوان على العالم العربي كله . وكانت هذه الحقيقة واضحة للعيان من اللحظة الأولى . وانتظر الناس أن تنفذ الدول العربية المتحالفة التزاماتها فوراً. وقد قال الرئيس جمال عبد الناصر في خطاب له فى أثناء العدوان في الجامع الأزهر إن الرئيس القوتلي والملك سعود والملك حسين قد اتصلوا به في الأيام الأولى للعدوان، وأبدوا استعدادهم للدخول فوراً في المعركة ووضعوا جيوشهم وإمكانياتهم كلها في الميدان ولم يذكر الرئيس شيئًا عن هذا الإمام. . لم يذكر الرئيس أنه قد اتصل مجرد اتصال وسأل مجرد سؤال . .

قد يقال إن أحداً لم يكن ينتظر أن يساهم هذا الكسيح في المعركة . . ولكن اذكروا يا رجال أن هذا الرجل لم يقطع حتى العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا ولا زالت مفوضيته موجودة في لندن حتى اليوم ورغم العدوان على اليمن نفسها . .

بل إن مسئولاً يمنيّا كبيراً قال إن الإمام كان قد طلب من فرنسا بعض مشتريات فى أثناء العدوان وإنهم ذكروه أن هذا لن يظل سرّاً وسيعرفه الجميع .

إننا نقولها بصراحة ونحن على ثقة وعلى يقين مما نقول . . لقد كان الإمام أحمد ورجاله يودون من صميم قلوبهم أن يحقق العدوان كل نتائجه . . كان الإمام أحمد يريد من أعماق أعماقه أن يختفي جمال عبد الناصر وأن تختفي الثورة في مصر، وأن يقضى على القومية العربية الصاعدة . . كان الإمام أحمد ونحن نتحدى كل من يكذب هذا يريد أن ينهزم الشعب العربي في معركته . . وأن تنطفئ هذه الشعلة المتقدة.

وكان اليمنيون وحدهم الذين يعرفون الحقيقة . . .

وانتصر العرب . وتوهجت الشعلة من جديد و أقوى مما كانت . . فماذا يفعل هذا الإمام .

لا بد أن يعمل شيئًا . . لا بد أن يظهر نفسه أنه ضحية عدوان . . وأنه نفسه بطل صنديد ؟ عدو للاستعمار . تماما مثل جمال عبد الناصر .

وبدأت حوادث اليمن . وكان الإنجليز حساسين هذه المرة بعد هزيمتهم في بور سعيد . . فبدءوا هم يستعيدون هيبتهم ويثبتوا لليمنيين في القطاع المحتل أنهم لا يزالون كما كانوا ، وبدأ الرأي العام العربي يرهف السمع لأحداث اليمن . ويظنها جادة ضد الاستعمار . وبدأ المتطوعون الأبطال يسجلون أسماءهم في شجاعة وشهامة .

وكان اليمنيون وحدهم هم الذين يعرفون الحقيقة . . .

وبعد؛ فهذه الحقيقة يتجاهلها الكثيرون في غمرة الحماس وينسونها . .

هذه مصر في ظل الملكية الفاسدة العابثة كانت اثنين وعشرين مليونًا من النفوس . . وكانت القنال في يد الشركة الاستعمارية المستغلة . . وكان النفوذ الأجنبي متغلغلا فيها . . وكانت روسيا موجودة . . والدول الإفريقية الآسيوية موجودة . . والسلاح؛ كانت المصانع في الدول الشرقية قد أنتجته وصنعته منذ زمان طويل والأمم المتحدة كانت موجودة . . وبنفس النظام . . مصر هذه في ظل الملكية الفاسدة سقط من بينها عشرات من الشباب الجامعي على شواطئ القنال . . مصر هذه خاضت كثيرا من المعارك العسكرية والسياسية . . وكان العالم هو العالم . . وكانت مصر تنهزم دائما . . لم تنتصر أبدا . .

واليوم هذه مصر . . مصر الثورة . . مصر الجمهورية . . مصر الشعب . . مصر العرب ـ خاضت هذه المعركة . . وانتصرت . . انتصرت لا ضد إنجلترا وحدها . . بل وفرنسا وإسرائيل . .

هل أنتم جادون . . هل تريدون النصر . . . ؟

قولوا معي . . تسقط الإمامة الفاسدة من جذورها .

ولتحيا الجمهورية . . .

والله أكبر . . .

والمجد للعرب . . .

وقــالـت لي الأرض لما ســألت : «أيا أم هل تكرهين البــشـــر؟»

«أبارك في الناس أهل الطمـــوح ومن يســـتلذ كـــوب الخطر»

«وألعـن من لا يماشي الزمـــان ويقنع بالعـيش ، عـيش الحجر»

« هو الكون حي يحب الحـــيــاة ويحـتـقـر الميت مـهـمـا كـبـر»

« فـلا الأفق يحضن ميت الطيور ولا النحل يلثم مـــيت الزهر»

«ولولا أمـــومـــة قلبي الرءوم لما ضـــمت الميت تلك الحـــفـــر»

فـويل لمن لم تشـقـه الحـيـاة من لعنة العـــدم المنتـصـــر!»

الشـابي

بشيء من التفصيل أتناول قصتنا معهم.. مع حكام اليمن.. وأنا مضطر إلى هذا ، فقد يظن الناس ، حين نتناول الموضوع بصورة مجردة أننا نبالغ ونتجنى .. لأن الحقائق الرهيبة في حكم هؤلاء الأسياد قد بلغت من البشاعة حدًا لا يصدق ..

أجل.. هذه قصتنا معهم .. نسوقها لا لأهميتها.. ولكن .. لونًا من ألوان التعسف والتجبر .. لونًا من ألوان الفوضى والانحلال والفساد في الفئة التي تحكم اليمن..

الحسن والبعثة

في نهاية 1952غادر اليمن للمرة الأولى سيف الإسلام الحسن الذي كان رئيساً للوزراء ونائبًا للإمام في صنعاء ، وقطبًا من أقطاب الرجعية والجهل والتعصب . . وقد دعته البعثة اليمنية إلى دارها بحلوان وأقامت له حفلاً كبيراً دام ساعات ، وقد سمع في هذا الحفل ما لم يسمعه في حياته ، ولم يكن يحلم أنه سيقع في مثل ذلك الشرك، وأنه سيحاسب على تصرفاته وقسوته وأن الشباب سيقف منه الموقف الباسل، وقد خرج من دار البعثة وهو لا يكاد يصدق أن أولئك هم أبناء اليمن الذين عهدهم في بلادهم وادعين، قانعين، ساجدين حامدين الله الذي أنعم على بلادهم به وبعائلته المقدسة . خرج وتبعه الطلاب إلى القاهرة، ينبثون في كل محفل ويتصلون بكل ناد ويستنجدون بكل شهم من رجال العروبة، للتأثير على هذا الأمير وإقناعه وتحريره من عقليته الرجعية المتحجرة . كان الشباب يريد أن يغير هذا الأمير القاسي رأيه في الحضارة. . . هذا الأمير الذي عاش حياته يعذب المواطنين ، ويستنزف أرزاقهم ، ويزج بالأبرياء في السجون والمعتقلات . . . هذا الأمير الذي جعل رسالته في الحياة أن يشنها حربًا لا هوادة فيها ضد العلم والحضارة وضد كل شيء جديد . . وقف الشباب موقفهم الباسل هذا منه ليذكروه أن طريقته وطريقة

إخوانه في حكم الشعب لم تعد ذات موضوع، وأنه قد آن للشعب أن يتنفس الصعداء ، وأن يزاح عنه الكابوس الذي جثم على صدره أربعين عامًا .

لقد كان الناس ينتظرون أن تكون زيارة السيف الحسن هذه لمصر وللعالم الخارجي بداية الانطلاق . . كان المنتظر أن تنتهي العزلة التي فرضت على الشعب ، والتي حرمته النور والعلم والسير في ركب الحياة والمدنية . . كانت حجتهم دائمًا أن هذه العزلة ضرورية للحفاظ على الاستقلال والسيادة الوطنية . . ولكن هذا هو الحسن يشهد بنفسه معالم الحضارة في مصر . . . هاهو قد زار المدارس والجامعات والكلية الحربية والجيش ومصانع الأسلحة . . . ها هو قد رأى بنفسه آثار العلم ونعيم المدنية . . وفي بلد عربي حر مستقل .

وكانت الأفكار مركزة والجهود مبذولة لإقناع الحسن بهذه الأمور البسيطة اليسيرة :

الحذر وعدم المخاطرة بتوقيع اتفاقيات مع الدول الاستعمارية تؤدي في النهاية إلى السيطرة على البلاد في وقت يخوض فيه العالم العربي كله معارك للخلاص من النفوذ الأجنبي .

الاستعانة بالحكومات والشركات والخبرة العربية لإصلاح دائرة الحكم في اليمن، وتكوين جهاز إداري سليم والنهوض بالتعليم وإصلاح حال الجيش ، والرقي باقتصاد البلاد .

والإفراج عن المعتقلين الذين قضوا أكثر من سبع سنوات في سجونهم . وغادر الحسن القاهرة وفي نفسه ما فيها . . وزار إيطاليا وألمانيا والعراق وإنجلترا . . وعاد إلى صنعاء . . وهناك كان الناس يتوقون إلى رؤيته وسماع كلامه ومعرفة أفكاره . وفي مدرسة صنعاء، راح الحسن يبكي أمام طلابها . نعم بكى الحسن ، وعلا نشيجه وتساقطت دموعه . أسفًا وحسرةً وخوفًا من الله . على طلاب البعثة الذين رآهم في القاهرة . قال الحسن والعبرات تخنق صوته إن هؤلاء الطلاب قد كفروا وقد أصبحوا زنادقة . . لأنهم لم يعودوا يوقرون خليفة رسول الله وسيف الإسلام الحسن زين العابدين . . قال الحسن إن ضميره يوبخه، وإنه يخشى الوقوف أمام

الله . فالمسئول عن مروق هؤلاء الطلبة هي هذه الأسرة المالكة المقدسة . . لأنها هي التي بعثتهم إلى القاهرة وهي التي دلتهم على المدارس ، والدال على الشر كفاعله . . بكى الحسن أمام طلبة صنعاء الصغار لأن إخوانهم قد أفسدتهم القاهرة . . ومدارس القاهرة وصحافة وإذاعة القاهرة . . وكان يعلو نياحه كلما تذكر مسئولية والده الشهيد ومسئولية العائلة كلها في خروج هؤلاء الطلبة من المعبد الكبير . . اليمن . . وانغمارها فيما بليت به الدنيا هذه الأيام من أفكار ودراسات شغلتهم وألهتهم عن ذكر الله والتفكير في فضائل الأئمة المجددين . . ومناقب أمير المؤمنين . . وسيوفه الميامين . . قال الحسن هذا: إن خروج البعثة كان غلطة منكرة يبرأ منها ويستغفر الله .

هذا الأمير . . زار الجيش في صنعاء أيضًا . . وخطب فيه . . وقال للجيش اليمني . .

أنتم أعظم جيش في العالم . . لقد زرت مصر ، ورأيت جيشها ، وزرت العراق . . وزرت إيطاليا وزرت ألمانيا . . ورأيت جيوش هذه البلاد . .



سيف الإسلام الحسن في حديقة الحيوان ..!

أنتم أعظم جيش في العالم . . لأنكم تشبهون جيش رسول الله . !

وفي القاهرة كان سموه ينزل بفندق الكونتنتال وذات مساء ، سأله البعض عن انطباعاته ورأيه في القاهرة وأنوارها . . فلم يزد أن قال : تبذير . . !

مستحيل أن تكون هناك يمن حديثة على رأسها هذا الأمير ، سيف الإسلام الحسن، وجاء القاهرة سيف الإسلام عبدالله وقوبل بنفس الجرأة والحماس .

أهوال الاستبداد

وفي هذا العام بالذات ، 1952 كانت الدفعة الأولى من طلبة البعثة قد انتقلت إلى كليات الجامعة المختلفة بالقاهرة . . وبين الانتصارات المتلاحقة التي يحققها شعب مصر . . وفي هذا الجو الثائر الذي عاشته مصر بعد طرد فاروق . . هل كان من الممكن أن يعيش طلاب البعثة اليمنية ودماء الشباب الفوارة تسري في عروقهم وهم يشهدون وطنهم الجريح ودماءه تنزف وخيراته تستغل ، وكرامته تداس وبنوه يعيشون في الهوان . . ؟ هل كان في إمكان الشباب أن ينسى أن له وطنًا يعيش في ظلام القرون الوسطى . . وما قبل القرون الوسطى وشعوب الكون قد استفاقت وخطت وتحررت ؟ هل كان في إمكان الشباب أن يتجاهل هذه الثورات التي تتفجر في كل بقعة من بقاع وطننا العربي . هل في مقدور الشباب أن يتجاهل معارك الحرية التي يخوضها العرب ضد السيطرة والرجعية والتحكم؟ وثورات وانفجارات في مراكش وتونس والجزائر ، في مصر وسوريا والأردن. . وفي كل مكان. . ماعدا الجزيرة العربية . . الحالمة. . النائمة. . المسبحة بحمد الله والشاكرة لنعمائه على ما وهبها من أمراء وسلاطين و إقطاعيين. . !

الحياة بنورها وتجددها تدعونا إليها . . وأسيادنا يسحبوننا إلى أعماق الظلام. . ! لقد كنا نخجل. . كنا نرى كل وطن. . وبه حركات وطنية متسلسلة. لا تهدأ ولا تقف. . كنا نرى الشعوب كلها زاخرة بالمكافحين الأحرار. . وكنا نتلفت إلى هناك. . إلى حيث تعيش الملايين من مواطنينا. . فلا نسمع إلا الأنين . . ولا نسمع إلا وقع السياط. . ولا نسمع إلا زمجرة الأسياد ولا نسمع إلا صراخ المظلومين. . وأنات المعذبين كنا نتلفت من حولنا. . فنرى الحياة تدب. . والتطور سنة الحياة والأحياء. . ونمد أنظارنا إلى هناك . . إلى حيث آبائنا وأمهاتنا. . إلى حيث إخواننا و أعمامنا. . إلى حيث الملايين من مواطنينا محرومة من كل نور ومسلوبة من كل حق. . صابرة على القسوة والوحشية لا تبدي حراكًا، وإذا سمع

منها شيء . . فليس إلا الأنين والنحيب وحشرجة الموتى . . وصراخ الأرامل واليتامى . .

قرأنا أهوال الاستبداد . . أيام كان هناك قياصرة في روسيا . . وشاهدنا في السينما نزوات نيرون . . وقرأنا في المدارس تاريخ ثورات قامت في هذا الجزء من العالم أو ذاك . . فاهتزت ضمائرنا . . وعرفنا بعد هذا كله . . أن ما يحدث في بلادنا . . هو ظلم . . هو الظلم بعينه . . هو لون صارخ من أقسى ما عرفته البشرية من صنوف التعذيب والوحشية والغلظة . .

رأيناهم في كتاباتهم يهاجمون الطغاة الذين عذبوا شعوبهم . . ورأيناهم في الكتب يمجدون الشعوب التي ثارت . . وينتقدون التعسف والظلم . . ورجعنا بأفكارنا إلى بلادنا . . فإذا بنا نجد أن كل ما وصفوه من الاضطهاد والتنكيل والتعزير ليست شيئًا يذكر بجانب ما يقاسيه أهالينا في اليمن . . لقد تفتحت عيوننا أول ما تفتحت ونحن نرى مواطنينا يفدون على صنعاء جماعات جماعات . . ينتشرون في الشوارع والأزقة والحواري . . وكنا في « مكتب الأيتام» . . وكانت أعمارنا الصغيرة لا تسمح لنا بالتمييز . . والتفكير . . أجل كانت هذه الجماعات تتوافد على العاصمة . . على الخليفة . . خليفة المسلمين . . أمير المؤمنين . . المتوكل على الله رب العالمين . . من تهامة . . كانت تتوافد لأنها جائعة . . فتك بها الجوع . . فخرجت من قراها رجالا ونساء . . هائمة على وجوهها . . وظلت تهيم وتتعثر في خطاها . . وفي الطريق يتساقط الأطفال . . والنساء والشيوخ . . صرعى، ويظل الشباب . . ويستمر الرجال . . يسحبون خطاهم إلى صنعاء . . عاصمة مملكة ابن رسول الله . . وفي صنعاء . . يمنع أمير المؤمنين هذه «السوائم »أن تقترب من مقامه « الشريف» . . فتدق أبواب البيوت . . « يا مؤمنين . . حاجة الله » وتمتلئ بهم المساجد والشوارع والحارات . . ويفتك بهم الجوع فيموتون . . ويقدم أهل الخيرات فضلات موائدهم فيتناولها هؤلاء . . فيموتون . . لقد ظلوا أيامًا لا يأكلون فإن واصلوا الإمساك ماتوا . . وإن أكلوا ماتوا . .

كنا نخرج إليهم بما تبقى في «قروانتنا» ونقدم لهم ما تبقى من «كدمنا» من خبزنا، ونتداعى لنشاهدهم يلتهمونها التهامًا، ونقدم لهم بعد هذا كوزًا من الماء،

ونتجمع حولهم ، لنرى المشهد الأخير . . حشرجة الأنفاس . . طلوع الروح . . هل نسي أهل صنعاء هذا؟ هل نسوا أنهم ملوا هذه المناظر وتعبوا ؟ وأنهم كانوا يضعون خمسة أجساد وستة في حفرة واحدة . ؟

أجل ، هذا لون مما شاهدناه ونحن أطفال . . هذا بعض ما وقعت عليه عيوننا ونحن صغار ، وكنا لا نعرف أن هذا هو ما يقولون له ، الظلم ، كنا لا ندري ما هو الطغيان ، لم يحدثونا عنه شيئًا . . كنا فقط نسمعهم يسبحون بحمد الله . . عفواً بحمد الإمام . .

كانوا يقولون لنا في المكتب الذي نقرأ فيه إن الإمام هو الذي ينفق علينا . . وإننا أيتام وهو يتصدق علينا ويؤوينا ، كانوا يجمعوننا كل مساء في طوابير طويلة ، ويجعلوننا نردد ، الله يحفظ الإمام . . الله يحفظ الإمام . . كانوا يأخذوننا كل جمعة لنرى عساكر الإمام . . فيرهبوننا بها ، ويقولون لنا . . هذا كله ملك للإمام وكنا نمر أمامه ، وننكس علم بلادنا ونحن نمر أمامه . . كانت تختلط علينا الألفاظ : الإمام ، الله ، الإمام ، الله . . فقد كان اسم الإمام متداخلاً مشبوكًا مع اسم الله : أمير المؤمنين المتوكل على الله يحيى بن المنصور بالله ، نصره الله ، وكنا نساق إلى الجوامع يوم الجمعة فنسمع الخطبة الثانية وهي كلها تدعونا إلى أن نردد مع الخطيب بصوت عال آمين ، بعد كل اسم من أسماء أجداده وآبائه ، من الإمام علي ، إلى اسمه ، كلهم منصور بالله . . هادي إلى الله . . وكيل الله . . نعوذ بالله . . وكانت سننا الصغيرة لا تبين لنا الفارق الدقيق بين الإمام . . والله . . أجل . . لن أواصل . . فقد لا أنتهي . كل الظروف إذن كانت تهيب بنا أن نعمل . . أي عمل . . وبأنا وقد وضعنا أرجلنا في الكليات نعمل . .

ونواصل دراستنا في آن واحد . . ولكن هل تركونا؟

لقد تنبهوا إلى الخطر . . لقد شعروا أن عنصراً جديداً على وشك الظهور ؟ . . فبدءوا يعملون . .

أبرق السيف الحسن بمجرد وصوله إلى إيطاليا إلى المفوضية اليمنية في القاهرة، يطلب انتقال مجموعة من الطلبة الجامعيين إلى إيطاليا لمواصلة الدراسة

هناك . . فهمنا مباشرة أنهم قد قرروا تشتيتنا . . وإبعادنا عن القاهرة الثائرة . . رفضنا . . وقدمنا حججًا ومعاذير مختلفة . . ذهبوا إلى ألمانيا . . وعادوا إلى القاهرة . . وأعادوا نفس النغمة . . لماذا لا تنتقلون إلى ألمانيا للدراسة . . ؟ تهربنا . . عادوا مرة ثالثة وأمروا آخرين بالانتقال إلى لندن . . وهددوا البعض بقطع مرتباتهم وإعادتهم إلى اليمن إن لم يسافروا . . وقد اعتذروا وكانت المعاذير في هذه المرة التي قدمها بعض الزملاء طريفة ومضحكة لا يحسن ذكرها لأنها تتصل اتصالا مباشراً واضحًا بشباب قد تسبب لهم بعض المتاعب .

واستمررنا في دراستنا . . وتكون اتحاد اليمنيين الأحرار بالقاهرة ومرت الأيام . . وجاء صيف 1954 وخرجت مجموعة من الشباب لزيارة الوطن . وفي صنعاء قرر الإمام أن يوفد ابنه سيف الإسلام البدر لحضور أعياد الثورة في القاهرة وذلك بعد زيارة الصاغ صلاح سالم لليمن . . وزيارة الملك سعود للإمام في صنعاء وأمر الإمام بسفر اثنين [1] من الطلاب الواصلين لمرافقة ابنه في هذه الزيارة .

بلقيس.. أين هي ..؟

وقد انتهت زيارة البدر لمصر فعدنا معه إلى اليمن حيث قضينا ثلاثة أشهر في صنعاء وتعز والحديدة . . ونحن مدينون لهذه الأشهر الثلاثة بالكثير . . لم يكن أحد قبلنا من طلاب البعثة قد قضى باليمن مثل تلك الفترة . . لقد عرفنا كيف تحكم بلادنا عمليًا . لقد احتكينا بالقبائل . . بالعساكر . . بالموظفين . . بالشباب . . بالتلاميذ الصغار وتبينت لنا عقلية الطبقة الحاكمة . . ونظرتها إلى الحياة والأحياء . . وحكمها على الحضارة وعلى الكون الذي لا يخضع لنفوذ الأسياد وطاعتهم . . لقد كنا نشعر أننا عدنا فجأة خمسمائة سنة إلى الوراء . . لقد كانت تساورنا كثير من الوساوس وتعاودنا أفكار . . غريبة غاية في الغرابة . لقد قررنا في الحديدة أن نتبنى الدعوة إلى أن تكون اليمن شعبًا بلا حكومة . . ملكت علينا هذه الفكرة إحساسنا وشعورنا . . وكنا نأخذها مأخذ الجد . . حاولنا أن نتلمس أي أثر من آثار

---

(1) محمد أحمد الرعدي، محسن العيني.

الحكومات«الشريفة» التي تعاقبت على بلادنا منذ ألف عام. . فلم نجد أثرًا ، اللهم إلا بعض المؤسسات هنا وهناك كان الأتراك في أثناء وصولهم اليمن قد شيدوها لعساكرهم أو مراكز لإدارتهم أو مستشفيات وقد حولها أسيادنا الشرفاء إلى معتقلات وسجون وقصور لهم ولنسائهم . .

كل ما جنته بلادنا من الحكومات هو الذل والعبودية والاستسلام. . لقد كان العربي يعيش في جرف في أعلا الجبل يغني ويضحك ويمرح ويخرج للصيد، فلا يعود إلا ومعه غزال يشويه ويأكله وعائلته وصحبه ، وكان هذا العربي لا يقبل بحريته بديلاً، إن العربي ما عرف إلا حرا، فما الذي حوله هكذا، ذليلاً، جبانًا، خاضعًا مستسلمًا.

هذا إذا تجاهلنا أنه على أرضنا عرفت البشرية الديمقراطية والشورى والحكم الشعبي لأول مرة في التاريخ الإنساني . . ألم يقل القرآن الكريم على لسان بلقيس ملكة سبأ ﴿ يَأَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ . . أفتوني ما رأيكم ، لن أقطع في الأمر حتى أسمع ما عندكم، هذه بلقيس اليمنية الخالدة هل كانت ملكة؟ وهل كان النظام في اليمن ملكيًا . . كلا إنها الجمهورية . . أليست بلقيس هي التي تقول﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ .

لكأن هذه اليمنية الكبيرة تنظر عبر القرون إلى بنيها اليوم وقد أذلهم الملوك وأفسدهم الطغاة، وأحنوا جباههم، وقضوا على كل عزة فيهم وأنفة، لقد قطعوا أوصال البلاد . . ونشروا الحقد والحزازات والضغائن بين بنيها، سلطوا قرية على قرية وقبيلة على قبيلة، ومذهبًا على مذهب، لقد أفسدوا الأخلاق وخربوا الذمم وجعلوا البلاد مسرحًا للرشاوي والمحسوبيات ، ومرتعًا للدس والوقيعة. .

وكأني بها وهي تشهد بنيها وقد تسلطت عليهم الحماقات وعزلوا عن الدنيا وسكان الدنيا ولم يسيروا مع تيار الإنسانية بحجج سخيفة بلهاء.

أجل لقد عمل حكامنا على مر الأيام على فصل اليمن عن الكون كله، لقد علموا أبناء اليمن أن الدنيا كلها كافرة ضالة ، وأن الغرب والمسلمين قد تخلوا عن

الدين والتقاليد والأخلاق، وأن القابض على دينه كالقابض على الجمر وأن الجمرة هذه لا وجود لها إلا في اليمن . .

هل ننسى ذلك الخطيب المسعور الذي وقف في الحديدة يهاجم الدنيا كلها، ويلعن العلم والحضارة ويسخر من الصحافة والراديو ويتهكم على العرب ويلعن المسلمين، هل ننساه وهو يتحدث عن فضائل حكامنا ويعيد، وكأنه يتيه على الدنيا فخراً وزهواً . . يردد عبارات الادعاء والدجل والخداع وكأنه يسبح . . كأنه يتبتل!!

لقد ظل هذا وأمثاله يرددون هذه الأسطوانات على اليمنيين في كل مجتمع . . ظل الشعب مستسلمًا لهؤلاء الدجالين وهم صباح مساء يلعنون له الدنيا ومن عليها . . لقد قضوا على كل معنى للحياة ويعيش اليمنيون موتى ينتظرون على حافة القبور أن يهال عليهم التراب . .



سموم يجرعونها للشعب منذ ألف عام

وعدنا إلى القاهرة وكانت الامتحانات قد بدأت . ولم يمر وقت طويل حتى سمع الناس تفاصيل حركة جريئة في تعز، هو الانقلاب اليمني الثاني في أبريل سنة 1955.

ثورة عام 1948

هذا الانقلاب اليمني الثاني الذي فوجئ به الناس في أبريل سنة 1955 هل قام به الجيش؟؟ ما دوافعه . . ماذا وراءه ؟ ما سره؟هل رحب به الشعب ؟ ما كان موقف الأحرار منه ؟أسئلة كثيرة تتوارد على الخواطر ولا أستطيع الاسترسال دون التوقف عند هذا الحدث السياسي الهام .

الواقع أن الحركة الوطنية اليمنية التي بدأت منذ قبيل الحرب العالمية الثانية ما تزال غير واضحة الجوانب في أرجاء الوطن العربي كله بل وفي اليمن نفسها . لقد وجهت هذه الحركة أول ضربة قاصمة مذهلة إلى الاستعباد في الوطن العربي ، هل يعرف العرب شيئًا عن الثورة التي اندلعت في اليمن عام 1948 والطغيان في أوج انتصاره في هذه المنطقة كلها؟هل عرف العرب شيئًا عن ثورة قامت في اليمن الجزء العربي المعزول الذي يحيط به الاستعمار من جانب والاستبداد من جانب آخر . . ؟

أجل ، إن الحركة اليمنية لا يعرف عنها أحد شيئًا . . ولست أنا الذي أؤرخ لها ، بل أدع هذا لأبطالها وفي مقدمتهم الأستاذان: أحمد محمد نعمان ومحمد محمود الزبيري . . ولكني سألقي بعض الضوء على الأحداث اليمنية منذ حركة 1948 حتى انقلاب أبريل عام 1955.

كانت العمليات الأولى للثورة التي اندلعت في أواخر عام 1948 هي الإطاحة بالإمام يحيى حميد الدين أكبر ملوك العرب قداسة ومكانة ، وبرئيس وزرائه القاضي عبدالله العمري الذي ظل رئيسًا للوزراء طول حكم الإمام يحيى ، وباثنين من سيوف الإسلام أبناء الإمام يحيى هما الحسين ، والمحسن ، وقد استلمت الحكم حكومة برئاسة الإمام السيد عبد الله الوزير ، ونشر اليمنيون الأحرار الميثاق الوطني المقدس لأول مرة في تاريخ اليمن . . وبدأت الاستعدادات لدعوة جمعية وطنية تمهيداً لحياة برلمانية حديثة . . وعاشت الحكومة الجديدة قرابة شهر ، ساد فيها الأمن ربوع اليمن ، ولكن الملوك في البلاد العربية هالهم أن يطوح الأحرار بآلة الاستبداد والدجل والشعوذة في اليمن ، وأرادوا أن يقضوا على هذه الثورة رغم أنف

الشعب، رغم أنف الحرية والأحرار ليجعلوا من هذا عبرة للأحرار في كل جزء من أجزاء الوطن العربي، فتشاوروا واتفقوا على أن تحطيم هذه الثورة يجب أن يكون فوق خلافاتهم التقليدية، وقد علق عربي كبير هو الأستاذ أسعد الأسعد مندوب لبنان في لجنة الجامعة العربية التي أوفدت إلى الرياض من أجل حركة اليمن «لو اتحد ملوك العرب في قضية فلسطين كما اتفقوا ضد الأحرار في اليمن ما كان في فلسطين حكومة يهودية» . . اتفقوا وأرسلوا ممثليهم إلى الرياض ليكونوا على مقربة من الأحداث.

تجدد الأمل لهذا الأمير سيف الإسلام أحمد بن الإمام القتيل يحيى. . فعاد وأخذ يؤلب القبائل التي جوعها أبوه. . ويغريها بخزائن صنعاء وقصورها . . ويثير فيها الحقد ضد صنعاء ومن في صنعاء. . وقد أباح لهم كل ما في صنعاء حتى قصورهم . . قصور أبيه وإخوانه. . وأخذ يوزع الأموال والسلاح. . فاندفعت هذه القبائل طائشة مجنونة. . وهاجمت صنعاء العاصمة . . واستبسلت صنعاء. . ودافعت عن الحكومة الجديدة وظل القتال دائرًا على أبواب صنعاء أسبوعًا حتى انهارت المقاومة وفقدت كل أمل. . ففتحت الأبواب . . ودخلت القبائل مشحونة بالتعصب الأحمق الذي أثاره نيرون الجديد. وإن بقت المقاومة في مناطق مختلفة وخاصة في العدين التي ظلت المقاومة ولم تستسلم إلا بعد شهر من سقوط صنعاء في أيدي القبائل. واستعاد السيف أحمد الحكم وبدأه بسلسلة من المجازر البشرية الرهيبة . وكانت نتيجة الثورة آلاف القتلى في صنعاء وفي مناطق أخرى وقد أعدم الإمام أحمد الناصر لدين الله الجديد. . أكثر من سبعة وثلاثين رجلاً ضربًا بالسيف. . دون تحر أو تحقيق أو محاكمة. قتلهم بعد انتصاره مباشرةً.



الرئيس جمال جميل عربي من العراق قدم حياته من أجل اليمن العربية



هذه البركة من الدماء الزكية .. هي دماء بطل عربي من العراق
هو الرئيس جمال جميل .. قدم حياته فداء للحرية العربية في اليمن ..

واكتظت السجون بالمئات من رجال القبائل ، والضباط والعلماء والمفكرين والشبـاب . وكان الإمام في المناسبات الدينية والأعياد يخرج الأبرياء من هذه المعتقلات ويذبحهم أمام الناس في المدن المختلفة كحجة وصنعاء وتعز و الحديدة . . والعجيب أنه كان يذبحهم في المواسم الدينية وبعد صلاة الجمعة . وكان يتخذ هذا لونًا من ألوان التعبد والتقرب إلى الله . وكان الحاضرون يرددون بعد كل رأس يسقط . الله يحفظ الإمام . الله أكبر . على كل حال انتهت الحركة . وما من شك أنها هزة قوية عنيفة للحياة اليمنية وللفكر ، والرأي العام ، لقد ظلت اليمن خلال ثلاثين عامًا هادئة هدوء الأموات ، بعيدة عن التيارات العالمية ، والصراع الدولي . لا يدخلها أحد ولا يخرج منها أحد . لم تدخلها من منتجات الحضارة الحديثة سوى سيارة واحدة أو عدة سيارات للإمام يحيى ولأولاده . بلد في القرن العشرين تعيش تتناقل الأقاصيص على عنترة العبسي وعلى بن الجارية وأبو زيد الهلالي . وعن «أم صياد» والجن والعفاريت وقيام القيامة ورأس الغول . بلد معزول عن سكان هذا الكوكب لا يشاركهم حياتهم ولا يعرف ما عندهم . . ولا يكاد يتخيلهم . بلد كيانه الاجتماعي قائم على أسس القرون الوسطى . فلا يصله شيء مما تزخر به هذه الدنيا من نظم وأوضاع وأفكار . تصوروا بلدًا لا صحافة فيه ولا راديو ولا سينما ولا مطابع و لا مدارس ، ولا هيئات ولا جمعيات ولا أحزاب .

بلاد في القرن العشرين لا تدري شيئًا عن الطرق المعبدة ، والمواني ، والآلات والمصانع ، والعمال ورجال الأعمال ، والشركات والمشروعات .

هذه البلاد يحكمها رجل واحد ، واحد فقط هو الإمام يحيى المتوكل على الله رب العالمين . ولا يحتاج هذا الإمام لإدارات ومصالح ووزارات تساعده في عمله بل يكتفي بأولاده وزبانيته وقيوده وسجونه . هكذا كانت بلادنا . فأيهما أفضل . . الحياة في ظل هذه الأوضاع أم الانتحار . ؟

على هذا لا نملك إلا أن نقف وقفة تجلة واحترام لهذه الثورة التي قامت ، لا نملك إلا أن نحييها . وأن نعدها حدثًا هامًا ، وأن ننظر إليها كعامل من عوامل التحرير والتقدم في هذا الجزء من الوطن العربي .

إننا ننظر إلى هذه الحركة كعامل دافع إلى الأمام ، إنه التطور ، إننا نحبو . . وغداً سنقف على أقدامنا وسنخطوا . . ولكن معتمدين على جدار . . فهل يكون هذا الجدار قوياً . . يقاوم عوامل الفناء والانهيار . . ؟ المهم . . ألا ينهار على من اعتمد عليه .

نعم انتهت الثورة . . ثورة 48وذبح فيها زهرة شباب اليمن من ضباط وأساتذة ومفكرين ، ورجال قبائل . وشعبنا ينحني باحترام أمام جميع هؤلاء الشهداء الأبرار .

هل كسب الشعب في هذه الحركة . . ؟ نعم . . كسب الشعب ، وإلى أرواح الشهداء الذين خطوا السطور الأولى في صفحات الكفاح والبذل . . إلى أرواح أولئك الشهداء الأبطال ، نقول لهم إن دماءهم لم ترق سدى . . وإن أرواحهم التي صعدت إلى الله لم تزهق عبثًا ، وإن شعبنا سيذكر في مستقبل أيامه ، أنهم هم الذين شقوا الطريق . . وافتتحوا الاكتتاب .

هكذا تمخضت الأحداث ، الأحرار . . ذبح الكثير من رجالهم ، وامتلأت السجون بمن بقي . . و القليل جداً ممن نجوا وتشردوا . . البلاد كلها لقمة سائغة . . لأمير المؤمنين الناصر لدين الله أحمد بن يحيى حميد الدين ملك اليمن أعز الله نصره . . ولإخوانه السيوف المسلولين . .

ضيعة كبيرة يمرح فيها ويسرح ، الإمام أحمد وإخوانه وشركاه ليمتد . . سنوات أربعًا رهيبة مرت باليمن ، قسوة ووحشية وفظاعة في الداخل . . مطاردة وتعقب للمشردين في الخارج . سنوات أربعٌ والكابوس الرهيب جاثم على صدر الشعب فلا يستطيع أن يستأنف الصراع بطريقة منظمة جادة . . وأخيرا هبت نسمات منعشة من أرض الكنانة ، طرد فاروق . . فهبت رياح الحرية عاصفة عنيفة تطارد المستبدين والمستعمرين . . وتنعش آمال الأحرار . . وقد اتجهت أنظار اليمنيين إلى مصر . . الثائرة المتمردة على الطغيان ، وكانوا يتابعون الانتصارات المتوالية بالحماس والفخر والأمل والرجاء . . كانوا يشعرون أن جمال عبد الناصر يثأر للمظلومين جميعًا ، كانوا يرون في هذه الانتصارات ، هزائم المستبدين والآلهة في كل مكان ، ولم

يكن صراخ النساء وعويل الأطفال في قصور العائلة المالكة في اليمن وتجمعهن حول الإمام والسيوف ، لم يكن هذا الصراخ وذاك النعيب والعويل يوم طرد فاروق إلا تجاوبًا مع ما يدور في أذهان المظلومين في اليمن لقد كانوا يشمتون بالملوك المستبدين ، المستبدون قد تعاونوا وسحقوا حركتنا ، وعذبونا وشنقوا رجالنا وأبطالنا . . هاهو ذا قد جاء من ينتقم للشعوب ويسحق العتاة . . ويجدع أنوفهم . . ويعلن انتصار الشعوب . .

الإمامة

وصل الأستاذ محمد محمود الزبيري إلى القاهرة بعد الثورة مباشرةً . . وفي المطار قالوا له إنه في القائمة السوداء ولا يمكن دخوله . فقال لهم هذه القائمة قد احترقت يوم أرسلت المدفعية في سواحل الإسكندرية طلقاتها إلى الفضاء معلنة للدنيا أن مصر قد أصبحت أرضًا للأحرار ، ودخل الزبيري الأرض التي كانت منطقة حرام .

ومن جديد . . شيئًا فشيئًا . عادت الحركة اليمنية إلى الظهور . وبدأت الاتصالات في الداخل والخارج . وتبودلت الآراء . . وكان الأحرار في هذه المرة يستفيدون من أحداث حركة 1948وركزت الجهود في بداية الأمر لدعوة الإمام أحمد إلى إعادة النظر في سياسته . وكان المنتظر أن تجد هذه الدعوة أذنا صاغية لا سيما وقد عب من الدماء وشرب ما يكفيه . . ولأنه قد يتعظ ويستفيد من الأحداث التي مر بها أبوه وأسرته . . ومن غضبة الشعب التي لا ترحم ، ومما وقع في مصر وفي الأردن ، ولكن الإمام كان أكثر عنادًا .

وبدأت المحاولات الكثيرة لمعرفة مواقف الأمراء وسياستهم واتجاههم . كان من الجائز أن يغيروا أساليبهم وأفكارهم . . وأن يسيروا مع التيار العربي المتحرر حتى يجنبوا أنفسهم ونفوذهم السخط الذي ينتهي بكارثة . ولكن لا سيف الإسلام عبد الله ،ولا سيف الإسلام الحسن فكرا مجرد التفكير في تغيير خط السير . . لقد تبلدت أحاسيسهم ، فلم يعد زمام أنفسهم بأيديهم وبدأ العمل لإنقاذ الشعب من يد

هذه العصابة. وساءت صحة الإمام أحمد نتيجة تعاطيه بعض الأشياء الضارة. . اوكان من الطبيعي في ظروف كهذه أن يبدأ الصراع حول من يخلفه على العرش. وهي مواسم يعرفها اليمنيون جيداً منذ أكثر من ألف عام. وتاريخهم خلال هذه المئات من السنين ما هو إلا صراع متواصل من أجل هذا أو ذاك من أبناء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذ إن من أنس في نفسه أنه قد حفظ كتاب «المتن» عن ظهر قلب، وأنه قد توافرت له شروط الإمامة فإن عليه أن يهيئ نفسه وأن يستعد لإعلان نفسه إماماً على البلاد متخذاً لقباً: المتوكل على الله، الناصر لدين الله وكيل الله، المستعيذ بالله. السفاح لله. وهكذا وقد ولى أمر اليمن بهذه الطريقة أكثر من سبعين إماماً. كل واحد منهم يقضي السنوات في إخماد حركات القبائل والمنازعين له من السادة آل البيت فيدخل هذه المدينة وينهب هذه القرية، ويحل دم هذا أو ذاك من القبائل أو من الفقهاء. وتاريخ اليمن خلال هذا الحكم الهاشمي ما هو إلا صراع وحروب أهلية يذكيها الأسياد بالأحاديث النبوية والآيات القرآنية الكريمة. . يستبيحون بها الدماء. . وينتهكون الأعراض وينهبون الأموال.

وهذا نظام عجيب لا مثيل له في الأرض ولم ينكب به شعب من شعوب العالم غير اليمن. . ليس نظاماً جمهورياً. . ولا ملكياً. . ولا دكتاتورياً. . ولا فاشيستياً ولا نازياً. . ولا أي نوع من أنواع الحكم التي عرفتها البشرية على مر الأيام. . ولكنه يجمع بين أسوأ ما في هذه النظم جميعاً. . لم يتح للبلاد فترة من الهدوء والاستقرار تتفرغ فيها للتعمير والبناء. .

وفساده يأتي من أنه جعل لكل من توافرت فيه شروط معينه من أبناء فاطمة أن يعلن نفسه إماماً على البلاد. . ويحدث في الوقت الواحد أن يدعى الإمامة أسياد كثيرون. . هذا من صنعاء. . وذاك في شهارة. . وثالث في جبلة. . وما أن يموت الإمام حتى يبدأ هؤلاء في دعوة القبائل إلى حمل السلاح. . ويحرضونهم على الفتك بمنافسيهم. . ويبشرونهم بالجنة التي وعد الله بها عباده المجاهدين، ويدفعون هذه القبائل لقتال بعضها البعض باسم الله واسم كتاب الله و أبناء رسول الله. . وقد يحدث أن تعيش اليمن سنوات خاضعة لعدة أئمة. . فتعيش موزعة مشتتة منقسمة، ولم تتوحد اليمن منذ عرفت الأئمة إلا في فترات نادرة. .

ويكفي لفساد هذا النظام أنه يقوم على التعصب السلالي والعرقي والمذهبي والقبلي. . وهي كلها أمور أثبتت على مر التاريخ أنها لا تتفق مع كرامة الإنسان كإنسان. . ولا مع رخاء الشعوب واستقرارها. . ولا مع الحضارة والتقدم والسير الصاعد للحياة.

ويبدو أن الإنسانية في تاريخها الطويل لم تشهد نظامًا بشعًا كهذا. . يحل الحرب الأهلية الدامية. . وأن يقتل المواطنون بعضهم بعضًا دفاعًا عن نزوات هذا أو ذاك من المضللين الدجالين ذوي الأغراض والأهواء. . بل ويحل أن تقتتل العائلة فيما بينها. . وأن يقتل الأخ أخاه ويذبحه ذبحًا. . ويجري كل هذا باسم الإسلام المفترى عليه. . وباسم محمد بن عبدالله. . وعلي بن أبي طالب عليهما صلوات الله وسلامه ومع كل هذا الفساد الصريح فالدنيا ضالة كافرة. . واليمن وحدها في نظر أئمتنا المجددين هي التي يذكر فيها اسم الله . . محال أن تكون رسالة الإسلام هي هذا الهراء، محال أن تكون رسالة محمد بن عبدالله هي إخضاع العرب لهذه العائلة أو تلك . . وهو الذي حطم الأصنام. . وحارب العصبية. . وقاوم القبلية. محال أن يرضى بهذا الدجل والكهنوت . . وهذه الطلاسم والألغاز. . وهذه الأحاجي والمفتريات. . محال أن يأتي ليحصر الحكم والمناصب والثروات في عائلة. . محال أن يرضى محمد الرسول العربي أن يكون في المسلمين أسياد وعبيد.

لقد عذب شعبنا اليمني ونكل به وعاش أكثر من ألف عام في حروب وقتال من أجل آل محمد و أبناء علي. . وإنه لواضح وبيّن أنهما مظلومان ولا يقران هذا. . إن اليمن لا تزال مسرحًا لهذا العبث وذاك الاستهتار.

ولاية العهد

وقد حدث ما يحدث كل مرة منذ ألف عام كلما أشرف إمام على الزوال. بدأ سيوف الإسلام يتحفزون وبدأ الصراع، ولكن لا بين عائلات هذه المرة، بل بين أمراء من العائلة الواحدة. وكان واضحًا أن هناك معسكرين: معسكر البدر وهو

الابن الأكبر للإمام أحمد ، ومعسكر ثان يلتف فيه سيوف الإسلام عبدالله والحسن والعباس وبقية أفراد العائلة . .

اتصل الأحرار بالأمير البدر وتفاهموا معه، وعرضوا عليه وخاصة عند زيارته للقاهرة مطالب الشعب التي يرفضها سيوف الإسلام جميعًا ولا يقبلون مجرد الكلام فيها، والتي يعتبرها الأحرار الأساس لكل نهضة وكل إصلاح، وقد نشرها الأحرار في « مطالب الشعب» وفي «أهداف الأحرار» . . ويمكن إبراز أهم نقاطها في : وزارة شعبية لا يشترك فيها سيوف الإسلام . . بل تتألف من أبناء الشعب وتكون مسئولة . . ومجلس شورى يتكون من ممثلين لطوائف الشعب المختلفة تبعث إليه القبائل والمدن نوابها ، يتولى هذا المجلس رسم السياسة العليا للدولة في شئونها الداخلية والخارجية وتكون الوزارة مسئولة أمامه ، عدم الارتباط بالدول الاستعمارية باتفاقيات أو معاهدات ، والتعاون مع الحكومات العربية المتحررة . .

وحتى تنتهي المجازر التي تحل باليمن كلما هَلَّ إمام أو مات ، طلب الأحرار من الإمام أحمد أن يفصل الأمر قبل موته، حتى تستقر الأحوال ويسود الأمن وتهدأ البلاد، وطلبوا من الإمام أن يعلن ابنه البدر وليًا للعهد . . ومرت فترة والبلاد من أعلاها إلى أدناها لا حديث لها إلا ولاية العهد . . كان الممكن أن يعلن الإمام أحمد ابنه وليًا للعهد وتستقر الأمور وتهدأ، ولكن الإمام ظل مترددًا حائرًا تتنازعه عاطفة الأبوة وحنانها، وحب الفتك بالشعب والطغيان والاستبداد بأموره وإبقاء الأوضاع كما هي .

كانت هاتان الرغبتان الشريفتان تتنازعان الإمام : حبه لابنه، وحرصه الشديد على تعذيب شعبه العزيز ، إن استسلم لعاطفته الأبوية وأعلن ولاية العهد فإن الشعب سيفلت من قبضة الزبانية سيوف الإسلام . وما يعدونه من وسائل السيطرة والتحكم ، والإمام لا يريد أن يفلت شعبه العزيز من العنف والرجعية والعنجهية«الشريفة» .

وإن انضم الإمام إلى معسكر عبدالله والحسن والعباس ومن معهم فسيحقق

بذلك أغلى أمانيه، ولكنه سيضيع على ابنه ـ وهو ابنه على أي حال ـ فرصة الإمامة والعرش.

ظل الإمام متأرجحًا لا يهدأ ولا يقر له قرار، يحب ابنه ولكنه يكره الأحرار وابنه مرشحهم، يكره الأمراء الآخرين، ولكنه معجب بهم وبما يعدونه للبلد.

هذا هو حال الإمام..

أما الأمراء، فقد تكتلوا جميعًا لدفع الخطر عن مجد الأسرة وتراث الآباء.. لقد تجمع سيوف الإسلام ومعهم أعضاء الأسرة حتى النساء وحتى الأطفال ضد ولاية العهد للبدر، وتكتلت مع الأسرة المالكة العائلات الرجعية كلها، تجمعت القوى كلها ضد البدر، وكان السبب الوحيد هو أن البدر مرشح الأحرار، وأن عهد البدر هو عهد الأحرار، وأن البدر قد اعترف بحقوق الشعب، وقد أقر أهداف الأحرار وألا يظل الحكم حكرًا لفرد أو لأسرة أو طبقة، بل للشعب كله.

وزاد قلق السيوف عند زيارة البدر التي قام بها إلى مصر واجتماعه باليمنيين الأحرار واتصاله بهم علنًا وارتباطه أمام الناس جميعًا بالحركة التقدمية، كذلك اتصاله الوثيق برجال الثورة في مصر، وكان من الأسباب أيضًا تأثره بأفكار وآراء قادة مصر وعزمه على التعاون الصادق مع البلاد العربية المتحررة..

وكان واضحًا جدًّا موقف الأمراء والأسر الكبيرة في اليمن من السياسة العربية المستقلة، وكيف كانت تقاوم البعثة العسكرية المصرية والبعثة التعليمية وتضع أمامها العقبات..

لهذه الأسباب مجتمعة ائتمر السيوف واتفقوا على أنه لابد من اليقظة والحذر وعمل المستحيل في سبيل إبعاد البدر عن الحكم، وللقضاء على البدر لابد من القضاء على أبيه في الوقت نفسه.. فكان انقلاب أبريل سنة 1955.

الانقلاب العسكري

حاصر الجيش بقيادة العقيد أحمد يحيى الثلايا قصر الإمام أحمد في تعز

وأرغمه على التنازل عن العرش لأخيه سيف الإسلام عبدالله. ودام الصراع بين الجيش والإمام أسبوعا . . انتهى باستعادة الإمام أحمد السيطرة على الأمور . . وقد أعدم أخواه سيف الإسلام عبدالله وسيف الإسلام العباس كما أعدم العقيد الثلايا وسبعة عشر رجلاً دون تحري أو تحقيق أو محاكمة . . وشرد الأمير سيف الإسلام الحسن الذي كان رئيسًا للوزارة، والذي هو الآن ممثل في أمريكا.

تُرى هل كان العقيد أحمد الثلايا متفقًا مع السيف عبدالله، وهل وضع معه تدابير الانقلاب من البداية ؟ أم أن السيف عبدالله استغل حادث الحوبان الذي تألب الجيش بعده ضد الإمام؟ .

هل كان العقيد الثلايا راضيًا عن إمامة السيف عبدالله أم أنه اضطر اضطرارا إلى تنصيبه؟

الذي لاشك فيه هو أن عبدالله والعباس والحسن ومعهم بقية أفراد الأسرة والعائلات الكبيرة كانوا يعدون شيئًا . . كانوا يعملون على القضاء على البدر وعلى الإمام.

والذي لاشك فيه من جهة أخرى هو وطنية الشهيد العقيد أحمد الثلايا. إن هذا البطل وطني . . وعربي ،وحر، وليس من المعقول أبدًا أن يقبل التمشي مع عبدالله وسياسة عبدالله.

لقد كان عبدالله كما بدا من كلامه في الأيام الأولى للانقلاب يريد أن يزيح الثلايا وأن يغيره . . ولكن . . هل كان العقيد يفكر هو أيضًا في القضاء على عبدالله فيما بعد . . ؟



العقيد أحمد يحيى الثلايا .. راح شهيداً

لقد رحب الناس بالانقلاب لأول وهلة عندما سمعوا اسم الجيش . . واسم الثلايا ولكنهم ما لبثوا أن وقفوا ضده عندما عرفوا أن السيف عبدالله قد أصبح إمامًا . . وأن العباس قد سيطر على صنعاء باسم الانقلاب . . وأن السيف الحسن من القاهرة . . معهم في الانقلاب . . وأن العائلة كلها مشتركة .

موقف الأحرار

لقد فشلت الحركة لأنها مسالمة . . اكتفت بتنازل الإمام أحمد . . فشلت لأن على رأسها السيف عبدالله ومعه إخوانه الأمراء . . وبعض الأسرة ، فشلت لأن الناس عرفوا أن الغرض منها وأن هدفها القضاء على ولاية العهد للبدر ، خوفًا من الأحرار المتحالفين معه .

وأعتقد أن الجيش في تعز لو كان قد تخلص من كل من الإمام أحمد والسيف عبدالله لوقف الشعب في الداخل والخارج معه ، ولانتصر .

لقد كانت الحركة في نظر الأحرار تجديداً لشباب الكارثة التي يعانيها شعبنا في ظل أسرة حميد الدين ، لقد كانت في نظر الأحرار تقوية لسلطان سيوف الإسلام المتداعي .

لقد كانت تثبيتًا لأمراء يعملون على عزل اليمن عن الوطن العربي، أمراء من أجل مصالحهم يرتبطون بالاستعمار . . ويقدمون اليمن للشركات الأجنبية ، أمراء كان حلف بغداد في رأس قائمة برنامجهم .

لم يكن بد من أن يقف الأحرار في الداخل والخارج ضد هذا السيف الجديد . . لا من أجل الإمام أحمد . . بل من أجل الشعب . . وأهداف الشعب . . ومستقبل الشعب ، وما حدث بعد الانقلاب يبين بوضوح أن الأحرار لم يتخلوا لحظة واحدة عن مبادئهم ولا عن فهمهم لعقلية حكامهم ، وإدراكهم لطبيعة القضية التي يعملون من أجلها . . ولو كانوا قد أرادوا التخلي عن طريقتهم النضالية أو التعاون مع الحكام في اليمن للوصول إلى الغنائم والمكاسب . . لكان الجو صالحًا والطريق ممهدًا . . ولعل هذا هو السر فيما لاقاه الأحرار من متاعب ومشاكل لا من الحكومة وحدها ، بل ومن بعض الأشخاص الذين كانوا قد دخلوا في صفوف الأحرار ، لقد فهم البعض أن تأييد الأحرار للبدر بعد موافقته على مطالب الشعب معناه أن يسيروا في ركب الإمام وأن يتعاونوا معه ، وأن يشتركوا في الحكم حتى ولو كان الإمام هو هو لم يتطور ، ولم يقبل أي تغيير في سياسته وطريقة حكمه . . وحتى لو بقي الفساد وبقيت العزلة وبقي الطغيان . . المهم عند هؤلاء أن يحصل بعض رجال الأحرار على مراكز ومناصب ، وقد دخل هذا الصراع في صفوف الأحرار ، وجاء المسئولون اليمنيون فأضرموا فيه النار وأججوها بالرشاوى والوعود . . بل وكان بعض هؤلاء المسئولين يتباكى على القضية الوطنية . . ويظهر استنكاره للتشدد والتطرف وقد لقيت الدعوة إلى التخلي عن معارضة الإمام آذانًا صاغية وجيوبًا مفتوحة وأيادي ممدودة . . وجباهًا معدة للتمرغ بين أقدام الطاغية .

ومن المناسب أن نذكر أنه عندما وصل الأستاذ محمد محمود الزبيري إلى الرياض ، والتقى بالأمير البدر والأستاذ أحمد محمد نعمان ، بحضور الملك سعود، عرض عليه الاشتراك في الحكومة التي كان من المتوقع تشكيلها ، والتي كان الناس جميعًا يعتقدون أن الإمام أحمد لن يعارض في تأليفها من عناصر شعبية، خاصة بعد كل الذي حدث وبعد أن أيد الأحرار الإمام . . ولكن الزبيري رفض رغم أن الملك سعود قدم ضمانته الشخصية للزبيري . . لقد رفض الزبيري

قائلاً إن الرجال في اليمن كثيرون ، وإنه ما على الإمام إلا أن يبدأ بهؤلاء الرجال يعهد إليهم بالمسئوليات ، ويبدأ في سياسة إصلاحية إنشائية ، وسيجد الناس جميعًا معه يؤيدونه ويشدون من أزره . . لقد رفض الزبيري لأن الأوضاع كانت ما زالت هي هي والإمام هو هو ، بعقليته المستبدة المتحجرة . . لأنه لم يكن يكافح من أجل الحصول على مغنم أو الوصول إلى مطلب أو منصب .

وفي القاهرة ـ بعد الانقلاب مباشرة ـ بدأ جماعة ممن كانوا محسوبين على الأحرار في التفكير في هذه الظروف الجديدة ، وكيف يكون موقفهم ، وقد سرحوا في أحلامهم واسترسلوا في أفكارهم ، فقد توهموا أنهم ومن أقرب طريق قد توصلوا إلى أهدافهم ومقاصدهم . . توهموا أنهم يستطيعون أن يوهموا الناس أن الشعب قد نال كل حقوقه ، وأنهم قد آن لهم أن يحتلوا أماكنهم في كراسي الحكم حتى يشبعوا غرورهم ويرضوا أهواءهم . . لقد فكروا في أن يقيم الاتحاد اليمني بالقاهرة حفلة كبرى بدار المفوضية اليمنية ابتهاجًا بانتصار الإمام ، وإعلانًا للولاء والخضوع ، وتأكيداً بأنهم قد انصهروا وإلى الأبد في البوتقة المتوكلية الشريفة . . وكان كبح جماحهم عسيراً .

والعجيب أن هؤلاء الأشخاص كانوا هم أنفسهم الذين يقاومون فكرة ولاية العهد للبدر في صفوف الأحرار . . وكانت حجتهم أنها مخاطرة غير مأمونة العواقب لأن البدر ضعيف ، والإمام لم يعلن تأييده الصريح لابنه . . ولأن منافسي البدر هم عبدالله والحسن والعباس . . وعندما كان يقال لهم إن المسألة ليست من ينتصر ، بل من يقبل الخضوع لمطالب الشعب ، وإن المسألة هي مصلحة البلاد . . كانوا لا يقتنعون . . نعم هؤلاء الذين كانوا يرون تأييد البدر مجازفة قد عادوا وغيروا رأيهم عندما اختفى عبدالله والعباس والحسن من على المسرح السياسي اليمني .

هؤلاء الذين كانوا على اتصال بالمراسلات وغيرها مع السيف عبدالله قد تزاحموا وتدافعوا بالمناكب ليثبتوا إخلاصهم وولاءهم بالانحناء والسجود . . تهالك الكثيرون وفقدوا أعصابهم وتخلوا عن وقارهم ، وبالغوا في التزلف والخضوع . .

ومن أجل أن يسمع هؤلاء . . وأن يعرف الناس جميعًا موقف الأحرار ورأيهم فيما حدث ، ومن أجل إعلان سياسة الأحرار أقيم بالجيزة حفل كبير لتكريم البدر وصحبه . . وقد حضر الطلاب اليمنيون جميعًا ورجال الاتحاد ، ورجال المفوضية ، ونذكر منهم البدر والنعمان والزبيري وأبو طالب وصالح محسن .

وفي هذا الحفل الذي دام ساعات أعلن شباب البعثة تمنياتهم ورجاءهم أن يكون هذا هو نهاية الظلم والفساد ، وبداية لعهد جديد تحل فيه الحرية والعدالة والمساواة محل الاستعباد والظلم وأن تنتهي المذهبية والفرقة والتمييز السلالي الذي تميز به الحكم المتوكلي . وقد أكدت جميع الكلمات أن الأحرار ليسوا ضد أمير بعينه ولا مع أمير معين ولكنهم يهدفون إلى تحرير وطنهم وتحقيق مطالبه وأهدافه ، ومن تقدم الصفوف على هذا الأساس فسيسير الجميع معه .



الأستاذ / أحمد محمد نعمان يخاطب الشعب

ووقف الشيخ أحمد محمد نعمان وكان مستشارًا للأمير آنذاك فألقى كلمة قال فيها : «إن ما يعانيه الشعب من ظلم واضطهاد وما يقاسيه من مذهبية وفرقة وتمييز إنما هو نتيجة للحكم الفاسد، وقد انتهى الحكم الفاسد، ونحن في بداية عهد جديد» .

واكتفى الأستاذ بهذه الكلمات القوية الواضحة نظراً لصفته الرسمية كعضو في الوفد الذي يرافق الأمير ، ولأنه على وشك العودة إلى اليمن .

أما القاضي محمد محمود الزبيري فقد كانت كلمته بيانًا هامًا عن موقف الأحرار وعن سياستهم وكان حديثه موجهًا إلى البدر وإلى رجال الإمام ، وإلى الإمام في تعز .

قال الزبيري : « إننا قد أيدنا ولاية العهد لأن البدر قد وافق على أهداف الأحرار، وقد وعد بتحقيق مطالب الشعب كاملة ، أيدناه الآن لأن من عداه من سيوف الإسلام كانت صفحاتهم ملطخة بدماء الأبرياء ، ولأن نواياهم كانت شريرة سوداء، أيدناه لأنه اقتنع معنا بحق البلاد في الحرية والعدالة والحياة ، أيدناه لأنه يؤمن معنا بالأمة العربية ، وبالسياسة العربية المتحررة ، أيدناه لأنه يشترك معنا في هذه الأفكار والآمال . ووقفنا نعارض السيف عبدالله لأن ماضيه الطويل سواء في داخل البلاد فى أثناء حكم والده أو في الخارج ، بعد هذا كان كما يعرف الجميع ، ولأن ميوله واتجاهاته ومشروعاته للمستقبل كانت تحمل في طياتها كارثة محققة لا لليمن وحدها بل وللأمة العربية في مجموعها » .

قال الزبيري : «إننا لسنا أعداء شخصيين للإمام أحمد ، وإننا نتمنى أن يقود هو حركة الإصلاح في اليمن ، ولكننا نحتفظ بحقنا في معارضته ومقاومته ، فنحن لا نعارض إلا من أجل الشعب ، ولا نؤيد إلا من أجل الشعب. وإن العقبات التي كانوا يحتجون بها قد زالت والظروف التي كانوا يجعلونها المسئولة عن الظلم والاضطهاد قد ولت . . لقد كان الشعب حائراً بين الإمام والبدر . . فلم تعد هناك أية حجة لبقاء الأوضاع الظالمة . . فلتظهر صفحة جديدة ناصعة ولينته الظلم . . وليقضى على الفرقة والمذهبية والامتيازات ، ولتمد اليمن يدها إلى العرب . . ولتخرج من هذه العزلة المضروبة حولها . . والتي أبقتها في ظلام القرون الوسطى البهيم» .

قال الزبيري هذا أو أكثر منه ؛ ليسمع من به صمم، وليفهم من لا يحسنون فهم الأشياء إلا إذا كانت متمشية مع أهوائهم ونزواتهم . . وليفهم الإمام وولي عهده

ورجالهما أن القضية لم تنته بعد . . وأن كل شيء مرهون بما يكسبه الشعب . . قال هذا؛ لتفهم الفئة التي كانت قد بدأت تتهافت أن الطريق لا يزال طويلاً . .

التنابلة

وقبل أن ينتهي الحفل انبرى الأول من الجماعة . . لقد كان هناك تضاربًا كبيرًا حول شخصية هذا الرجل كانت الفكرة العامة ليست في مصلحته ولا تشرفه . . ولكن كان هنا من يدافع عنه وعن وطنيته . . ومن هؤلاء بعض من نعزهم . . ونسمع كلامهم . . هذا الرجل في ذلك اليوم كالملسوع لم يقر له قرار . . كان يأخذ أنفاسه وهو يحدثني وكأنه يهددني : ما هذا الحفل ؟ . . كيف ؟ . . ما هذا الهتاف الذي يردده الطلاب ؟ . . ما هذا الجنون؟ . . يجب أن تغيروا لهجتكم إن هذا يغضب الإمام ؟ . . هذا جنون !! . . هذا حماقة !! . . وظل يهذي كالمحموم . . وأنا مبهوت استمع إليه . . ترى ما اعترى هذا الرجل؟ . . ما دخله ؟ . . ما الذي يؤذيه ؟ . . ها نحن نتكلم بالميكروفون وأمام ابن الإمام فما الذي حشر رجلاً كهذا . . !!

إن هذا الذي نقوله؛ نحن نعلنه على رءوس الأشهاد . . هؤلاء الشباب . . ما هتفوا قط مأجورين . . ما تحمسوا قط متصنعين . . هاهم يرفعون أصواتهم أمام ممثلي الإمام ، أمام الجميع ، فما الذي هز هذا ، إن الأمر لا يعنيه لقد بهت من هذا الموقف العجيب ، رجل يدافع عن الإمام ، عن الظلم والفساد عن المذهبية والفرقة، عن الرجعية ، عن السخف ، عن مخالفات عصور الظلام بما لا يدفع عنها آلهتها ، يا هذا مالك . . !!

المهم فهمنا في هذا اليوم أن هنالك مجموعة من التنابلة سيظهرون حالاً وسيؤدون دورهم ، ويقومون به خير قيام .

وقد قيل فيما بعد إن الإمام كان يتلوى ألمًا وحزنًا؛ لأن الشباب هتفوا بحياة الزعيمين النعمان والزبيري ، وأنهم رفعوهما على الأعناق ، في حين لم يقابل البدر بمثل هذا الحماس وتلك القوة .

تفاؤل وانتظار

عاد نعمان إلى اليمن مع الأمير البدر ، وبقي الزبيري وصحبه بالقاهرة . وبدأت مرحلة كان الجميع ينتظرون أن تكون الفاصلة في حياة الشعب . كان الكثيرون ينتظرون أن ينتهي الصراع بين الشعب وحكامه ، لتتوجه الجهود نحو البناء وتعويض ما فات ، ولعل اليمن لم تعهد في السنوات العشر الأخيرة فترة أكثر تفاؤلاً واستبشاراً ، وحسن نية من تلك الفترة التي تلت الانقلاب اليمني الثاني : الإمام تخلص من إخوانه الذين كانوا يناوئون ابنه ، والذين كان يدعي أنهم هم العقبة في سبيل الإصلاح . . الأحرار جمعتهم الأحداث في صف واحد مع الإمام وابنه . . طوائف الشعب اليمني كلها ملتفة حول الإمام . . مصر والمملكة العربية السعودية في جانب الإمام تشجعانه .

لقد كان كل شيء يوحي بالأمل والرجاء بل والثقة في المستقبل ، ولكن الأيام تمر . . والآمال تتبخر والثقة تتضاءل ، والإمام لا يزداد إلا نفوراً وعتواً ، كان الناس ينتظرون حتى يستعيد الإمام توازن أعصابه وتهدأ ثائرته، ولكن كل يوم كان يمر ، كان يثبت أن الإمام يمعن في استخفافه بالشعب ، وإنكاره لمطالب الشعب ، كل يوم كان يمر كان يثبت أن الإمام يريد أن يتخلص سريعًا من الأشخاص الذين كان يمكن أن يفتنوه ، وأن يوقعوه في شراك الإصلاح وتغيير خط السير الذي سار فيه منذ نعومة أظفاره ، كل يوم كان يحمل دليلاً جديداً على الغطرسة والتجبر وعلى استهجان ما قام به الشعب لمناصرته ، كان الإمام يردد بمناسبة وغير مناسبة أنه نصر نفسه بحد السيف ، وأنه لا فضل لأحد عليه . . لم تقبل نفسه المغرورة أن يرى أحداً ممن ساهموا في انتصاره ، كان يريد أن يقضي على هذه الظروف السيئة التي تكالبت عليه ، تدعوه في رفق إلى إنهاء حكم الغاب ، يا لها من كارثة . لقد قضى على كل الذرائع والعقبات التي كان ينسب إليها نتائج حكمه الفاسد ، مسكين الإمام هذا . . إنه في وضع لا يحسد عليه . . القبائل ، الجيش ، الشعب كله في الداخل ، الأحرار في الخارج ، المهاجرون كلهم، مصر ، السعودية ، العرب كلهم. أجل الجميع مع الإمام . . معه ينتظرون منه إشارة البدء ليعملوا معه ليسدلوا الستار على الماضي . . ماضي أجداده وأبيه ، ماضيه هو ، بما في هذا الماضي من بشاعة ، وبما حل على الشعب خلاله من كوارث ونكبات .

أجل كانت الدنيا كلها تفتح ذراعيها لتستقبله محرراً ، مصلحًا ، ثائرًا على واقعه وعلى نفسيته وأفكاره ، رغم الدماء الزكية ، دماء الأبرياء التي أراقها والأرواح التي أزهقها ، لقد عاش طول حياته وحشًا مفترسًا كاسراً ، عاش وميزته الوحيدة أنه وحش ، تسكره الدماء ، دماء الأبطال من شيوخ القبائل ورجالها ، ومن ضباط الجيش وجنوده الأشاوس ، ومن رجال العلم وطلابه ومن دماء الأطفال والعجائز الذين أهال عليهم أنقاض بيوتهم كلما حلت به نزوة أو مسه شيطان رجيم .

أجل ، رغم هذا الماضي الملطخ بالدماء ، رغم هذا الماضي الأسود الكالح ، رغم هذا الماضي الذي أحال العربية السعيدة إلى مقبرة تعسة . . رغم كل هذا كان الجميع يريدون أن يبنوا وأن يعمروا . . وأن يعيدوا تشييد ما أفسده الأئمة . . ولكن هيهات . . لقد عاش وحشًا . . عاش فاجعة على الشعب ، ومحال أن يستحيل إنسانًا ، محال أن يترك هذا الماضي ، هذا التراث الحافل ، وأن يبدأ إنسانًا من جديد ، شأن كل الطغاة .

امتد هذا الانتظار وطال ، مر الشهر الأول ، والثاني ، والثالث ، والرابع ، وأخيرًا الخامس ، والرجل سادر في غيه لا تزيده الأيام إلا إخلاصًا ووفاءً للتقاليد ، التقاليد الشريفة ، تراث آبائه من الأئمة المجددين رضوان الله عليهم أجمعين . . !! إنه « أحمد يا جناه » فهل يتنكر لتعاليم أبيه . . ؟؟

عودة

هنا هل يستمر الأحرار في الانتظار ، وإلى متى ؟ . . هنا تهتك الأستار ، وتنقشع الغلالات الرقيقة التي كانت مسبلة على عدد كبير من الأشخاص ، هنا يظهر موقف الأحرار ، وموقف من حكمت عليهم الظروف أن يعيشوا فترة في صفوف الأحرار ، بدأ الزبيري من جديد يوجه أحاديثه من راديو صوت العرب ، وكانت هادئة أول الأمر ، مقصورة على تذكيره بأن الشعب لا يزال نفسه يتردد وأن من الخير للإمام وللشعب وللناس جميعًا أن يسير الإمام في طريق الإصلاح ، وأن ما وقع من حوادث في اليمن خلال السنوات الأخيرة كاف لإقناع الإمام ومن مع

الإمام أن السياسة العرجاء لا تعود عليهم إلا بالنكال . وزادت قوة الأحاديث مع الوقت واشتدت لهجتها ، وخاصة حينما اتضح إصرار الإمام وأذناب الإمام وتشبثهم بالسياسة العتيقة ، سياسة التدمير والضحك على الشعب والقضاء على كل أمل في الإصلاح والسير بالبلاد في الطريق الذي يداوي جراحها ويزيل ويلاتها ونكباتها .

ولعل الناس لا ينسون من تلك الأحاديث «من حقي ألا يقطع رأسي» ، فهل من حق أحد أن يزهق الأرواح بدون « محاكمة » و « عبر من التاريخ » .

وهكذا عادت النفوس ثائرة حانقة ساخطة ، أما في الداخل ، فإن الأستاذ أحمد محمد نعمان ، بطل الانقلاب الثاني ، صبر وانتظر وحاول ، ولما نفد صبره ، واتضح له أن الإمام غير جاد ، وأنه يتلاعب ، ويضيع الوقت ، وأنه لا جدوى من الانتظار ، رفض البقاء ، والنعيم المقيم ، وترك الأسماء الضخمة ، التي كانوا قد أرادوا إرضاءه بها ، مستشار المعارف ، مستشار الخارجية ، مستشار ولي العهد . . إلخ .

رفض النعمان كل هذا لأن مصلحة الشعب التي عمل لها طول حياته لم تكن تتحقق بكل هذه الأسماء . . وهاجر النعمان . . خرج وشرد عائلته معه . . من الأراضي التي أحبها وقضى في سبيلها العمر شريداً سجيناً .

مهدداً بالموت في كل لحظة . . خرج ليستأنف الكفاح ، ليعلن للدنيا من جديد مظلمة أمته ، خرج ليكشف للعالم جراح شعبه ، خرج ليعيش شريداً من جديد . . يشارك مواطنيه المهاجرين السعي والتشتت تحت كل سماء . . خرج ليشارك من في الداخل الحرمان وقسوة الحياة ، وشظف العيش .

وتعالت الأصوات . . هذا جحود . . هذا نكران للجميل . . لقد حفظ له الإمام حياته في الثورة الأولى . . لقد عطف عليه الإمام وأكرمه ، وعينه مستشاراً للمعارف وللخارجية ومرافقاً لابنه البدر . . لقد كان في وفد الإمام إلى الرياض . . وإلى القاهرة . . ماذا يريد هذا الرجل . . انظروا إنه متعنت ما الذي يرضيه بعد هذا . . ماذا يعمل له الإمام . . ؟؟

هكذا تعالت الأصوات ، دهشة ، مستنكرة ، مبهوتة من خروج الأستاذ نعمان والتجائه إلى القاهرة .

لقد كان هؤلاء الذين رفعوا أصواتهم مولولين ، على حق في كل ما قالوه كانوا على أكثر من حق ، فقط ، هم أرادوا أن يجعلوا نفوسهم وما فيها من أهواء وأمراض وفهمهم للوطنية ، وإدراكهم للمثل العليا ، مقياسًا أو معياراً للناس جميعًا ، هم صعب عليهم أن يدركوا أن هناك بونًا شاسعًا بين الوطنية من أجل الوطن ، وبين الوطنية التي يدفع إليها بعض الناس دفعًا ، تدفعه ظروفه ، وتجعل منه بقدرة قادر أحد رجال الصف الأول ، كانوا على حق فأعصابهم لا تحتمل أن يطول الصراع ، لقد انضموا إلى صفوف الأحرار ، لأن أوضاعهم ومصالحهم ومنافعهم الذاتية كانت تسول لهم المغانم والأرباح ولو على حساب الشعب ، وقد طال الصراع ، وها هم الآن قد وجدوها فرصة سانحة للتمسح بأذيال الحكام ، والحصول على كل ما تهدف إليه نفوسهم ، فلماذا يواصلون الكفاح . . ؟

ولكن كيف وصلوا إلى صفوف الأحرار . . وكيف احتلوا تلك المكانة . . هذا أمين عام الاتحاد ، وذلك نائب رئيس الاتحاد ، هذا سكرتير الرئيس ، وذلك رئيس لجنة المهاجرين أو لجنة النشر . . إلخ . كيف انخدع بهم الأستاذ محمد محمود الزبيري ، وكيف تعاون معهم، وكيف دعا الناس إلى الثقة بهم . . ؟؟

لقد وصل الزبيري إلى القاهرة ، ولم يكن بها من اليمنيين سوى أفراد قلائل ، هذا موظف بالجامعة العربية، وذلك في ضيق مالي وعلى خلاف مع الحكومة اليمنية ، وذلك نزيل بهذا أو ذاك من المعاهد المصرية ، وكان شباب البعثة تلاميذ صغاراً بمدارس حلوان ، لم يكن أمام الزبيري مجال للاختيار ، لم يسيء التقدير وفهم أشخاصهم ، ولكنه كان أمامه إما أن يعمل وإما ألا يعمل ، وإذا أراد أن يعمل فليس إلا مع هؤلاء ، لأنه لا يوجد غيرهم ، وقرر أن يعمل ، مهما كانت الظروف، وكان يرجو أن يستطيع ـ حسب تعبيره ـ أن ينوم جراثيم الهزيمة والضعف وحب الذات في دمائهم ، أجل لم ينخدع ، ولم يقع في حبائلهم كما يقول الكثيرون ، ولكنه ـ وأنا واثق من هذا ـ كان يفهمهم جيداً ، وكان يضيع جهوداً كثيرة في معالجة نفوسهم ومداواة أمراضهم ، وكان يشعر أنه يدير عيادة نفسية للمهووسين والمعتوهين ، ومرضى الضمائر .

وقد وجدوا بعد الانقلاب الثاني ، أن الفرصة قد سنحت ليكسبوا شيئًا ويحققوا غرضًا ، ورغم أنه لم يتغير شيء ، الحكام ، الأوضاع، الشعب ، جراح الشعب ، كل شيء كما كان .

لقد تعبوا ، ولم يعد في إمكانهم أن يواصلوا ، لقد آثروا الانسحاب ، إلى متى يستمر الكفاح ؟ . . إلى أن يأخذ الشعب حقه؟ . . ومتى يأخذ الشعب حقه ؟ . . وما الذي يعنيهم والشعب ، وحقوق الشعب ؟ . . لقد اتخذوا من الشعب ، وسيلة للوصول إلى أغراضهم ، لقد أهملتهم الحكومة ، ولم تعرف قدرهم ، وكان أحدهم يردد في مناسبات كثيرة ، ما الفرق بيني وبين أبي طالب ؟ . . إنه زميلي ، وغيره كثيرون فلماذا يتناولون هذه المرتبات الضخمة ويطمئن إليهم الإمام . . ؟

ولعله أخيرًا عرف السر ، ولكن هل حقق أغراضه . . ؟؟

أجل إنني أذكر هذا ليعرف الشعب أن من ربوا في أحضان الاستعباد ، ومن رضعوا لبان الاستبداد هم وحدهم الذين استسلموا ، تعبوا وانهاروا وباعوا قضية البلاد ، إنهم خريجو ذلك المصنع الكبير الذي يخرج منه الطغيان زبانيته في اليمن ، أما الشباب ، أبناء الشعب ، أعضاء البعثة ، فلم يرتد منهم أحد ، استعرضوا الوجوه التي باعت نفسها للطاغية كلها ، استعرضوها وجهًا وجهًا ، وستجدوها كلها دخيلة ، على الشباب المتعلم ، ستجدوها كلها ، أهملتها الحكومة لسبب أو لآخر ، وتجاهلها الأسياد ولم تتحقق مطامعها ، مطامع ، أو مكاسب شخصية . استعرضوا هذه الوجوه كلها وستجدوا وراء كل وجه قصة ، سببًا دفعه إلى الخروج من اليمن ، وارتداء البنطلون والانخراط في صفوف الطلبة ، وارتداء لباس الوطنية . لقد ظنوا هذا طريقًا سهلاً قصيرًا للوصول إلى المغانم والمكاسب .

وزارة ..!

ووصل الأستاذ النعمان إلى القاهرة واستقبله الشباب استقبال زعيم وطني كبير ، وهلل اليمنيون في مهاجرهم ، واستبشر الناس في كل مكان ، فقد عادت وحدة الشعب ممثلة في زعيميه ، وبدأت مرحلة جديدة من مراحل تطور القضية اليمنية .

استلم الأستاذ نعمان الاتحاد اليمني ، وبدأ النشاط يدب في أوساط اليمنيين ، وظهرت «صوت اليمن» الصحيفة اليمنية الكبرى التي اختفت عقب الثورة الأولى سنة 1948م . واستمر الأستاذان النعمان والزبيري في توجيه أحاديثهما إلى الشعب اليمني ، وكان المطلب الشعبي الرئيسي هو تأليف وزارة شعبية لا يشترك فيها سيوف الإسلام تتولى إدارة شئون البلاد الداخلية والخارجية ، وتكون مسئولة عن أعمالها ، وذات يوم يفاجأ الناس بالإمام أحمد يعلن أنه :

نزولاً على إرادتنا قررنا تشكيل وزارة يمنية برئاستنا من الأولاد الآتية أسماؤهم :

ـ سيف الإسلام البدر نائبًا لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية ووزيراً للدفاع .

ـ سيف الإسلام القاسم وزيراً للمواصلات .

ـ سيف الإسلام إسماعيل وزيراً للصحة .

ـ سيف الإسلام علي وزيراً للمعارف .

ـ السيد حسن إبراهيم وزير اليمن المفوض بإنجلترا وألمانيا وإيطاليا وزيراً للدولة مع احتفاظه بعمله الأصلي .

ـ السيد عبدالرحمن أبو طالب وزير اليمن المفوض بالقاهرة وباكستان والصين الشعبية وروسيا وتشيكوسلوفاكيا وزيراً للدولة مع احتفاظه بعمله .

ـ القاضي محمد العمري وزير دولة ونائبًا لوزير الخارجية .

ـ السيد أحمد زبارة « زوج ابنة الإمام» وزيراً .

ـ القاضي أحمد السياغي نائب الإمام وحاكم لواء إب وزيراً للداخلية مع احتفاظه بمنصبه .

ـ القاضي محمد الشامي حاكم منطقة البيضاء ، وزيراً مع احتفاظه بمنصبه الأصلي .

المهم الإمام رئيس الوزراء وابنه وأخوته ووزراؤه في الخارج وحكامه في الأقاليم أعضاء الوزارة مع احتفاظهم بأعمالهم .

وبهذا أصبحت اليمن ، إمامة رئاسية . . الله ، لماذا تضحكون ؟؟ . . أليست أمريكا جمهورية رئاسية . . ؟؟

الشعب يطالب بوزارة ؟؟ . . هذه وزارة

وزارة شعبية ؟؟ . . طيب ، وهذه وزارة شعبية ، هل يجرؤ أحد على أن يقول إن الإمام ليس من الشعب ؟؟ . إنه الشعب .

وبهذا يكون الإمام قد أجاب المطلب الرئيسي ، وبدأت الوزارة الشعبية الشريفة عملها ، وكانت نشيطة ساهرة .

أرسلهم الإمام إلى الرياض حيث قضوا أيامًا التقوا فيها بالملك سعود . . ووصلوا بعد ذلك إلى القاهرة ليحطموا حركة اليمنيين الأحرار ويقضوا عليها ، لقد جن جنون الإمام ، وأصبح سجينًا في قصره ، بل إنه جمع الحبوب والمياه والتموين وأعد السلاح والمدافع الرشاشة في أسطح قصوره ونوافذها استعداداً للدفاع ، وكان كالملسوع ، لقد حطمت صوت اليمن أعصابه وأصبح يخور كالثور الهائج ، وكان لا يطلب إلا رأس نعمان والزبيري ، وصوت العرب ، يسمع في كل بيت . . ماذا يفعل ؟؟ . . إن الجيش ثائر ، والشعب متذمر ، والمنشورات في كل مكان وأجهزة الراديو في كل بيت ، وصوت اليمن تصل كل أسبوع . . ما العمل . . ؟؟

حملة متوكلية

لقد جمع أصلب رجاله عوداً ، وأكثرهم حيلة ودهاء ، وأعظمهم إخلاصًا وولاء ، جمع أحسن من فهم عنه ، وعن أبيه دروس الاستبداد ومكر المستبدين ، جمع كل هؤلاء وأرسل منهم حملة متوكلية مزودة بكل الأسلحة والإمدادات ورسم لهم الخطة أو رسموها له لا ندري :

1 ـ إسكات صوت العرب وأحاديثه عن اليمن .

2 ـ إيقاف صوت اليمن .

3 ـ حل جمعية اتحاد اليمنيين الأحرار بالقاهرة .

4ـ التشكيك والنيل من سمعة الأستاذين أحمد محمد نعمان ، ومحمد محمود الزبيري .

5ـ تشريد الشبان الأحرار ، واضطهاد الطلاب .

وفي القاهرة؛ أقام رجال الحملة المتوكلية أكثر من ثلاثة أشهر استخدموا فيها كل الوسائل .

كانت البلاد العربية كلها في تلك الآونة هدفًا لمؤامرات صهيونية واستعمارية ، حلف بغداد والضغط على الأردن ، عدوان اليهود ومعركة الصبحة ، مؤامرات على سوريا ولبنان .

استغلت الحملة الإمامية هذا الظرف العصيب وقامت بمساعيها الدبلوماسية باسم ملك اليمن لدى حكومة الثورة المصرية ، وكانت قبل ذلك قد قابلت في الرياض الملك سعود ، وقدمت له رسالة من أخيه الإمام أحمد ، فوقع ضغط ثنائي من اليمن والمملكة السعودية ، وكانت مصر إزاء أخطار سياسية ومؤامرات دولية ، والسياسة الخارجية في تلك الفترة كانت تلعب دوراً مهمًا في مستقبل القومية العربية ذاتها .

هذا من الناحية السياسية .

وفي صفوف الطلاب ، بدأ رجال الحملة في الاتصال بصفوف الطلاب سرّاً وعلانية ، يقدمون الرشاوى ، ويوزعون الأموال ، وينشرون الوعيد والتهديد والوعود ، ولكن دون جدوى ، لقد عرف الشباب ما يراد بهم وبحركتهم وبشعبهم، عرفوا كل هذا ، ولم يستجب أحد من شباب البعثة ، نعم نقولها ونكررها ونفخر أن نرددها ، لم ينجحوا في أن يجدوا عميلاً واحدًا من الطلاب ، الطلاب الذين يتعلمون في مدارس مصر ، الذين خرجوا من بلادهم للدراسة والتحصيل ، هؤلاء الطلاب الذين تفتحت عيونهم أول ما تفتحت على الحرية وأصوات الأحرار ، ولكنهم وجدوا مجموعة من أولئك الذين احترفوا العمل الوطني وانتسب بعضهم إلى الطلاب .

في صفوف الشباب

هؤلاء الأنفار بدءوا حملة من التشكيك في الأستاذين نعمان والزبيري ، بدءوا يثيرون كثيراً من الزوابع والعواصف ، وأخذوا ينتشرون في صفوف الطلبة ويتصلون بأوساط اليمنيين في المهاجر ، ويقولون هنا وهناك إن نعمان والزبيري ، يستبدان بالقضية الوطنية ، وإنه لا يجوز أن تظل القضية في أيديهما ، وإنه لابد من أن يتكون مجلس أعلى . وقالوا إن هذا المجلس الأعلى يجب أن يدخله السيد عبدالرحمن أبو طالب وزير اليمن المفوض في مصر ، مع احتفاظه بمنصبه كوزير للإمام أحمد .

وقد قال لهم نعمان والزبيري : أنتم تطالبون بالديمقراطية ، وتقولون إننا مستبدان ، وتطلبون تكوين مجلس أعلى للقضية ، نحن نقبل تكوين المجلس الأعلى على أن ينتخبه الشباب الموجودون في القاهرة . فرفضوا ، وقالوا إن الشباب ما زالوا في دور الدراسة ولا يحق لهم هذا . قال لهم النعمان والزبيري ، إذن الديمقراطية عندكم هي أن تكونوا أنتم قطب الرحى في الاتحاد ، الديمقراطية التى تفهمونها هي أن تكونوا أنتم مجلس الوصاية على القضية .



بعض الطلبة الجامعيين

قال هؤلاء الأنفار، لا، ليس هذا بل سيشترك معنا آخرون، وقدموا أسماء هؤلاء الآخرين، فإذا هم جميعًا في عدن والسودان، ولا يوجد أحد منهم في القاهرة.

وبهذا يكون المجلس كله في يد أبي طالب ، وقد حاولوا أن يجمعوا الطلاب وأن يقوموا بمظاهرة (هكذا) إلى دار الاتحاد اليمني ويحتلوا الاتحاد . . !!

كما كانوا يعملون على أن يقوم الطلاب بالاحتجاج لدى الحكومة المصرية على إذاعات الزبيري والنعمان في صوت العرب، وأن هذه الإذاعات تسيء إلى شعور اليمنيين.

لقد كانوا يريدون أن يشعروا ثوار مصر أن نعمان والزبيري لا يمثلان الشعب ، وأن الشعب كله مع الإمام أحمد وحواشيه .

وقد صدهم الطلاب صداً عنيفًا ، ولم يتعاون أحد معهم .

وصلتنا صورة عما يحدث في القاهرة إلى باريس ، فكانت صدمة قوية عنيفة ، وكان من العسير أن نظل بعيدين عن هذا الصراع ، خاصة وهو صراع كان الطغاة والأذناب قد اختاروا أن يكون سلاحهم فيه الشباب .

وقد بعثنا برسالة إلى سبعة عشر طالبًا نهيب بهم أن يطهروا صفوف الطلبة من أذناب المرتزقة .

رسالة من باريس

بسم الله الرحمن الرحيم

باريس في 21 سبتمبر 1955م .

الأخوة الأحباب السادة: على الجناتي، حسين علي عبدالله، إبراهيم الوزير، محمد أنعم غالب، حسين محمد المقبلي، طاهر رجب، عباس الوزير، محمد عبدالله عبده، أحمد هاجي، إسماعيل الأكوع، يحيى المطاع، أحمد الخزان، عبدالله الكرشمي، محمد الرباعي، محسن السري، محمد خشافة وعلي العيني .

السلام عليكم جميعًا أيها الأحباب . .

وقد شاءت الأقدار أن نبعد عنكم ، ولكننا في هذه الأيام المليئة بالأحداث ، نشاركم أفراحكم وأحزانكم ، ونشاطركم أفكاركم ، ونعيش بعقولنا وقلوبنا معكم ، وقد تستغربون أن نكتب لكم من هنا مجتمعين ، وقد يعتبرنا البعض متطفلين إذ نتدخل في أمور تحدث في مجتمعكم الصغير ، رغم بعدنا عنه ، ولكننا أيها الأحباب سنكتب لكم دائمًا ، وسنظل على اتصال بكم مهما باعدتنا الأحداث وفرقتنا الظروف .

أيها الأحباب ، إنكم تعيشون في زوبعة ، وفي وسط دوامة صاخبة هائجة لا تترك لكم فرصة لتسمعوا ما يصدر منكم أو ما يصدر من عندكم ، فمن يعش وسط الجلبة والصراخ لا يمكنه أن يقدر ما تحدثه هذه الجلبة والصراخ ، ولا ما يثيره هذا الدوي الهائل .

وعليه ، فنحن ـ ونحن هنا بعيدون عن جلبتكم وضوضائكم ، بعيدون عن مركز هذه الدوامة ـ نستطيع أن نحكم على الأثر ومداه .

أيها الأحباب ، لقد كان وصول الأستاذ أحمد محمد نعمان إلى القاهرة حدثًا اهتزت له مهاجر اليمنيين في كل مكان ، حتى هنا في مرسيليا ، حيث توجد جالية كبيرة كانت أبعد الجاليات عن دعوة الأحرار وحركتهم ، وقد أحسسنا أن شخصيات لها أثرها في محيط هذه الجاليات قد صحت وبدأت تنشط ، وعاد الأمل إلى النفوس التي كان اليأس والخور والضعف قد خامرها . لقد ملأ النعمان الفراغ الذي ظل شاغراً طوال السنوات السبع في حركة الأحرار ، وكان هذا الفراغ سببًا رئيسيًا في ضعف الحركة وبطء سيرها ولا نخال أحداً ينكر هذا ، وقد لمسنا الحال هذه في عدن والحبشة والسودان واليمن ، بل والقاهرة نفسها .

إن خروج الأستاذ النعمان كان حدثًا من الأحداث التي سيذكرها تاريخ الحركة اليمنية ، إنه حدث استبشرت له مهاجر اليمنيين في كل مكان ، وكان نقطة انطلاق كان المفروض أن تستغل ، ولكن يظهر أنكم وحدكم بالقاهرة أعمتكم الجلبة والدوي فلم تشعروا ولم تحسوا ولم تهتزوا ، فعدتم إلى الصراخ القديم ، وإلى الفنجان لتثيروا الزوابع فيه ، ونشطت بعض الطفيليات والخنافس ، وتحرك بعض

ذوي النفوس المريضة المحبة للظهور؛ فخلخلت صفوفكم يا شباب ، وجعلتكم تتخلفون عن القيام بالدور الذي كنا وكان اليمنيون جميعًا ينتظرونه منكم - عدتم إلى السخافات والترهات ، عدتم إلى الدكتاتوريات والمناقشات البيزنطية ، ونسيتم أن الشعب في كل مكان ينتظر صوتكم ، وينتظر أعمالكم أيتها الطليعة المباركة .



الأستاذ محمد محمود الزبيري

والحدث الآخر الذي هز أوتار القلوب ، وأيقظ النائمين ، هو تلك الأحاديث التي وجهها الأستاذ محمد محمود الزبيري ، من راديو صوت العرب إننا نعلم أنكم قد لا تكونون قد سمعتموها ، وقد لا يعرف الكثيرون ما هي ، لأننا كنا بالقاهرة أيام كان يوجه أحاديثه منها ، وكانت القلة هي التي تهتم بالاستماع إليها ، هذه الأحاديث أيها الشباب كانت قنابل يطلقها الزبيري فتفتح كلها فمها دهشة وعجبًا ، لقد أعلن الزبيري فيها مظلمة الشعب ، وأسمع الدنيا كلها صراخ المظلومين ، إنكم قد لا تقدرون أهميتها ، ولكن اسمعوا لقد نشرت صحف فرنسا فقرات من تلك الأحاديث باللغة الفرنسية ، بل لم يعد غريبًا أن نسمع في مجالس الطلاب العرب في الحي اللاتيني النقاش والجدل حول قضية اليمن ، ضمن المسائل العربية التي يناقشونها ، إن هذه الأحاديث قد أخرجت القضية اليمنية من حيزها

الضيق إلى مجال واسع ، وبدأ الناس اليوم يعطفون عليها ، أما بالنسبة لليمنيين في المهاجر والداخل فأثر لا يحتاج إلى تعليق .

والقنبلة الثالثة التي أطلقت من القاهرة هي « صوت اليمن » وهذا حدث قد يكون في وسطكم تافهًا عاديًا ، لأنكم تقرءون أخبار اليوم ، وآخر ساعة والأهرام والجمهورية ، وهي صحف ضخمة فخمة أنيقة ، فلا تجد « صوت اليمن» منكم سوى نظرة عطف عابرة حانية ، ولكن يا شباب ، إنها الشرارة التي أشعلت ثورة 1948م ، إنها صوتنا يصل إلى إخواننا ويتغلغل في نفوسهم ، ويعمل على إذابة رواسب الماضي .

إنه حدث ضخم من الأحداث الجسام . .

أيها الأحباب . . هل يحق لنا ولكل مخلص لحركة الأحرار أن يرسل اللوم والعتاب على موقفكم المؤسف من نعمان والزبيري . . في هذه الأوقات العصيبة التي يكافحان فيها ويعملان ويرفعان قضية الشعب إلى السماء . . ؟! هل يجوز أن تقف الطبقة الواعية المثقفة مواقف أقل ما توصف به بأنها مخزية ، تدل على السخف والبساطة والسذاجة ؟!

هذا الذي يفكر في ذهاب الطلاب إلى الاتحاد في شكل مظاهرة ، إنه معتوه ، بليد ، غير جدير بالجلوس في صفوف الأحرار ، هذا الذي يحرض الطلاب على خذلان النعمان والزبيري فى أثناء صراعهما الجبار ضد الطغيان ، إنه ملعون بلسان الأرض والسماء ، مطرود من صفوف الأحرار ، هذا الذي يهمهم ويشوش ويتباكى على مصالح الشعب ، ويتخوف عليها من تصرفات الزبيري والنعمان ، إنه حقير جاهل إذ يعمل هذا في الوقت الذي جمع الطاغية رجاله كلهم وأرسلهم إلى الرياض ، وأبقاهم في القاهرة .

إننا من هنا نعتبر كل من يعمل ضد النعمان والزبيري خائنًا ، عدواً للأحرار عدواً للشعب ، دعوا عنكم السخافات والخرافات ، « الإخلاص للمبادئ » ، لا أهمية للأشخاص ، هذا كله وهم باطل وفهم سقيم .

فالمبادئ لم توجد في يوم من الأيام معلقة في الفضاء ، ولكنها دائمًا متجسدة

أشخاصًا من لحم ودم ، ثم ما قيمة هذه المبادئ وما فائدتها ، وما أهميتها إذا لم يكن لها أشخاص يخلقونها ويحملونها ويدعون لها ، ويحمونها ؟!

ثم لنلمس الواقع التاريخي للحركات العالمية كلها ، لم تنجح حركة من حركات الكون إلا وكانت مقرونة بالأسماء اللامعة ، لا يمكن أن تنجح حركة إذا لم يكن لها زعماؤها ورجالها ، بل وبقدر ما يكون لهؤلاء الرجال من قيمة ومنزلة ، تكون أهمية هذه القضية واحترام الناس لها وعطفهم عليها .

لندع النفخة الكذابة ، ولنكبح جماح نفوسنا ، ولنؤثر المصلحة الوطنية الأولى، اسمعوا هذه الدروس من مراكش ، إن الأبطال والفدائيين يموتون بالعشرات والمئات كل يوم دون أن يسمع الناس اسم أحد منهم ، ولكن العالم كله يسمع أن هناك محمد بن يوسف ، علال الفاسي . تعالوا انظروا الشباب المراكشي في جامعات فرنسا ، إن هذه الأسماء ، أسماء مقدسة مجللة ، لأنها قضية مراكش ، ثم تعالوا عيشوا مع الشباب العرب المنتمين إلى مختلف الهيئات والأحزاب؛ انظروا كيف يتعصبون لقضاياهم ، وكيف يدافعون عن رجالها ، وكيف يستغلون كل مناسبة للدعوة لقضاياهم ، إنه لأمر مخجل محزن أن نظل مسوقين برواسب الماضي اللعين، تتحكم فينا النزعات الفردية والأنانية ، والدوافع النفسية الطامعة ، فإذا ارتفع منا شخص عملنا جميعًا على شده ، وتشويه سمعته ، وإنزاله إلى الحضيض الذي نحن فيه ، إن هذا هو عمل الحاقدين المتنافسين ، لن يرتفع الشعب ولن يخطو، ولن يقال من عثرته إذا ظل الشباب الحر يتدافع بالمناكب ويتزاحم ويترامى على الزعامة .

إن فينا أشخاصًا لم نعرفهم إلا منتقدين ، إنهم ينفسون على نعمان مكانته وعلى الزبيري مقامه ، وما الذي يمنعهم وأبواب المجد واسعة أن يلجوها . . ؟!

إننا ونحن نبعث لكم هذه الرسالة لا نجهل ما ستحدثه في بعض النفوس من أثر، بل إننا لنكاد نتصور تعبيرات بعض الوجوه ، وهي تقرؤها أو تسمعها ، ولكننا لا نبالي مما يمكن أين يقال ، لأنها كلمة حق تقال ، للأسف الشديد لا لملك جائر ، بل لشبان جائرين ، إن هناك أشخاصًا نقطع بأن الحقد والمرض النفسي وحب الظهور

والتنافس ، كل هذا قد أعماهم وأنساهم كل شيء ، فطفقوا يعملون دون وعي أو إدراك . وإلا فكيف نبرر هذا الموقف من أشخاص نعلم جيداً أنهم يعرفون كل شيء ، ومطلعون على كل شيء ، أجل كيف نبرر مسلك هؤلاء الشباب وهم اليوم يتعاونون مع الخونة ، أجل مع أعداء الشعب ، يتعاونون مع أشخاص وقفوا ضد حركة الشعب ، ضد الأحرار .

إن التاريخ حسابه عسير ، وإننا ونحن في مطلع الشباب ، وبداية الحياة لن ننسى مواقف هؤلاء الزملاء المزعجة ، هذه المواقف التي تمليها عليهم نفوسهم الطامعة الحاقدة المريضة .

أيها الأحباب . . إنه لأمر مزعج مؤلم ، مخيف ، هذا الموقف ، نريد أن نسمع أن الشباب الحر قد اجتمع لتأييد حركة الأحرار ، لإعلان الفدائية ، للتطوع نريد أن يسمع العالم ، وأن يسمع اليمنيون القابعون في جحورهم ومهاجرهم أن الشباب يصرخ ، ويزأر ضد الفساد ، ورجال الفساد . أما أن نسمع ، ويسمع الناس معنا ، أن الشباب يعقد الاجتماعات هنا وهناك للتآمر ، على من ؟ . . على نعمان والزبيري ، الدكتاتوريين ، المستبدين ، المتجبرين ، الخائنين.

نعم وفي نفس الوقت تكال الكلمات الحلوة اللينة الطرية ، لأنصار الطغيان وحوارييه وزراء صاحب الجلالة ، مولاكم المعظم . . !!

يا لها من فجيعة يا شباب ، يا ناس عار عليكم ، استحوا ، اخجلوا ، تكسفوا ، نعمان والزبيري أبا القضية اليمنية وصانعاها ، تضعفون مركزهما ، وتذلونهما في أثناء وجود وزراء مولاكم العظيم ، يا للخزي والعار ، صفعات . . صفعات لكل نفس حقيرة جبانة بلهاء .

إن القلب ليكاد يتفطر حزنًا وألمًا وفجيعة . . واحد سخيف . . يتباكى على قضية اليمن . . ومصلحة اليمن من أن يعبث بها نعمان والزبيري ؟ . . من عرّف أبوه . . ما هي مصلحة اليمن . . من الذي أدخل في روعه أن لليمن مصلحة وأن للأحرار قضية . . ؟

أيها الشباب . . ارجعوا قليلاً . . ارحموا هذين الرجلين . . لقد عملا ونحن

جميعًا نيام . . عملا وأشعلا الدنيا لهيبًا . . ولم نكن قد وجدنا . . ارحموا ماضيهما . . ارحموا يوم اليمن ومستقبلها . . إنه لصعب عسير على المرء أن يتحدث ، وأن يدافع عنهما عند الطبقة الواعية المهذبة المثقفة المتعلمة الجامعية ، بل إنه كريه إلى النفس ويثير الاشمئزاز .

أيها الشباب . . إننا نطالبكم إذا كنتم حريصين على قضية اليمن . . أن تطهروا صفوفكم من المرتزقة والمرضى ومحبي الظهور والطفيليات والخنافس ، وأعداء الأحرار الذين لا يهمهم من أمر البلاد إلا عائلاتهم . . طهروا صفوفكم ، وكونوا جنودًا وجنودًا فقط ، فنحن الآن بحاجة إلى الجنود . . أما الزعماء فلسنا بحاجة إليهم . . اعلموا أن كل من يدس عليكم ضد النعمان والزبيري إنما هو خائن لكم . . أنتم . . عدو للأحرار يستحق أن يلقى أشد الصفعات من الجميع . . صدقونا ، إنه ليس حريصًا على الشعب ولا على الأحرار . . ولكنه خائن . . عدو لقضيتنا . . عدو لمستقبلنا . . وقد يكون سخيفًا أبلهًا ساذجًا لا يقدر الأمور ، ولكننا في نفس الوقت لا يمكن أن نضيع قضيتنا من أجل أمثال هؤلاء السذج .

إن قضية اليمن قد طفرت بفضل نعمان والزبيري ، ومن معهما من الشباب الحر المؤمن عشر سنوات إلى الإمام ، وحرام أن يتقدم الحاقدون ، والمرضى والخونة فيشدونها مائة سنة إلى الوراء ، وأنتم في الوجود يا شباب .

اذكروا أن الدفاع عن نعمان والزبيري في هذه الظروف دفاع عن صميم القضية اليمنية المقدسة المفداة ، كما أن محاربة شخص المستبد ، نعم شخصه هو محاربة الفساد والخبث والاستبداد اللعين ، إذ إذا قضى على المستبد ، فقد قضى على الاستبداد ، وبالمثل إذا قوى الأحرار واشتدوا وعاشوا ، نمت شجرة الحرية وقويت وعاشت وخاصة في ظروفنا ، ومن هذا ترون أن المبادئ لا توجد لوحدها ، مجردة .

إن المبدأ حقيقة ذهنية مجردة لا تغني ولا تسمن من جوع ، وليس لهذه الحقيقة حول ولا طول إلا إذا تجسدت لحمًا ودمًا وعظمًا وروحًا وعقلاً ، بل إن هذا اللحم والدم والعظم والمخ ، هو الذي يخترع هذا المبدأ ، هو الذي يخلقه ، هو الذي

ينشره ويدعو له ، وهو الذي يحميه ويدافع عنه ، وبدون هذا الشخص يكون المبدأ خرافة وأسطورة .

إننا كنا ننتظر منكم شخصًا شخصًا أن تباركوا هذه الأعمال وأن تساهموا وأن تشدوا من عضد العاملين ، كنا ننتظر أن تنوبوا عن اليمنيين في بقاع العالم فتوجهوا الشكر والاعتراف بالجميل إلى ثورة مصر ، وأن تعلنوا في نفس الوقت أن الشعب معكم في هذا ، وأن الزبيري ونعمان يمثلان جماهير البلاد ، أما أن تحدث هذه الأعمال اللعينة تحت سمعكم وبصركم ، فأمر لا يمكن استساغته ولا فهمه .

نعم . . كنا ننتظر أن ينتهي الهمس واللمز والغمز وأن يتجه الجميع إلى الإنتاج خاصة وعلى رأس الحركة الآن رجلان معروفان بماضيهما .

اذكروا أيها الشباب لتتصوروا مقدار الجريمة التي ارتكبها بعضكم ، اذكروا وتصوروا كفتين أو جانبين أو جبهتين ، نعمان والزبيري بصبرهما ، وكفاحهما وماضيهما ، وتشردهما وصراعهما الطويل من أجلنا ، هما في جانب ، وفي الكفة الأخرى ، فلان وفلان وزملاؤهما من وزراء الطاغية وحوارييه وأنصاره .

يا لها من جريمة ، يا لها من نذالة ، إننا ما كنا نتصور أن يحدث هذا من يمني جاهل بسيط ، ناهيكم من شباب متعلمين ، يدعون انتسابهم إلى الأحرار .

قد يكون لهذا البعض رأي معين في إصلاح أو تنظيم ، ولكن يجب على هذا البعض أن يختار الوقت المناسب والطريقة المعقولة ، إذ كيف يبرر موقف هذا البعض والطاغية قد حشد رجاله كلهم في القاهرة للصراع مع الأحرار . كان يجب أن تتكتل كل القوى ، وأن يكون الشباب هو الكتلة الحديدية التي لا تفل ، فيعلن عن بكرة أبيه انضمامه إلى الأحرار ، الأبطال في المطالبة بحقوق الشعب .

أيها الشباب ماذا نقول لكم . . ؟!

يجب ألا ننسى الإساءة ، يجب أن يحاسب كل فرد على أعماله ، إننا ننسى الإساءة ، وإلا فكيف أيها الشبان الأحرار يتخلل صفوفكم أشخاص وقفوا دائمًا ضد حركة الشعب ؟ . . كيف يشترك معكم هؤلاء الأشخاص في التوجيه والنقد ، ضد نعمان والزبيري ؟ . . كيف نسيتم يا أطفال . . ؟!

أيها الشباب يجب أن نكون حذرين وأن ننتبه؛ فإن العائلات التي عاشت على رقاب الشعب، وشربت دموعه وعرقه ودمه، وشاركت الطغيان، وكانت زناجيره وقيوده ومغالقه، هذه العائلات تنظر اليوم والطغيان ينهار بناؤه حجراً حجراً فيهولها الأمر، ولكنها لا تستطيع أن تسنده لأنه لا أمل في تقويته، هذه العائلات ترى اليوم أن الزمام قد أصبح في أيدي الأحرار.

وإذن؛ فالطريقة الوحيدة للاحتفاظ بمصالحها ومراكزها هي أن تدخل في صفوف الأحرار، وتشترك معهم، وتطالب معهم، وتمثل نفس الدور الذي مثلته مع الطغاة. هذه العائلات أيها السادة، ستوجه اليوم، وستشترك في النصح وسيكون أهم أهدافها التشكيك في رجال الأحرار، والتشهير بزعماء الشعب الحقيقيين.. لقد حرم شعبنا من الرجال الذين يدافعون عنه، وقد نسيه هؤلاء أيام محنته، وكان نعمان والزبيري وزملاؤهما يعملون في الميدان منفردين.

إن الشعب في اليمن لا يعرف أن أحداً عطف عليه في محنته. إن نعمان والزبيري هما الممثلان الحقيقيان للشعب، هما زعيما حركته النقية الصافية الخالصة. أما نحن جميعًا أيها الأحرار، فنحن القوى التي تسير عليها القضية، نحن حراسها، نحن المدافعون عنها، نحن رجالها، نحن حماتها.

أخيراً يجب ألا تستغربوا منا هذا فالقضية قضية الجميع، ونحن لم ننسحب من الميدان، وإن بعدنا عنكم فالموضوع موضوع غدنا المشترك، موضوع مستقبلنا، تقبلوا نصيبنا من الهذيان، فلو كنا بينكم فربما تكلمنا أكثر من هذا.. وأخيراً نحييكم والعاملين جميعًا والزملاء الطلاب جميعًا، ويشاركنا في تحيتكم جمع من أبناء الجالية اليمنية، ومن الشباب العربي.

وسلام عليكم».

إخوانكم المخلصون:

يحيى حمود جغمان، محمد أحمد الرعدي

محسن أحمد العيني

غدر وتزييف

هذه هي الرسالة ، وهي في الواقع تقرير أو بيان بوجهة نظرنا بعثناه إلى زملاء لنا عشنا معهم ، وتعاونا بل وكانت بيننا صداقة ، وكنا نتوقع أن يثور بعض الأشخاص ، ولكننا لم نتصور أن تتعدى ثورته الرد علينا بوجهة نظره مصحوبة بما شاء من الهجوم . ولم يخطر ببالنا أن هذا البعض سوف يلجأ إلى وسيلة جبانة للرد علينا .

بعثنا هذه الرسالة في مظروف خاص بالأستاذ علي الجناتي الذي كان سكرتيراً أي أمينًا لسر اتحاد اليمنيين الأحرار ، ومعها رسالة له قلنا فيها له أن واجب الزمالة يفرض علينا أن نبدي وجهة نظرنا إلى زملائنا هؤلاء ، ورجوناه أن يقرأها عليهم ، أو أن يتخذ أي طريقة لإطلاعهم عليها ، على أن تظل الرسالة في يده حتى لا يستغلها مستغل ، وكان أساس تقديرنا ليس هو وطنية الجناتي فحسب ، بل والزمالة والصداقة أيضًا .

وقد وصلتنا رسالة من الجناتي يقول فيها إن أحدهم أراد أن يرد علينا حرفًا حرفًا ، وأنه نقلها بخطه ولم يسمح له بأخذ الأصل ، ثم بعث لنا الأستاذ الجناتي برسالة ثانية يبدي رغبته في التخلص من الرسالة وإعادتها إلينا .

مرت الأيام ونحن ننتظر على أحر من الجمر الرد « حرفًا حرفًا» . . ووصل الرد فعلاً؛ ولكن لا من القاهرة ، بل من تعز . وكان ردًا مقتضبًا بليغًا في برقية « أمر مولانا ـ أيده الله ـ بعودتكم بحراً فوراً عن طريق جيبوتي ، استعدوا وأبلغوا وكيلنا لنأمر بتسهيل سفركم » .

وظنوا هذا ردًا مفحمًا سيسكتنا إلى الأبد . . وعرفنا يومها أن السادة الزملاء

الأصدقاء الأحرار قد صوروا رسالتنا بالزنكوغراف ، وبعثوها إلى إمام تعز إثباتًا للإخلاص والولاء ، ودليلاً على أنهم قد عادوا إلى الملة أو على الأصح إلى الحظيرة .

ترى لماذا لم يرسلوا للإمام أصل الرسالة وقد كانت بين أيديهم؟ . . لقد ظللنا نتساءل عن السبب . . حتى فوجئنا ذات يوم بمن يقول لنا إن رسالتنا قد حوت تفصيلات مؤامرة واسعة النطاق ، وأن فيها خطة لاغتيال مائة وخمسين رجلاً من المسئولين اليمنيين ، بل وأن في هذه الرسالة أو على الأصح الصورة الزنكوغرافية التي قدمت إلى الإمام الترتيبات للقيام بهذه الثورة . . ! !

هنا فقط عرفنا لماذا لم يقدموا أصل رسالتنا إلى الإمام ، لعله كان من العسير أن يضيفوا شيئًا إلى الرسالة أو أن يشوهوها أو يبدلوها ، لأنه من العسير الحصول على ورق مماثل تمامًا لورق الرسالة كما أن الخط سيظهر اختلافه ، ولكن عند التصوير تختفي المعالم المميزة الدقيقة للخط ، ولا يظهر الفارق في الورق .

بقيت أسئلة . . لماذا زيفوا رسالتنا هذه ، وأضافوا إليها أشياءً من عندهم ؟ هل حقدًا علينا وتجسيمًا لجريمتنا؟ . . هذا غير معقول ، لأن رسالتنا وحدها دون أية إضافة أو تشويه كانت كافية لتشريدنا ، وغضب الإمام علينا .

هل أراد هؤلاء المرتدون أن يعيدوا سبب التطرف إلينا ، وأن يقدموا للإمام ما يغفر لهم ماضيهم . . ؟

هذا أيضًا بعيد ، إذ قد عرف هذا التزييف ، وهذه الإضافات شخصيات يمنية كبيرة كانت في القاهرة آنذاك ، بل إن بعض الشخصيات قد اشترك في هذا التزييف .

يتضح من هذا أن التزييف كان له مبرر قوي ، وهذا التزييف ليس له أي أثر بالنسبة لنا ، بل إنه ليس تزييفًا علينا ، إذ ما كتبناه يكفي لقضاء مآربهم ضدنا . . إنه تزييف على الإمام أحمد . هؤلاء الرجال الذين يلتفون حوله لماذا يضحكون عليه ؟ . . لماذا يخيفونه؟ . . لماذا يهولون الأمور ويجسمونها ؟ . . لماذا لا ينقلون له الحقائق المجردة ؟ . . لماذا يظهرون له اليمنيين الأحرار كأفراد عصابات ، لماذا

يصورون له جمعية الاتحاد اليمني كجمعية إرهابية ؟ . . لماذا يصورون له نعمان والزبيري هذين الرجلين المسالمين كقاطعي طريق ؟ .

وبعد ، فقد كانوا جميعًا يهدفون إلى إشعار الإمام بأنه في خطر ، كانوا يعملون على أن يفهموا الإمام أن اليمنيين جميعًا ضده ، يتربصون به الدوائر ، وأن هناك دولة أو دولاً تساعدهم ، كانوا يريدون أن يتأكد الإمام أن الدنيا كلها تريد القضاء عليه ، وقد زادوا من عندهم أن مصر تعطف على حركة الأحرار .

وكانوا يريدون من كل هذا ، أن يرتمي الإمام في أحضان الشركات الاستعمارية ، كانوا يريدون أن يثق الإمام بهم ، وأن يتجه معهم إلى الغرب ضاربًا عرض الحائط بالعرب والسياسة المتحررة الجديدة ، كانوا يريدون أن يشعروا الإمام أن العرب ضده ، وأن الأحرار ضده ، وأن الناس جميعًا يدبرون الفتك به والقضاء عليه ، وأنه لابد له من الارتماء في أحضان شركاتهم الأمريكية والصهيونية ، ليقوي نفسه ونظامه .

العنف

ونريد هنا أن نقول إن الأحرار حتى الآن لم يلجئوا إلى العنف ، ولم يدعوا إليه ، نريد أن نقول هنا إن الأحرار حتى الآن قد سلكوا طرقًا مسالمة هادئة ، اكتفوا بالالتماسات وتقديم الرجاء تلو الرجاء ، والتحذير تلو التحذير ، اكتفوا بإظهار مخازي الحكم القائم أمام الشعب ، عسى أن يخجل الحاكمون ، اكتفوا أن يبينوا للشعب المظالم والمهازل والفضائح التي يزخر بها الحكم المتوكلي ، وكانوا حتى الآن يرجون أن يصلح الحكام من أنفسهم ، وأن يقودوا هم نهضة البلاد .

إن الإمام أحمد يعرف كم لجأ إليه الأحرار وعرضوا عليه مطالب الشعب ودعوه إلى تزعم حركة الإصلاح مذ كان أميرًا ، إن سيوف الإسلام كلها يعرفون كم بذل الأحرار من جهود لإقناعهم بحقوق الشعب ، ودعوتهم إلى أن يغيروا من سياستهم . إن الشخصيات اليمنية المسئولة الكبيرة كلها تعرف كم فاوضها الأحرار ، وكم اجتمعوا بها ، وكم ناشدوها أن تعمل من أجل مصلحة البلاد .

إن الجميع يعلمون بخطوات اليمنيين الأحرار ويعرفون أنهم مسالمون بل وأنهم غير متشددين ولا متطرفين ، وأنهم لم يلجئوا إلى العنف ولا يحبذون اللجوء إليه .

وإن الإصرار على تشويه حقيقة اليمنيين الأحرار وإظهارهم بالإرهابيين ، لن يكون له نتائج طيبة لأحد ، إن الإصرار على الزعم بهذه المفتريات سيدعو كل من يريد العمل لليمن أن يتخذ طريقًا أخرى .

وحركات العالم كلها التحريرية سواءً ضد الاستعمار أو ضد الاستعباد تلجأ اليوم إلى العنف ، إلا حركة اليمنيين الأحرار .

ولنا أن نسأل لماذا ظلت حركة اليمن حتى اليوم تستجدي الإصلاح استجداء ؟ .

وهل تظل الحركة تسلك هذا السبيل ؟ . . وإلى متى ؟ . . هل يظل زعماء الأحرار يلتقون برجال الوضع الحاضر في اليمن ، ويناقشونهم ، ويجادلونهم ويستجدون منهم في لين ، خطوات الإصلاح والنهضة ؟

إن الظلم في اليمن أشد وأقسى وأكثر وحشية من ظلم فرنسا للجزائريين .

إن حكومة اليمن تعذب اليمنيين في الداخل وتشردهم وتتعقبهم في الخارج ، وتعتقلهم بصورة لم تقم بها دولة استعمارية في العالم .

إن ضحايا الحكم المتوكلي في اليمن من المشردين واللاجئين والتائهين تحت كل سماء أكثر من ضحايا اليهود.

إن الموتى والقتلى ، والذين قضى عليهم الجوع والأوبئة والظلم المتوكلي يزيد عددهم عن ضحايا حرب فلسطين .

إن اللاجئين اليمنيين في العربية السعودية والسودان ومارسيليا وكارديف أكثر من اللاجئين الفلسطينيين .

إن حياة الشاردين اليمنيين أكثر تعاسة وبؤسًا وشقاء من حياة اللاجئين العرب الذين نزحوا من فلسطين .

إن اللاجئين الفلسطينيين يجدون عطفًا ورعاية من كل دول العالم ومنظماته ، ولكن اللاجئين اليمنيين لا يلقون إلا الطرد والتعقب والاعتقال .

إن اليمنيين مشردون تحت كل سماء ، يحملون أوراقًا مزيفة ، وأسماء مختلفة ، وتاريخ ميلاد مخترعًا ، لأن الحكومة المتوكلية لا تصرف لمواطنيها شهادة ميلاد ، ولا جوازات ولا أي ورقة إثبات شخصية .

إن اليمنيين المشردين هنا وهناك يحملون أوراقًا إنجليزية من عدن أو فرنسية من جيبوتي ، وهم على ذلك رعايا إنجلترا أو فرنسا ، وهم يشتركون أحيانًا في الحروب مع هذه البلاد التي بفضلها يأكلون ، وبفضلها يمشون على الأرض .

إن الحكم المتوكلي ليس له مفوضيات ولا قنصليات ولا وكالات ترعى شئون اليمنيين أو تحسن من أوضاعهم ، وقد فتحت أخيراً وكالة في السودان ومفوضية بالقاهرة وإنجلترا ، واليمنيون يعرفون أن الكوارث قد لحقتهم إلى هذه البلدان التي كانوا فيها مستقرين هادئين .

إن حقوق الإنسان لا تنتهك في أي بلد في العالم كما تنتهك اليوم في اليمن . إن الحيوانات في أمريكا قد أسست لها نقابة للدفاع عن نفسها .

واليمن حتى اليوم ليس فيها مؤسسة واحدة ولا جمعية واحدة ولا ناد واحد ولا هيئة واحدة ، إن اليمن ليس فيها نقابة واحدة ، بل وليس فيها عمال حتى اليوم .

إن اليمنيين محرومون من كل حق في التعبير عن آرائهم فليس في اليمن صحيفة يمنية واحدة .

إننا نناشد العالم كله أن يتدخل .

أين الأمم المتحدة ؟ . . أين لجنة حقوق الإنسان ؟ . . أين جمعية الرفق بالحيوان؟ أين الهلال الأحمر ؟ . . أين الصليب الأحمر ؟ . . أين من يؤمن بالإنسان . . وبحياة الإنسان ؟

أين الجامعة العربية ؟ . . أين الهيئات الشعبية العربية ؟ . . . أين الأحزاب العربية ؟ . . أين العرب ؟

لو كان في بلادنا مستشار إنجليزي ، أو أي شكل من أشكال الاستعمار ، إذن لعطفتم على شعبنا ، ولنصرتم حركتنا ، ولفتحتم لنا بلادكم ، ولآويتم مشردينا .

إننا نعجب حين نرى بلادنا ضحية لوحشية وهمجية حكام مستبدين ، ونرى البلاد العربية تجاملهم ، وتفتح لهم صدرها ، ونرى هذه البلاد العربية تهب لمحاربة الاستعمار .

إننا نؤكد للعرب أن شعبًا في الأرض لم يقاس من الاستعمار ما يقاسيه اليمنيون من الاستعباد الوحشي « الشريف » .

إن صراع الأمة العربية ضد الاستعمار يجب ألا ينسيها المستبدين ، أعداء الحرية وخصوم العروبة ، وإن النضال في الوطن العربي يجب أن يسير جنبًا إلى جنب ضد الاستعمار وضد العبودية والرجعية ، ويجب ألا يكون وجود الاستعمار في جزء عربي مبرراً لبقاء المستعبدين في جزء آخر .

بل إن صراع العرب ضد الاستعمار يقويه ويعضده تحرر العرب من الاستعباد .

ماذا قدم حكام اليمن للحركات التحريرية في الوطن العربي خلال حكمهم الطويل ؟ .

ماذا كان دور حكام اليمن في حرب فلسطين ؟

ماذا قدم حكام اليمن المتوكلون للمعركة العربية الراهنة في مصر ؟

إننا نصرخ ، يا عرب ، فهل تسمعون ؟ . . إننا نستغيث ؛ فهل تستجيبون ؟ . . إننا منكم ؛ فهل أنتم معنا ؟ .

إلى الأبطال الثائرين ، الذين حملوا الشعلة والمعول لتمهيد الطريق.

إلى أرواح الشهداء ، الذين تفجرت دماؤهم سيلاً عرمًا ،

تروي الأرض ، وتغرق الظلام ، وتشق مجرى

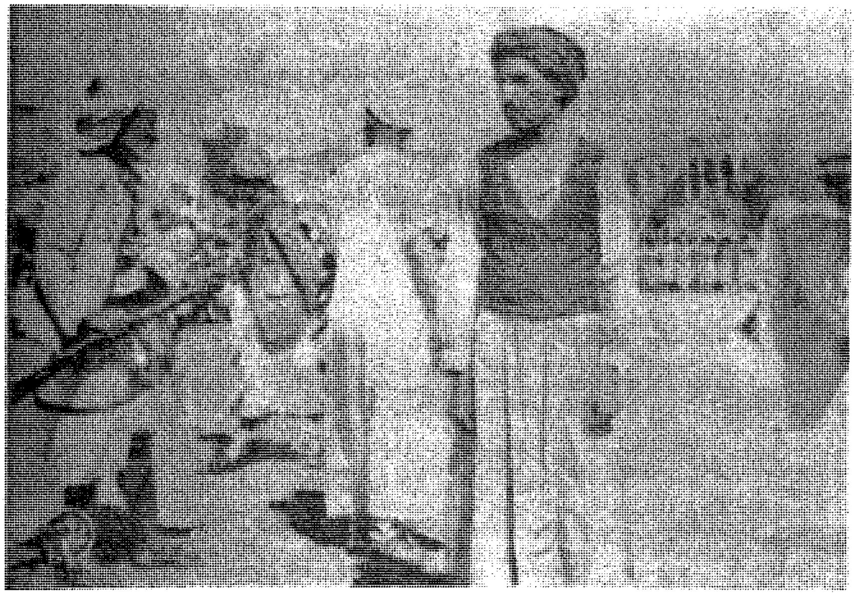
للتاريخ جديداً ، في جنوب الوطن الكبير .

بذور الحرية

عندما توضع الجثث في مراقدها الأخيرة
ملطخة بالدماء
وقد أعدت المشانق وتطاير رصاص الأمراء
فإن عناصر القوة تضحك ساخرة
إن كل هذه الأشياء تؤتي ثمارها وهي ثمار طيبة
وجثث هؤلاء الشهداء الذين أعدموا على المشانق
وهذه القلوب التي اخترقها الرصاص
هي على ما يبدو عليها من البرود
تعيش في عالم آخر بقوة لم يصبها الفناء
إنها تعيش أيها الملوك في أجسام شبان آخرين
في أجسام أخوة على استعداد لأن يتحدوكم
وقد طهرهم الموت وزادهم العلم
فليس من قبر لشهيد
إلا وقد نبتت فيه بذور الحرية
سوف تؤتي أكلها بعد حين
وستنشر الريح هذه البذور في كل مكان
فإن أسلحة الطغاة لا تقضي على الأرواح الأثيرية

وإنما هي تسعى في الأرض بعيدة عن الأبصار
هامسة ، موحية ، محذرة
أيتها الحرية . . فليدب اليأس إلى قلوب الآخرين
أما أنا . . فلن أيأس أبدًا .

(عن الشاعر الأمريكي . . ولت ويتمان)



القاضي يحيى السياغي .. جريمته أنه كتب وثيقة تنازل الإمام عن العرش



عبدالرحمن الغولي .. أحد رؤساء القبائل .. ينتظر الضربة الأولى



الضربة الثانية من سيف الجلاد ولا يزال الغولي واقفًا كالجبل



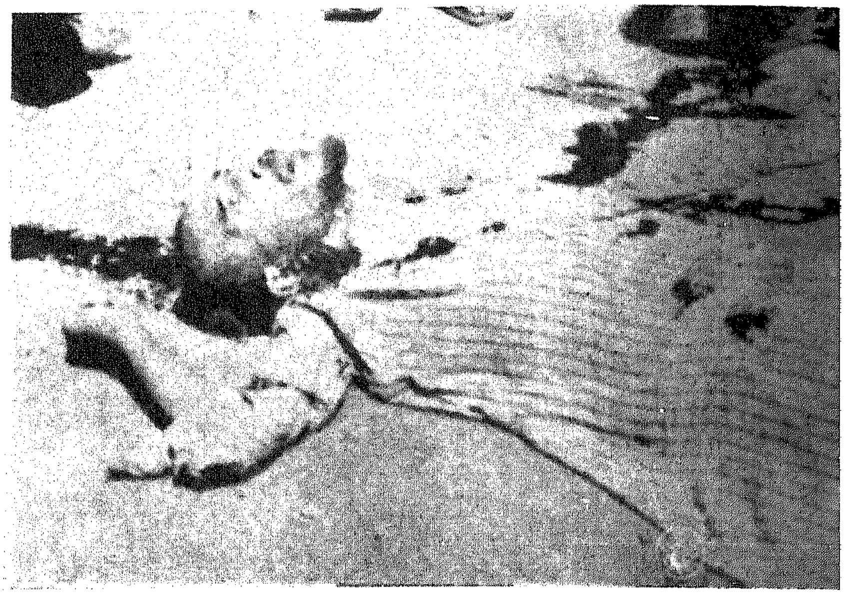
سقط البطل الغولي بعد الضربة الثالثة



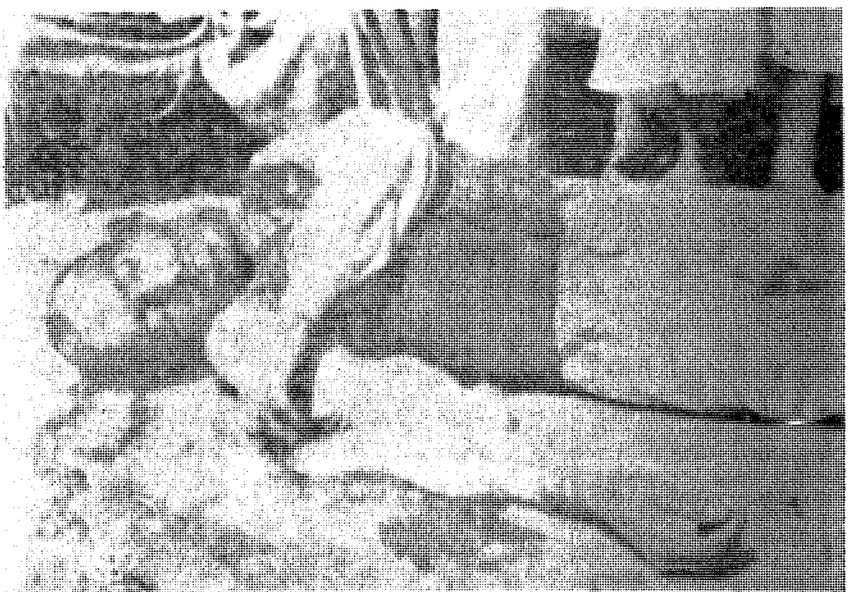
الحدري .. أحد رؤساء القبائل لم تشفع له شيخوخته .. فقتله الجبناء .



العقيد أحمد الثلايا.. بطل انقلاب 1955 ..يسبح في دمه..قدماه مثقلتان بالحديد!



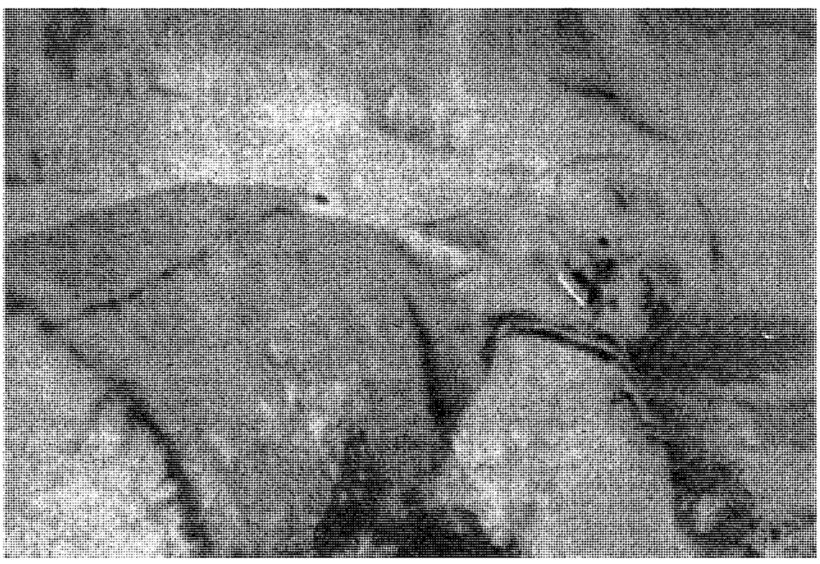
علي حسن المطري .. من رؤساء القبائل .. ذبحوه هكذا



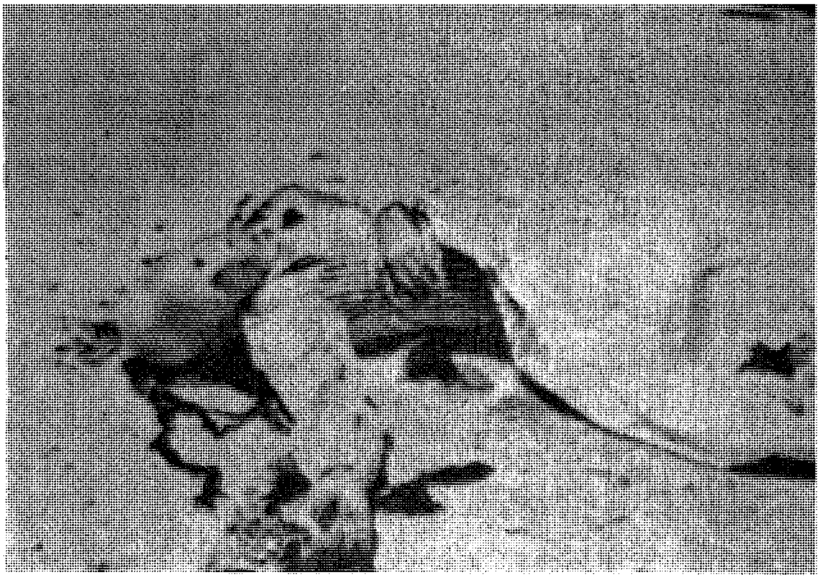
قائد معصار..أحد ضباط الجيش ذبحه الطاغية لأنه ركل باب مخزن السلاح بقدمه ..



الجناتي .. ضابط .. يسبح هو الآخر في دمه .



أحمد الدفعي من ضباط الجيش ذبحوه .. ذبح النعاج .



قتلوه .. لأنه أحب الحياة



في اليمن .. هكذا يذبح البشر



اليمن تسير في ركب العروبة المتحرر

الجمهورية

أيتها الجمهورية ، يا ابنة الحرية ، وأم الحرية البارة بالعالم
أحييك من بعيد قبل الأوان
أريد أن أكرمك ، فكرة تلوح في ضمير الغيب
في الساعة التي لا يزال فيها المارقون يلعنون اسمك
بينما يرفل في ثياب الشرف والمجد
أولئك الذين يريدون أن يصلبوك
أريد في هذه اللحظة أن أقدم لك ولائي
وفي الغد سوف يكثر المعجبون بك



جاملوا حكامنا .. يا قادة العرب .. يا أحرار ..

عندما يكلل النصر هامتك ، وينطوي أعداؤك صرعى ، مضرجين بالدماء

إن من لا يخضع لسحر عينيك

فلا بد أن تبطش به يدك القوية ، التي يلمع فيها سيف بتار

سيكون النصر حليفك .

وسيمتد لك قوس نصر عظيم .

ربما يقيمونه بين المروج المزهرة .

وربما في عباب بحر من الدماء .

(بيتوفي)

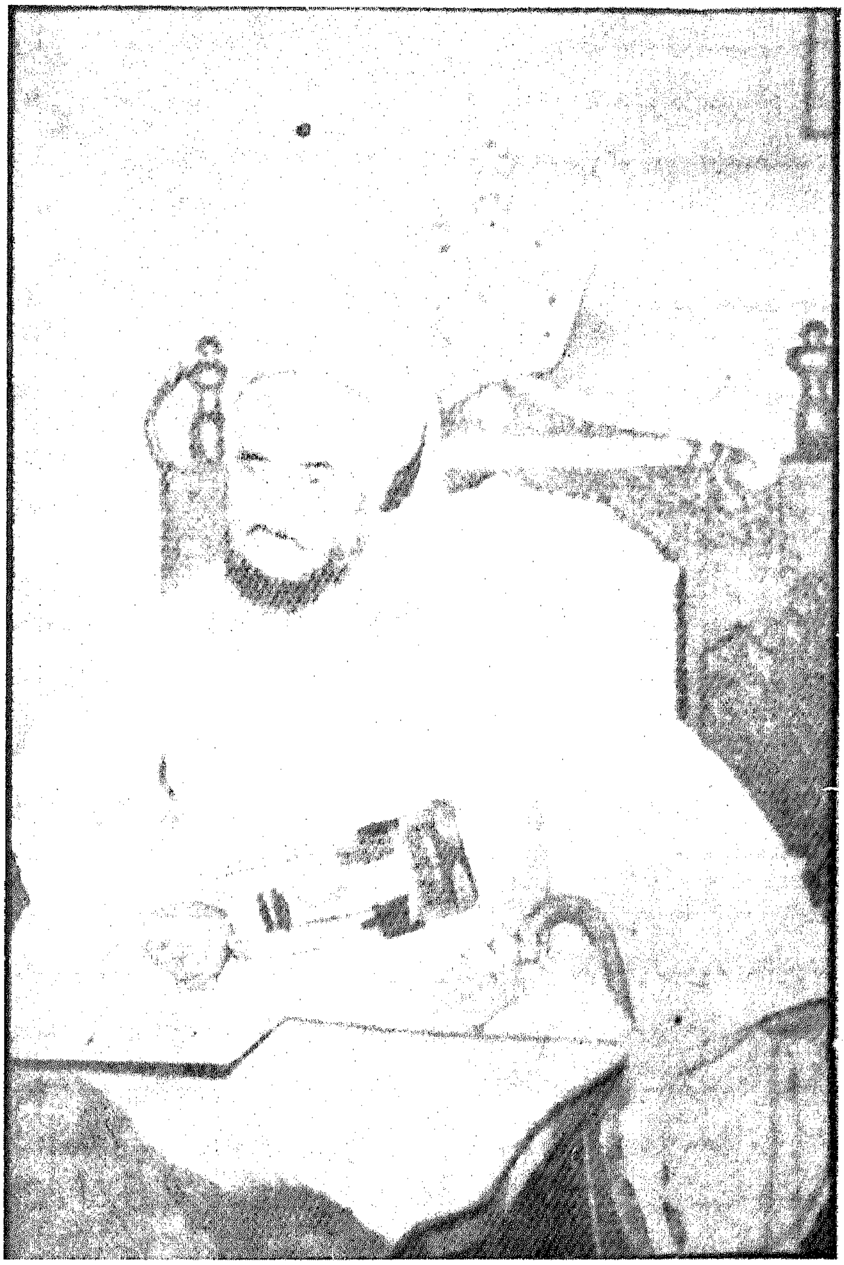
ردوا ..

لك الله من ربع تجـــوع به الأســــد ... ويمرح في أرجــائه شــــابعـًــــا قــرد
وتقــتـحم الأغــيــال فــيــه ثعــالب ... وكــان حــريًا أن حــارسـهــا فــهــد
لك الله شــعب كــان بالأمس مــعــقــلاً ... لكل كــمـي جــيـــشــه مــا له عــد
همــو قــوم عــاد و التــبــابعــة الألى ... بنوا إفــرقــيس الفــاتحــون إذا جـدوا
همــو ســبــأ أهل المشــورة والحــجى ... أولو البأس يجثو تحت عـرشـهم المجد
بنوا مـأربا و السحب قـالوا لهـا أمطري ... فــإن بخلت بالغـيث وافـاهم السـد
همـو حـمير، سـادوا وشـادوا وحـاربوا ... بكل خــمـيس جــحــفل مـا له صـد
ومن نسل قـــحطان اليـــمـــاني أمـــة ... تتـيــه بتـاج الغـار رصـعــه الورد
ونحن بنوها الوارثون لتـــاجـــهـــا ... تركناه نهب الغـاصـبين كـمـا ودوا
لك الله شــعب بعـد مـا كـان سـيـدًا ... عــزيزًا أبيًــا صــار يحكمــه عــبــد
يدوس بنعليـــه العـــدالة قـــائلاً : ... أنا العـدل! وهو الظلم أبشع مـا يبـدو
يخــــاطبكم بالســــوط طورًا وتارة ... يقــوم خطيـبًـا فــيكم سـيـفــه الحــد
فــيـسقـيكمــوا كـأس المنون ويحتـسي ... كئـوسًا من الصـهـبـاء مـازجـها الشـهـد
ويبني على أجـــداثكم من دمـــائكم ... وأعــراضكم عــرشًــا دعــائمـه الحـقـد
بني وطني، ما الخطب، كيف استنمتموا ... وكنتم أباة لا يـلين لكـم عـــقـــــد
وكــيـف، أولو الشـورى وبلقـيس منكم ... يذودكم كـــالشـــاء طاغــيـــة فــرد ؟
وكــيــف ، وكنتم فــاتحين أشــاوسًــا ... تهـابون صـعلوكًـا يعـاضــده وغـد ؟
ألم تسـأمـوا الليل الطويل ، وتكرهوا ... الظلام؟ ألم تهفوا إلى الشمس أن تبدو؟

بني وطني، والعـار يصـرخ في دمي، كـفـاكم سـبات ، فـالسـبـات له حـد !
بني وطني، والضيم يحرق مـهـجتي، أفـيـقـوا . . فـخـير من سبـاتكم اللحـد
بني وطني ، والحـقـد يأكل خـافـقي ، أمـا لبـدء في الغـيل ، أو مـخلب . . ؟

ردوا . . !

يحيى حمود جغمان



وهذا هو الجزار ..!

نجاح .. !

توجت الحملة المتوكلية بالقاهرة بانتصارات ملكية رائعة كانت باختصار ما يلي :

ـ دخول كل من : نائب الرئيس وسكرتيره والأمين العام لجمعية اتحاد اليمنيين الأحرار ، ورئيس لجنة المهاجرين ، ورئيس لجنة النشر ، وبعض أعضاء الإدارة في الجمعية ، دخول كل هؤلاء في الحضيرة . . « الشريفة » .

ـ توقفت صحيفة « صوت اليمن » عن الصدور ، وهي لسان الأحرار .

ـ إيقاف نشاط الاتحاد اليمني .

ـ سكوت الأستاذين نعمان والزبيري عن الحديث في راديو صوت العرب .

تلي هذا :

قيام المرتدين المحترمين بالحج إلى محط رجائهم وكعبة آمالهم الإمام أحمد في تعز ، تنقلهم الطائرات جماعات وأفرادًا من القاهرة إلى تعز وصنعاء .

وفي هذا الذهول يفاجأ الناس ، باعتقال أكثر من ثلاثين رجلاً في صنعاء وتعز والحديدة ، وقطع مصروفات خمسة من الطلاب اليمنيين في القاهرة ، وطالب في إيطاليا ، وثلاثة في باريس ، وتوعد وتهديد وإنذار الطلاب الشباب في كل مكان بالويل والثبور وعظائم الأمور .

ولا بد أن نذكر أنه كان لهول هذه الكارثة رد فعل في أوساط اليمنيين في الداخل والمهجر ، وكانت هزة عنيفة للأحرار في كل مكان ، لقد قوبلت بالوجوم والذهول، لقد كانت حادثًا بشعًا .

رجال الأحرار ، الذين خدع بهم الناس ، وأودعوا إليهم أسرارهم، وتعاونوا معهم ، وأكرموهم وساعدوهم ، مرة واحدة ، في أحضان الإمام .

أظن أن حادثًا كهذا لا يمكن أن يكون له مثيل .

في باريس

وفي باريس قضينا عامًا بعد قطع مصروفاتنا . . ولن أصور الحال والحياة التي عشناها لأن أحدًا من أبناء الشرق الحبيب موطن الرخاء والكرم وسهولة العيش لن يتصورها .

لقد توجهنا إلى البنك الذي كانت مصروفاتنا تصل عن طريقه ، فقال الموظف المختص ، لا شيء من أجلكم ، وخرجنا نتبادل النظرات : لم يكن معنا ثمن وجبة واحدة ذلك اليوم ، وقد كان غذاؤنا قطعة خبز مع ماء الحنفية . وكانت ألذ أكلة تناولناها في حياتنا .

وقد توجهنا إلى مراكز الطلاب وعرضنا اثنين من أجهزة الراديو كانا معنا للبيع وتوافد الطلاب الفرنسيون في اليوم التالي لشرائهما وقبضنا مبلغًا أودعناه لدى أمين الصندوق الزميل محمد الرعدي . وكان يخرج يجلب لنا ثلاثة أرغفة من الخبز الناشف ويدخل بهما من باب الفندق بتكتم وكأنه يقوم بعملية تهريب حشيش أو أفيون . . إذ إنه من الممنوع تناول الطعام في الغرف في الفنادق الفرنسية .

بعنا إذن جهازي الراديو ، واجتمعنا الثلاثة في غرفة واحدة ، وبدأنا حياتنا الجديدة .

ومرت الأيام ، أبرقنا للوجيه ، وكيل الإمام في عدن . . « حولوا مرتباتنا أو سهلوا عودتنا » ، فرد علينا : « راجعوا المقام الشريف أعزه الله تعالى» . أجل المقام الشريف أعزه الله تعالى . .

وإلى باريس !! . . كتبنا إلى المفوضية اليمنية في لندن : « سفرونا » ! .

ماذا نعمل ، نسيتنا حكومة اليمن ، ليس معنا نفقات للعودة . . برد شديد ، درجة الحرارة وصلت إلى ١٧ تحت الصفر ، غلاء فاحش .

معزولون عن الدنيا كلها ، ليس في باريس يمني واحد ، ليس في باريس مفوضية ولا وكالة لليمن ، لا شيء على الإطلاق .



من اليمين : جغمان ، العيني ، الرعدي .. في شتاء باريس

ماذا نعمل ، عائلاتنا فقيرة ، إلى من نلتجئ . . !

ولا بد أن أذكر أننا كنا سذجًا ، كنا ننتظر أن الدنيا ستهب لإنقاذنا ، كنا نتوقع أن أصدقاءنا وإخواننا هنا وهناك لن يتركونا هكذا في باريس .

كنا نقول لأنفسنا أننا قد وقعنا ضحية طاغية مفترس ، ولأسباب عامة لن يتركنا الأحرار ، ولن يتخلى عنا اليمنيون .

ويجب أن أذكر أيضًا أن هذه كانت سذاجة فقط ، إذ ليس من واجب أحد وليس أحد مكلفًا بمثل هذا .

مع وزير اليمن

وفي أواخر ديسمبر سنة 1955م وصل إلى باريس السيد حسن إبراهيم وزير الدولة اليمنية ؛ وزير اليمن في لندن وإيطاليا وألمانيا ودعانا ، وجلسنا معه ساعات ، حدثنا عن الإمام وتعز والوزارة اليمنية التي كانت قد شكلت ، واعتقال أحمد مفرح ، الذي كان يدرس في باريس وعن القاهرة .

وقال إن سر الخلاف مع النعمان والزبيري هو رفضهما أن يكون نظام الاتحاد اليمني وتكوينه متوافق مع رغبات الإمام ورضاه وأنهما لا يفكران إلا في الناس وإرضاء الناس . وقال : إنه لا ينبغي معارضة هذا الإمام . . ويجب أن نقبل منه ما يقدمه ، وألا نطلب منه شيئًا . أما المستقبل فها نحن قد اتفقنا على رجل المستقبل . . فلماذا الإذاعة في صوت العرب ؟ . . ولماذا إصدار صوت اليمن ؟ . . إن هذا يؤذي الإمام ويعكر مزاجه . . وأضاف؛ وإلا فما الذي يمنع اليمن من الانضمام إلى حلف بغداد ؟!

وقال السيد حسن إبراهيم : إنه سمع إشاعات وأقاويل مؤداها إننا الثلاثة نكون اللجنة المنظمة للقيام باغتيالات واسعة النطاق وأن من بين مائة وخمسين شخصية يمنية يراد اغتيالها : الإمام والبدر ووالد السيد حسن ، ولم نكلف أنفسنا مجرد التكذيب للخيال الخصب الذي نسج هذه الأكاذيب ، ولفق هذه الاتهامات الخرافية واكتفينا بالقول : إذا كان الأمر كما تقولون فلماذا نحن في باريس ؟ .

فقال : ألا تعرفون أن باريس وبيروت وكران من أخطر أوكار المؤامرات ؟!

ترى هل قالوا للإمام إننا سنلقي عليه الصواريخ الموجهة ، أم أنهم لم يكونوا قد عرفوا شيئًا عنها قبل تصريحات بولجانين . . !

وقد قال السيد حسن فيما يختص بمرتباتنا إنه يحسن أن نكتب للإمام رسالة مغلقة لأن جلالته يخجل من البرقيات المفتوحة في مثل هذه الموضوعات .

برقيـات

وقد واصلنا دراستنا في باريس في ظروف قاسية لا يتصورها إلا من عرف باريس ، ومستوى الحياة في باريس ، والحقيقة إننا كنا حيارى ، أين نذهب ؟ . . إلى اليمن ؟ . . أقل ما ينتظرنا فيها هو السجن ، وقد سبقنا إلى السجن الزميل أحمد مفرح الذي غادر باريس لزيارة والدته ، وبعد الزيارة ، وبينما كان على وشك العودة اعتقل وهو بريء كل البراءة ، فكيف بنا ؟ . . هل نذهب إلى القاهرة؟ . . إن زملاءنا الخمسة الذين قطعت مصروفاتهم يستجدون هناك ، ويمدون أيديهم في نهاية كل شهر .

إن الدنيا كلها سواء في نظر المشردين

وذات يوم تلقينا هذه البرقية :

« من الإمام إلى الرعدي وجغمان والعيني، سلكت هتيل باريس ، عجلوا الوصول إلينا ».

فأجبنا : «جلالة الإمام المعظم – تعز ، مستعدون ، أمركم بتحويل ديوننا وتذاكر السفر » .

فأبرق في اليوم التالي : « الديون لمن هي ، وضحوا » .

فأجبنا برقيًا : « للفندق وآخرين » .

وتلى هذا صمت . . لم يرد ولم نعقب .

ثم جاءت الأخبار من القاهرة : الإمام أمر بإعادة مرتبات الطلاب بالقاهرة ، واستلموها فعلاً . . وصلتنا رسالة من السيد عبدالرحمن أبو طالب وزير اليمن المفوض بالقاهرة يقول فيها : «كنت قد راجعت عندما كنت باليمن بخصوص مقرراتكم ووعدت بتسوية ذلك ، ولما وصلت قصدني الأخ علي العيني فشرح أنه لم يصل شيء ثم وصلني كتابكم فأعدت المراجعة ، ويومنا استلمت برقية من وزارة الخارجية ، إنها حصلت الموافقة على إرجاع مقرر عبدالله الكرشمي وزملائه بباريس ، أرجو إفادتي بما يتم في ذلك ، وأنا آسف لكل ما حدث ، ولا يد لي فيه كما يعلم الله ، وإن حاول البعض هنا دس العظام في جحر عريج؛ وهو الأسلوب الذي اعتدنا عليه» .



السيد عبدالرحمن عبدالصمد أبو طالب وزير الدولة ، وزير اليمن المفوض في روسيا ، وفي تشيكوسلوفاكيا وفي الصين الشعبية ، وفي باكستان وفي مصر وبقية الأقطار العربية .. ما دوره .. ؟

ومرت شهور ثلاثة وهم يتلاعبون . . أبو طالب يقول إنه تلقى تبليغًا ، العمري يقول إنه تلقى أمرًا ، الجبلي يقول إن الأمر وصله ولكنه لا يعرف كم هي مرتباتنا حتى يحولها ، الوجيه في عدن يقول إنه تلقى من الإمام «من أمركم بصرف مرتبات طلبة باريس . . لا تعتمدوه . . احذرو » . . وهكذا . .

ضعه

وقد بلغنا أن الأمر كان قد صدر فعلاً ، لولا ذلك الحقير . . الذي وثقنا به فترة ، وكنا نلقاه في الحديدة وتعز والقاهرة كرجل حر . . إن القصور تقتل فيه كل معنى للرجولة والإنسانية والشهامة ، وتحيله إلى عبد ذليل يلجأ إلى أبشع الوسائل ، وأسفلها لخدمة الضمير الشريف ، تذكروه يا يمنيون عندما كان يتردد بين الحديدة وحجة وتعز ، وهو منفي من قصور سيده ، وكيف كان ، هادئًا وديعًا . تبدو عليه البراءة والطيبة ، وانظروا إليه اليوم ، وهو يستبسل في حربه ضد البعثة في القاهرة ، إنه مريض يشعر بالنقص ، ويحس بالضعف والهوان ، فيقدم على كل ما يظن أنه يقربه من سيده ، ويعتقد أن حياته في قصور سيده ترفع مكانته . . وهو مخطئ كل الخطأ . . إنه ينزل إلى الحضيض .

قالوا إنه تعهد لمولاه أن يكسر شوكة البعثة ، وأن يذل طلابها ، وأن يخضعهم ، وقد طلب أن يفوضه الإمام للقيام بهذا .

نحن لا ندعي هذا ظنًا أو تخمينًا ، ولكننا نعرف هذا من باريس ، لقد حدثنا عن هذا كل من كانوا بجانب الإمام ، وكيف تَبَنَّى تشريد الطلبة وقطع مصروفاتهم . . وتعزز هذا وتؤكده مواقفه من البعثة في القاهرة . وطبعًا هو ليس وحده ، فمعه آخرون ، وكلهم مسئولون .

في لندن

وفي 14 يونيه 1956م أبرقنا من محطة باريس إلى المفوضية اليمنية بلندن «توجهنا إليكم للضرورة » ، ووصلنا إلى دار المفوضية ، وقلنا للمسئولين ، إننا سنظل في ضيافتكم في لندن حتى تحل مشكلتنا ، وينتهي التلاعب وبسطنا لهم المشكلة .

بعثتنا الحكومة اليمنية إلى باريس للدراسة ، ولم تمر شهور حتى قطعت مصروفاتنا ، ولم تبلغنا قرارها هذا ولا أسبابه ، ورفضت أن تسفرنا وتركتنا في باريس عشرة أشهر ، وليس لها مفوضية أو وكالة .



السيد حسن إبراهيم وزير اليمن المفوض في إنجلترا وألمانيا وإيطاليا ،
وهو الآن وكيل وزارة الخارجية اليمنية بالإضافة
إلى الوظائف السابقة ، وبجانبه محسن العيني .

وما أقدم عليه المسئولون في اليمن لا تقدم عليه إلا عصابة؛ لا حكومة تحترم نفسها، وتقوم بوظيفتها وواجباتها والتزاماتها .

وقلنا لرجال المفوضية : لن نخرج من هنا إلا بمصروفنا ، أو بتذاكر سفرنا إلى القاهرة ، ونترك لكم الاتصال بالإمام .

قالوا : ليس لكم أن تشترطوا العودة إلى القاهرة ، ولنا أن نشترط عودتكم إلى اليمن بلادكم .

قلنا لهم : إن هذا الأمر طبيعي جداً ، وهو ما كان يجب أن يكون ، ولكن الحكومة المتوكلية الشريفة قد أحالت بلادنا إلى سجن كبير ، قد جعلت بلادنا جحيمًا لا يطاق ، وقد جردت بلادنا من كل شيء . . إننا طلاب . . ولم تنته دراستنا بعد ، وليس في اليمن بفضل المقام الشريف جامعات .

وأنزلونا في أحد الفنادق وقالوا انتظروا وسنتصل بالإمام .

وبعد أيام اقترحوا علينا أن نسافر إلى اليمن مع الوزير المفوض فرفضنا ، فعادوا واقترحوا سفر واحد منا فقط ، ليقدم للمقام الشريف باسم الثلاثة آيات الولاء والخضوع والطاعة . . وقد أقنعنا المسئولين في المفوضية أن الأمر لا يحتاج إلى كل هذا فنحن طلبة ، وحتى لو كنا قد أخطأنا فهاهم قد حرمونا مصروفًا أشهر طويلة ، ومع ذلك فلم نصل إليهم إلى لندن لإعادة مرتباتنا ، وإنما فقط لتسفيرنا .

وسافر الوزير إلى تعز واجتمع بالإمام . . وعاد؛ ومن إيطاليا اتصل بالمفوضية تليفونيًا وقال : إن الإمام يصر على وصولنا إليه . . وإننا سنعود مباشرة لمواصلة دراستنا في باريس .

ووصل الوزير إلى لندن وشرح لنا أن الإمام يرفض كل كلام في موضوعنا حتى نصل إليه . . وقال الوزير : إنني أعجب . . لماذا ترفضون . . والإمام يستدعينا دائمًا ونخرج إليه ؟

فقلنا له : أنتم موظفوه . . أما نحن فطلبة .

ثم قال : هل تخافون منه . . ؟

فقلنا : لا . . وكيف نخاف من جلالته . . ؟

قال الوزير : ادخلوا في حمايتي . . وأنا أتعهد بألا يمسكم سوء .

قلنا له : ومن يتعهد بسلامتكم أنتم . . إننا لم نعد نثق . . إن الأوضاع في بلادنا لا تقيم أي وزن للشرف ولا للقانون . . وعلى أية حال فنحن طلبة . . و الطلبة لا يقابلون الملوك . . أما أن الغرض من دخولنا هو إذلال الأحرار والكسب السياسي الرخيص ، فيكفي من دخلوا حتى الآن ، والأمر بالنسبة إلينا أمر كرامة ، ولن نخرج حتى ولو تأكدنا أننا سنعود سفراء في باريس لا طلابًا .

فقال : هذا منطق السربون . . !

وهكذا أظهرنا بوضوح وصراحة إننا لن نعود إلى تعز نقبل الثرى أمام صاحب الجلالة . . ونطلب الرحمة و الغفران . . وكنا صرحاء لأننا لم نرد أن نخدع رجال المفوضية ، ونعدهم بالخروج إلى اليمن ثم نتخلف في أحد المواني أو المطارات . . وطال الأخذ والرد بين المفوضية والإمام .

وطوال هذه الفترة التي طالت حتى وصلت إلى سبعة أسابيع ، ونحن نقيم بفندق ألكسندراهيتل ، وتراكمت حسابات الفندق وتضاعفت ، وقد شعرنا بهذا منذ وصولنا ، وكنا في كل مناسبة نذكر المسئولين بهذا ، فكانوا يغضبون ويقولون يجب ألا تفكروا في هذا ، أنتم ضيوفنا ، ولا شك أنهم كانوا يتوقعون أن تنتهي الحالة بإعادة مرتباتنا أو بتسفيرنا ، ولكن الإمام رفض الأمرين معًا ، وكانت مشكلة . . كنا نريد أن نتعاون معهم إلى أبعد حد حتى يأمر الإمام بدفع تكاليف الفندق حتى لا نكلفهم هم ، أما نحن فلم يكن معنا شيء ندفعه .

قلنا لهم : كيف يكون العمل ؟

قالوا : اخرجوا إلى اليمن ! .

قلنا لهم : سنغادر لندن ونقبل العودة إلى اليمن ، ونستلم تذاكر السفر من مكان غير لندن حتى يحول الإمام نفقات الفندق من جهة ، ومن جهة أخرى حتى لا تكونوا أنتم مسئولين عن سفرنا .

قالوا : لا . . هذا غير عملي . . وليس هناك من حل سوى تنفيذ أمر الإمام والوصول إليه .

فنظر بعضنا إلى بعض وتشاورنا قليلاً وقلنا : الله . . وما الذي يمنعنا من السفر إلى اليمن . . إنها بلادنا ، هيا بنا أبرقوا إلى الإمام بأننا على أتم استعداد للوصول . . يا سلام ، بس هذا . . وراحت البرقيات للإمام ، وطمأنونا وقالوا : خلاص الآن ، ولا يهمكم نفقات السفر سيأمر بها الإمام ، وسيأمر بكل ما يلزم ، وسيسافر معكم معالي الوزير نفسه .

ومرت الأيام ولا خبر . . وأخيراً وصل الوزير إلى لندن واتصلنا به فقال إنه سيسافر إلى أمريكا ، ويعود بعدها إلى لندن ، ثم نسافر معًا إلى اليمن .

وفكرنا . . إن دخولنا اليمن في هذه الظروف مستحيل ، سفرنا مع الوزير وتخلفنا في أحد الموانى أو المطارات أمر يحرج الوزير . . وقد كان الوزير وإخوانه كرماء في معاملتهم الشخصية طوال أقامتنا .

واتخذنا قراراً . . اتصلنا بالقائم بالأعمال يوم جمعة واستأذناه بالخروج لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في ضاحية من ضواحي لندن ، وخرجنا .

وفي ظهر يوم 30 يوليو سنة 1956م كنا نأخذ القطار من محطة فيكتوريا في لندن في طريقنا إلى باريس .

في باريس من جديد

وبعد منتصف الليل وصلنا باريس ، وكانت لا تزال كعادتها ساهرة صاخبة ، وكنا سعداء غاية السعادة ، لقد استعدنا حريتنا التي شردونا من أجلها ، حريتنا التي نهيم بها والتي لن نقبل عنها بديلاً ، الحرية التي سنعمل ونكافح من أجلها ، لا لنا وحدنا ، بل لمواطنينا جميعًا ، أجل استعدنا حريتنا بعد أن كانوا يريدون شراءها منها .

دخلنا باريس والسعادة تملأ جوانحنا ، لقد استأنفنا حياتنا ، لقد عدنا إلى باريس المدينة التي شهدتنا ونحن نقاوم عصور الظلام وهي تشدنا إليها ، باريس التي عشنا فيها شهوراً والثلوج تغطي كل شبر فيها ونحن ننام جياعًا ؛ باريس التي قطعت رأس الملك لويس السادس عشر ، والتي ضربت عنق الملكة الجميلة ماري أنطوانيت؛ باريس التي شهدت شوارعها وميادينها أعنف ثورة دامية ضد الملكية العابثة الفاسدة ، التي كلما ذكرناها ؛ ذكرنا متحف اللوفر العظيم وفي أحد أبوابه تمثال بلقيس اليمنية الخالدة وهي تقول : «إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون» .

إن باريس قد شهدت مأساة ثلاثة قبائل من أفقر طبقات الشعب . . صمدوا أمام

حكومة رجعية جاهلة مستبدة ، لقد واصلنا دراستنا في باريس حتى نفقدهم نشوة الانتصار ، كانوا يريدون بعودتنا أن يقولوا لليمنيين ، وراءكم وراءكم ، أينما ذهبتم . . إننا نستطيع أن نتعقبكم ، وأن نخضعكم ونذلكم أينما كنتم .

كانوا يريدون أن يثبتوا للشعب في الداخل والخارج أن الأحرار ضعاف . . ضعاف نفوس ، يستسلمون . . ويركعون بمجرد إشارة من الطغيان في اليمن لقد ذهل الشعب فعلاً عندما رأى من كانوا في صفوف الأحرار الأولى تحملهم الطائرة إلى تعز ، يعفرون جباههم في الأرض وبطريقة مسرحية ، ويذيع راديو صنعاء أخبار تنقلاتهم ، لقد كان الغرض هو أن يزعزعوا ثقة الشعب في أبنائه ، وأن يفقدوا اليمنيين الثقة والإيمان بعدالة القضية الوطنية .

ولهذا كله . . بقينا في باريس . . رغم كل شيء وبطريقة مسرحية أيضًا ، حتى نفهم الطغيان أن شراء الرجال قد انتهى، وأن الرق لم يعد له مكان . . وحتى يعرف اليمنيون أن «أحمد يا جناه » ينتهي في حدود اليمن . . كنا نريد ببقائنا في باريس أن نقول لليمنين في مهاجرهم . . لا تخافوا من الإمام .

إنه أعجز من أن يقوم بشيء . . لقد عرفنا تجاراً كباراً من اليمنيين يخافون الإمام وهم في فرنسا أو إنجلترا أو أي مهجر . . إنه شبح وحشي مرعب . . يظنونه سيبطش بهم في مهاجرهم . . سيهدم دورهم . . دورهم التي في المهاجر ، أما في اليمن فلا دور لهم . . ومن هؤلاء الخائفين من يحمل أوراقًا إنجليزية من عدن أو فرنسية من جيبوتي . . ومع كل هذا فأحمد لا يزال في رءوسهم هو . . هو . . «أحمد يا جناه» .

لقد كان ينفق علينا . . أردنا أن نقول لليمنيين إن الحرية قد عمت أرجاء الأرض. . وإن العبودية لا وجود لها إلا تحت الظل «الشريف».

وداع

وفي الحي اللاتيني الذي قضينا فيه أجمل أيام العمر بدأنا نعد أنفسنا للرحيل . . زرنا أصدقاءنا وزملاءنا وجمعنا ما أمكن من الكتب، وتجولنا في باريس وفي

ضواحيها مودعين ، حتى كان يوم 10أغسطس 1956م ، وخرجنا في ذلك الصباح ومعنا زميل ليبي كان لنا أكثر من صديق؛ هو الأستاذ منصور رشيد الكخيا . . ووقفنا في المحطة . . وودعت ـ والدموع تكاد تطفر من عيني ـ محمد ويحيى . ودعتهما للمرة الأولى منذ تعارفنا . . ضحكنا كثيراً قبل أن يتحرك القطار . . وتبادلنا النظرات . . نظرات الحب والزمالة والتفاهم . . نظرات الإخاء الصادق . . والتقدير العميق . . وتعاهدنا على الوفاء والإخلاص للمبادئ الوطنية المقدسة ، ودعتهما وكأني أودع قطعة من كياني اقتطعت مني ، وأنا أراها ، تحركا لأول مرة من دوني وتركاني . . وظللت أتابع القاطرة بنظراتي حتى غابت وشعرت بعدهما بالوحدة . . وأحسست بالوحشة . . لقد عشنا لا نفترق . . وتعود الناس ألا يرونا إلا مجتمعين . . لقد قضينا فترة باسمة رغم الغيوم . . لقد ضحكنا في أحلك الساعات . . كان الواحد منا يستمد الشجاعة من زميله .

ودعتهما واستقر بهما المقام في دمشق . . الأمويين . . أما أنا فعلى غير رغبة مني بقيت في باريس . . فقد كان علي أن أؤدي بعض الامتحانات ، وكنا نخشى أن تتعقبنا المفوضية اليمنية فتحاول خلق صعوبات أو سحب جوازات . . فقررنا أن يرحلا ، وكانت رسائلهما من مرسيليا ومن الإسكندرية وبيروت توقع بأسمائنا الثلاثة لهذا السبب ، إذ إننا في البلاد العربية في مأمن طبعًا من الغضب المتوكلي .

اغتيالات ..!

وقبل أن يصلا بيروت هبت المفوضية اليمنية في القاهرة كالمسعورة ورفعت مذكرة للحكومة اللبنانية تحذرها من الإرهابيين الثلاثة . . وتطلب منها تشديد الحراسة على سيف الإسلام البدر . . والمحافظة على حياته . . وقالت : إن الزميل عبدالرحمن نعمان كتب إلى أخيه محمد أحمد نعمان في عدن وإلى جغمان والرعدي والعيني في باريس ودعاهم للوصول إلى لبنان للاشتراك في اغتيال الأمير البدر . . والأعجب من هذا كله أنهم وجهوا الاتهام أيضًا إلى أستاذنا القاضي / محمد محمود الزبيري ، بأنه وصل لبنان لاغتيال سيف الإسلام القاسم .

وفي ميناء بيروت فتش الزميلان تفتيشًا دقيقًا . . حقائبهما . . أوراقهما . .

وملابسهما . . ودهشت السلطات اللبنانية إذ لم تجد دليلاً واحداً على أن لوصولهما صلة بالبدر أو القاسم . . بل إنهما لم يكونا يعرفان ، وزيادة على هذا فلم يغادرا باريس إلا بعد أن غادر البدر لبنان .

ومن هذا ومن تعقب السلطات اللبنانية للأستاذ/ الزبيري وزميله من آل نعمان عرف لبنان أن المسئولين اليمنيين في ارتباك وأنهم في حاجة إلى الرثاء والشفقة والستر!

وبعد هذا سأل صديق كريم في رسالة له : « كيف وصل المفوضية بالقاهرة خبر قدومكم لبنان . . ؟ » ، ترى هل تنقلاتنا تحركات عسكرية حتى نحيطها بالسرية والكتمان . . ؟ ولكن الصديق يعود فيقول في رسالته : « أما المؤامرات فهذه تأتي عفو الخاطر . . وهم لا يتكلفونها . . لأنها تجري في دمائهم . . » .

أجل أيها الصديق العزيز . . إنها تجري في دمائهم . . إن جرائمهم تصور لهم أن الناس يترصدون لهم في كل شبر . . وأن الموت يلاحقهم بشبحه في كل مكان . . والحماقات التي يقدمون عليها ما هي إلا مظهر للقلق والارتباك وفقدان الأعصاب .

اللهم لا شماتة . .

في سويسرا

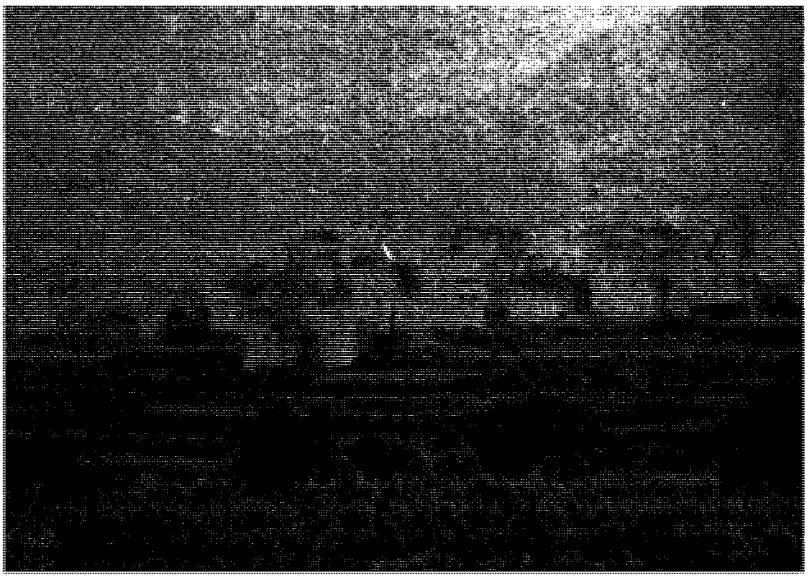
وقد انتهت امتحاناتي وأعددت نفسي للرحيل ، وعملت حتى تهيأت لي لوازم السفر . . وكانت الظروف قد تأزمت بعد تأميم القنال ، وأصبح مرور البواخر نادراً وعسيراً بين مرسيليا والإسكندرية ، فلم يبق إلا أن أركب الباخرة من أحد موانى إيطاليا . . وبهذا أتيحت لي الفرصة لزيارة بعض مدن ألمانيا وإيطاليا ، وأهم من كل هذا لأرى سويسرا ، هذه الأرض التي كلما تحدث أحد عن بلادنا العربية السعيدة شبهها بسويسرا .

وكان الوزير المصري البكباشي حسين الشافعي قد أجاب علينا حينما سألناه مرة في دار السفارة المصرية في باريس أمام الطلاب العرب عن انطباعاته ومشاهداته في اليمن قائلاً :

«إن الكثيرين لا يعرفون أن اليمن هي سويسرا الشرق ، وأن جبال اليمن الشامخة ووديانها وسهولها شبيهة بأراضي سويسرا الخلابة الفاتنة » .

أما العالم الألماني « هانس هلفر تس » فقد قال : إن جبال مناخة في اليمن هي أجمل ما وقع عليه نظره ، وشبه سكان هذه الجبال وهم يغادرون منازلهم في البكور بالصقور تبدو وتظهر من بين السحب والغمام .

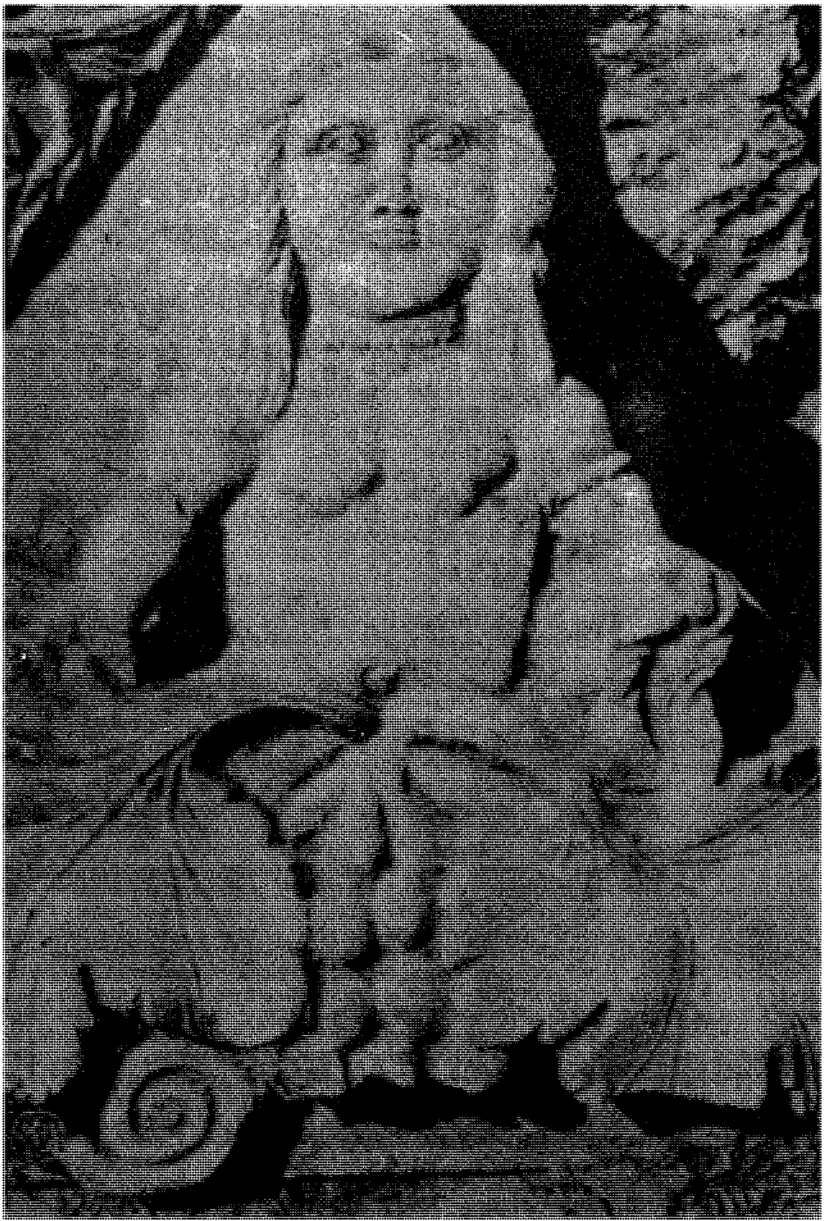
أما « كريستيان شاتو » الصحفية الفرنسية فقد قالت : « إن الإنسان في بعض جبال اليمن ينسى نفسه ، ويخيل إليه أنه في بعض المناطق المتوحشة في جبال الألب، وهذا وغيره ولد عندي رغبة عارمة لرؤية هذه الأرض ، وقد رأيتها وقضيت أيامًا في لوزان وفي جنيف وفي بيرن وفي لوسرن» .



الريف اليمني

ذي سفال .. قرية يمنية .. تذكرتها في سويسرا

ولا أدري ما الذي كان يهيجني ، لقد بكيت في جبال سويسرا كأنى لم أبك في حياتي ، لأنهم يشبهون جبالنا وسهولنا ووديانا ، بأراضي سويسرا ، فلماذا لا يكون سكان اليمن هذه مثل سكان سويسرا . . ؟ إن شعب سويسرا في نظر العالم هو أرقى شعوب الأرض قاطبة ؛ فما الذي جعل شعبنا في اليمن أكثر شعوب هذه الأرض تأخراً وتخلفًا وفقراً وجهلاً وشقاءً . . ؟ !



إلهة الخمرة في عهد اليمن الخضراء ..

قال لي أحد الذين رأوا اليمن : إن كل شيء في بلادكم جميل . . الهواء . . الماء . . الجبال . . الوديان . . الحيوانات . . الطيور؛ كل شيء جميل ، إلا اليمنيين.

قال : كنا نرى في سفوح جبالكم وفي روابيكم ووديانكم قطعان الأغنام تسرح وتمرح وتتمتع بهذه الأرض الطيبة ، سمينة ، بادية الحيوية والصحة . . فإذا ظهر الراعي . . بدا هزيلاً ، ممتقع اللون ، غائر العينين ، يحمل تشكيلة من أمراض سوء التغذية ، لكم كنت أتمنى لو كان هذا الراعي نعجة ينطلق مع تلك الأغنام ، وينسى همومه . .

وقاطعته أنا : وإمامه .

ودخلت في لوزان مكتبة أشتري منها كتابين بالفرنسية عن اليمن، فظلت عاملة المكتبة تسألني أين هي هذه اليمن . . ؟ وكيف تحكم . . ؟ هل جمهورية أم ملكية . . ؟ هل بلد متقدم تحضر أم ما يزال بدائيًا . . ؟ وظللت أرد . . وتجمع من في المكتبة يستمعون إلى حديث اليمن . . وقدمت لي كرسيًا وظلت تطلب المزيد . . حدثتهم عن الشرق القريب . . مهد الحضارات ومبعث الديانات . . وذكرت لهم إن بلادي هي موطن بلقيس ملكة سبأ ، التي بهرت سليمان ملك الملوك . . وحدثتهم عن أول رحلة تشهدها الإنسانية على ظهور البعير . . وقلت لهم مفتخراً في بلدي «اخترع » أجدادي الجمل . . سفينة للصحراء ، فقد كان حتى ألف سنة قبل الميلاد حيوانًا متوحشًا ، وكانت مهمة أجدادي عسيرة في تأليفه في ذلك الوقت الموغل في القدم .

وحدثتهم عن سد مأرب وعن الحضارات الرائعة التي تفجرت في بلدي ، وشرحت لهم طبيعته الخصبة الغنية الخلابة ، وقلت لهم : إن اليمن هي تلك الأرض التي تسميها كتبكم العربية السعيدة الخضراء . . وإن كتابكم يشبهون بلادي . . جبالها ووديانها وسهولها وروابيها ببلادكم سويسرا ، فقاطعني أحد الحاضرين وقال . . بل إن الشبه بين اليمن وسويسرا يصل إلى المواقف السياسية . . فسويسرا بلد محايد . . واليمن كذلك لا نسمع لها صوتًا ولا دويًا؛ بل إنها في الحرب الثانية لم تعلنها على ألمانيا ، قالت له : تمامًا .

ولم أقل له إن بلادي ليست محايدة ، ولكنها معزولة ، افترسها الطغاة ، وظلوا ينهشون لحمها ، ويعبثون بها بعيداً عن أعين العالم .

وتذكرت بلادي . . هذه المحايدة . . هذا الجزء من الوطن العربي . . بلادي برجالها وقبائلها . . بخيراتها وثرواتها . . بموقعها . . وإمكانياتها . تذكرتها ماذا قدمت لفلسطين في هذه المحنة العربية الكبيرة . . ؟ ما دورها في هذه المعركة التي تخوضها القومية العربية ضد الاستعمار والمؤامرات . . ؟ أين هي والصهيونية والاستعمار والإمبراطوريات الهرمة المتداعية تهب وتستعد لتحطيم العرب .

سألت نفسي : لماذا . . الأردن . . وسوريا . . ومصر . . لماذا هذه البلاد الباسلة الثائرة . . لماذا عرب هذه البلاد وحدهم يتولون الدفاع عن القومية العربية؟ . .

لماذا هم وحدهم يحاربون من أجل السيادة العربية . . ؟

لماذا هم وحدهم يصمدون أمام الضغط والمؤامرات والدسائس التي يحيكها الصهاينة والاستعماريون للقضاء على القومية العربية؟ . . لماذا هم وحدهم . أين نحن . . أين عرب اليمن ؟ . . إن اليمن محايدة . . ! ! ولكني تذكرت أن بلادي في حاجة إلى أن تتحرر هي أولاً .

بلادي فيها إمام ..

بلادي فيها إمام ، فيها رجعية ، فيها دجل ، فيها سفراء لجهنم ، فيها مبعوثون لعزرائيل ، فيها حفارو قبور .

بلادي هذه يجب أن تحكم صلتها بالأرض ، يجب أن توثق علاقتها مع الدنيا . . الدنيا هذه التي نعيش فيها . . ويعيش فيها معنا ألوف الملايين من البشر . . لن تكون اليمن جزءاً حيّاً يستمد وجوده من الأرض ، الأرض التي نسير عليها ، ويسير معنا فيها ألوف الملايين من البشر ، إلا إذا كان حاكمها لا يضيف إلى اسمه . . الله .



البريد على ظهر البعير ..

ألف وستة وتسعون عامًا ، حكمنا فيها أنصاف آلهة . ألف وستة وتسعون عامًا حكمنا فيه أمراء مؤمنين .

كل أمير مؤمنين يتستر بالله ، ويصبغ أهواءه وأخطاءه بالسماء ، ويتخفى وراء القداسة .

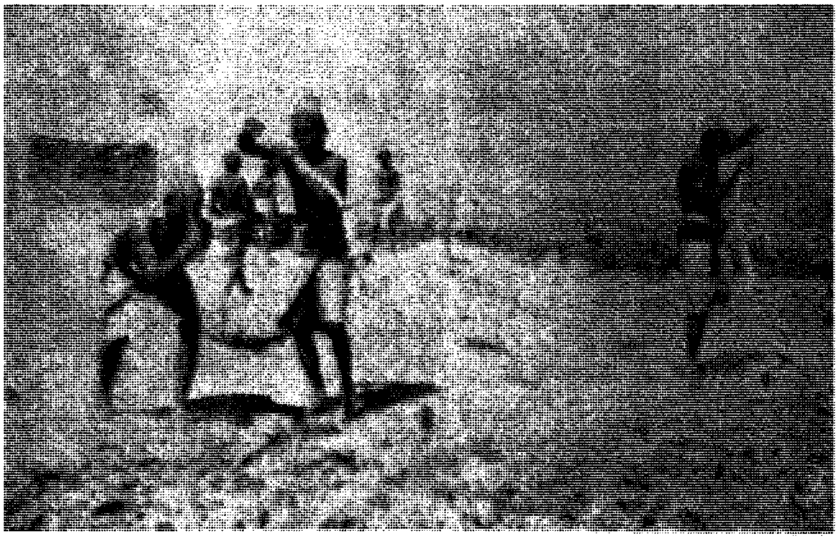
نريد حاكمًا يستمد سلطته منا ، منا نحن القبائل .

نريد حاكمًا يستمد وجوده في الحكم منا نحن سكان هذه الأرض .

نريد حاكمًا عاريًا من القداسة ، والكهنوت لا تشفع له إلا أعماله وخدماته للبلاد .

نريد حاكمًا اسمه مسعد ، صالح ، سعيد ، علي ، محمد . . هكذا مثلي . . ومثلك ومثل سائر الناس .

لا نريد حاكمًا من الآلهة ، ولا من الملائكة ، ولا من الأطهار . . نريد حاكمًا إذا أخطأ قال له الناس أنت أخطأت ، فلا يكونون خارجين ولا كافرين ولا مارقين .



مواطنون في اليمن .. يدوسون القمح في أحد أجران الإمام .. كلهم هكذا !

نريد حاكمًا إذا اختلفنا معه فقد اختلفنا مع إنسان لا مع إله .

وبعد فقد جربنا المتوكل على الله ، والهادي إلى الحق ، والداعي إلى الله ، والناصر لدين الله . . إلخ ، قد جربنا هؤلاء ، ألفًا وستة وتسعين عامًا ، والنتيجة واضحة للعيان .

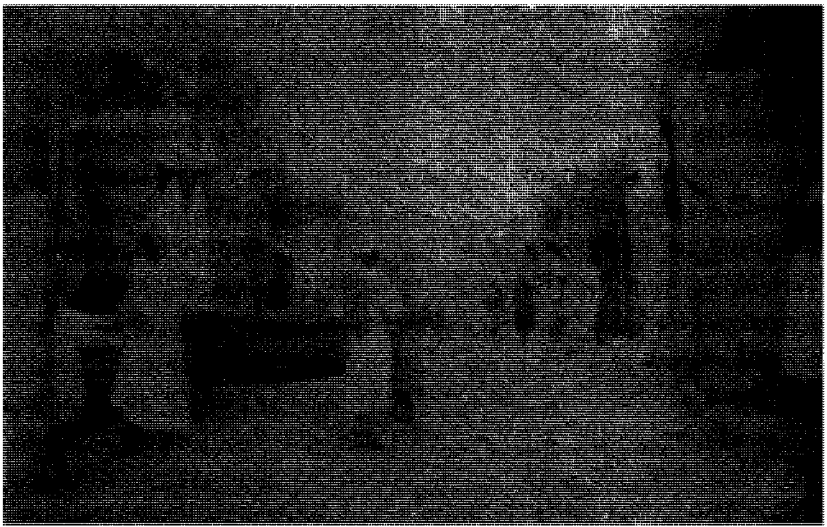
فلماذا لا نجرب حكمًا غيره . . ؟

إنني أوجه هذا السؤال إلى الأحرار ؛ أحرار الفكر ؛ أحرار الرأي ؛ أحرار النزعة والعقيدة .

إنني أوجه هذا السؤال إلى السادة في بلادنا . . أوجهه وأنا على ثقة أن الأحرار منهم لن يجدوا أي غضاضة في الاعتراف بالحق .

إنني لا أؤمن بالمذهبية الرعناء ولا بالتعصب ولا بالتحامل ضد السادة ، ولكني أناقش معهم واقعنا ، وإلى أين نحن سائرون .

إنني أوجه هذا إلى السادة أولاً لأقول لهم لسنا ضد السادة كمجموعة في الشعب ، كلا ، ولكننا نعارض أن يكون الحاكم حاكمًا لأنه سيد ، ولا يمنع أن يحكم اليمن سيد ، ولكن لأنه إنسان ، لأنه كفء ، لأنه واحد من الشعب .



أكبر سوق في مدينة تعز

إنني أختلف مع أولئك الذي لا يرون إثارة مثل هذه الأسئلة . . إن حجتهم أن هذا سيؤدي إلى الفرقة والتعصب وإلى أن يغضب السادة . . ولكني أختلف معهم . . وحجتي أن السادة أنفسهم قد لاقوا الويلات من هذا النظام العفن الذي تخلصت منه شعوب الأرض قاطبة . . نعم إن السادة أنفسهم سيستريحون من هذا النظام الذي كان سببًا للتقاتل بين شخصياتهم الكبيرة . . وسببًا للدس والوقيعة بين العائلات المختلفة منهم .

ثم أنا أعتقد أن سيدًا واحدًا له ذرة من التفكير لا يمكن أن يعتقد أنه أفضل من أخيه اليمني المواطن . ولا أن له حق الوصاية على اليمنيين؛ لا لشيء إلا لأنه ابن فاطمة التي قال أبوها محمد الرسول العربي الحر عليه الصلاة والسلام . . بصوت عال . . « يا فاطمة بنت محمد . . اعملي فإن محمدًا لا يغني عنك من الله شيئًا . . يا عباس عم محمد . . أعمل . . فإن محمدًا لا يغني عنك من الله شيئًا ، يا بني هاشم ، لا يأتني الناس يوم القيامة بأعمالهم ، وتأتوني أنتم بأحسابكم وأنسابكم ، الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، «والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها . . »، هذا أو كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وغيره كثير .

هذا هو محمد رسول العدالة والحرية ، والمساواة ، هذا هو محمد محطم الأصنام ، وعدو التعصب ، هذا هو محمد الذي جعل سلمان الفارسي فردًا في عائلته حين قال : « سلمان منا أهل البيت » .

ثم هذا الحديث الذي جعلوه أساسًا لهذه الإمامة « لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان» هذا الحديث لماذا لا يأخذ به المسلمون في مشرق الأرض ومغربها . . ؟ لماذا لم يثبت إلا عند سادتنا في اليمن ، دون سواهم؟

في العالم اليوم أربعمائة مليون مسلم لا يعبدون إلا الله ، ولا يشركون به شيئًا ، فلماذا نعبد نحن في اليمن أشخاصًا من دون الله؟ . . لماذا هؤلاء المسلمون لا يسلمون قيادتهم لأبناء فاطمة ، لا لشيء إلا لأنهم أبناء فاطمة ؟ . . بل لماذا أبناء فاطمة أنفسهم في جميع أرجاء الدنيا لم يحترفوا الإمامة كما احترفها سادتنا في اليمن؟ . . لماذا انصرف السادة في أنحاء المعمورة إلى العمل ، إلى الهندسة ، والطب والكيمياء ، إلى التجارة والصناعة ، إلى الفن والإنتاج شأنهم شأن المواطنين جميعًا ؟ . . لماذا لم يأخذ كل سيد في العالم مسبحته ويطيل لحيته ، ويكور عمامته ، ويظل عاطلاً يبسمل ويحوقل ويحلم بالإمامة ، بزعامة الأمة . . ؟

في نظر أسيادنا الأئمة ، سكان المعمورة كلهم قد مرقوا وخرجوا من الدين . . ولم يعد في الأرض ملاذًا للعباد وذخرًا للبلاد إلا هم . . هم وحدهم وهم مع ذلك أو لذلك يقولون لليمنيين . . احمدوا الله واشكروه أن ولانا عليكم . . ألم يقل الرسول . . أهل بيتي كسفينة نوح . . من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى .



ميناء الحديدة

سفينتكم يا سادة .. ليس لها ميناء

ترى هل قال هذا رسول الإنسانية الحر محمد بن عبدالله . . ؟

وإذا كان قال هذا ، هل قصد به أن يجعل أبناء فاطمة هؤلاء قياصرة ؟ . . وأن تظل الرقاب ، رقاب المؤمنين الأحرار خاضعة لهم إلى يوم الدين . . ؟

من أين استخرجوا أن يخضع الناس لإمام . . ؟ ثم بفرض أن هذا حديث شريف ، ونحن نستبعد هذا . . ؟ هم شبهوا بالسفينة . . فهل هناك أي شبه بين الإمام وبين السفينة . . ؟

نحن ننازع في قيادة هذه السفينة . . وننكر أن يكون الرسول قد قصد في حديثه أن قائد السفينة أي «الكابتن» هو الإمام . .

بل ولماذا نبعد ، ولو سلمت الدنيا أمرها لإمام لتوقفت السفن العائمة التي تمخر عباب المحيطات في جميع أنحاء العالم . . ولظل المحيط الأطلسي بحر ظلمات . .

ويجدر الإشارة إلى أن السفن لم تعد الوسيلة الوحيدة للمواصلات في هذا

العصر الحديث ، فقد وجدت إلى جانبها السيارات والقطارات والطائرات التي تسير بسرعة الصوت ، ولم تعد السفن ذات قيمة إلا بالنسبة للصيادين الذين وهبهم الله نعمة الصبر .

ترى هل الدنيا كلها غارقة واليمن وحدها هي التي نجت ؟

هل غرق سكان الدنيا ونجى اليمنيون . . ؟

اللهم إن كان أهل سويسرا قد غرقوا فأغرقني معهم . . !

ألا يفضل الإنسان الانتحار أحيانًا . . وأنا سأختار الغرق . . !

اسمع يا شيخ أحمد حسن يا باقوري ، أنت قد غرقت ، وإذا أردت أن تنجو فاجْر ، اجْر بسرعة إلى «المقام الشريف» في تعز أو في صنعاء ، واحمد ربنا أنك لا تزال َحيّاَ وفَي إمكانك أن تعوض ما فات .

أما جمال الدين الأفغاني ، وأما محمد عبده ، وأما رشيد رضا فمساكين . لقد غرقوا أحياء وماتوا وهم غرقى، لأنهم لم يحنوا جباههم لناصر لدين الله ولا لمتوكل على الله .

مهازل . . والله . . مهازل .

لكم تحدثنا في هذه الموضوعات مع زملائنا الطلاب في البعثة ، ومنهم سادة ، فوجدناهم أحرار الفكر والعقيدة والنزعة ، والتقينا بكثير من السادة في صنعاء وفي تعز وفي الحديدة ، فكانوا أحراراً لا يقيمون لهذه الخرافات وزنًا ، بل ونؤكد هذا ، وجدناهم يُرجعون انهيار اليمن وفساد الأوضاع فيها إلى هذه التُرَّهات ، إلى حاكم يتوارى خلف أسماء الله الحسنى بمخازيه وفجوره وجرائمه .

أما ذلك الذي علمنا الحرية ، ذلك الذي تفتحت آذاننا أول ما تفتحت على أنغامه وألحانه ، فقد حدثنا من عرفه في سجنه ، أنه معنا لا يقر هذه الأوضاع ، والأشكال الكهنوتية ، هل تعرفون ؟ . . إنه سيد(1) .

---

(1) الشاعر المناضل المعروف/ أحمد حسين المروني .

إن الأحرار جميعًا ، أحرار النزعة والعقيدة لا ينازعون في حق المواطنين في المساواة والحياة والعدالة .

كلمتان ..

بقيت كلمة نوجهها إلى المواطنين من غير السادة ، نريد أن نقول للقبائل ، والعساكر ، لسكان القرى والمدن، للشاردين والقابعين . . يجب ألا تفهموا من هذا أننا نشجع على التعصب ضد السادة كفريق من الشعب ، كمجموعة من المواطنين ، كلا وألف كلا ، فالسادة ليسوا كلهم مسئولين عن هذه الأوضاع ، ولا عن هذه الامتيازات ، بل إنكم أنتم ، أنتم يا قبائل اليمن ورجاله ، أنتم الذين كنتم تبحثون عن السيد بحثًا ، وتفتشون عنه في كل مكان ، وتضعونه في الصدارة من مجالسكم ، وتحرضونه على البطالة والتعطل ، وتتلمسون عنده البركات، وتغرونه على الدجل والتضليل . .

أنتم يأيها المواطنون ، كنتم تقاتلون في سبيل هذا أو ذاك ، أنتم الذين خلقتم هذا النظام ، وعاملتم السادة كطبقة ممتازة ، لا تعمل ولا تزرع ، فحذار أن تتعصبوا اليوم ضد السادة ، إنهم إخوانكم . فقط ، حرروا ضمائركم، حرروا أنفسكم ، آمنوا بالله ، وبرسالة محمد ، واكفروا بالتضليل والخداع ، ارفعوا رءوسكم ، ولا تقولوا يا سيدي لأحد ، فليس بيننا سادة ، ولا عبيد ، آمنوا بأنكم أحرار يجب أن تعيشوا في وطن حر ،وأنه لا فضل لأحد على أحد ، الخلق كلهم عيال الله ، وأقربهم إليه أنفعهم لعياله .



كفاية برع..!

وكلمة أخرى إلى جماهير السادة في الوطن : إننا نؤمن بكم إخوانًا لنا لا سادة علينا، نؤمن بكم أخوة في الوطن، وعندما نتحدث عن حرية الشعب نؤمن بالحرية لنا جميعًا، وعندما نثور على هذه الأوضاع الفاسدة، نثور من أجل حياة أفضل، ومستقبل أسعد، وغد مشرق باسم لنا جميعًا، ولأطفالنا وأحفادنا من بعدنا. . إننا نريد أن يتخلص الوطن من كل ما يعوق نهضته وتقدمه وسيره مع الإنسانية في ركبها الحر، ركب الحضارة والمدنية والحرية والمساواة.

عندما نهاجم الإمامة، نهاجمها لأنها عقبة في سبيل الحياة، والحياة لنا جميعًا، أنتم ونحن وكل من يسكن الوطن.

لقد رأيتم أنتم بأم أعينكم أن هذه الإمامة قد حكمت بلادنا ألفًا وستة وتسعين عامًا.

وقد رأيتم أنتم أنها قد فشلت، قد فشلت كلون من ألوان الحكم، وكنظام من النظم التي عرفتها البشرية على مر الأزمان، وفي كل أرجاء الدنيا.

تذكروا يا سادة أولئك الشهداء الأحرار الذين أراقوا دماءهم فداء للحرية، الحرية لليمنيين جميعًا.

تذكروا السيد حسين الكبسي.. تذكروا السيد زيد الموشكي، وتذكروا السيد أحمد المطاع.. تذكروهم وتذكروا غيرهم وقد أزهقت أرواحهم على مذابح الحرية لليمن.. تذكروا الذين قضوا السنين منكم في ظلام السجن.. واعلموا أن هؤلاء الأحرار قد أكدوا وحدة الشعب.. وقد جعلوا اليمنيين وحدة لا تنفصم عراها.. وحدة في النضال.. وحدة في الحياة.. وحدة في الوطن.

احذروا يا سادة أن تسمعوا إلى صرخات المسعورين المغفلين.. احذروا أن تستجيبوا إلى المتعصبين المضللين الذين عاشوا حتى اليوم على الفرقة والعصبية والمذهبية. احذروا أن تستجيبوا لهم لأنهم أعداء الحياة.. وأنتم تريدون الحياة.. أعداء القرن العشرين وأطفال اليمنيين وأحفادهم جميعًا يجب أن يروا بنور القرن العشرين.



محمد بن عبدالقادر

سيد.. قتلته الإمامة.. وهدمت قصوره وقضت على أسرته.. يا سادة..!

نحن يا سادة ضد الامتيازات . . ضد التمييز أيّا كان سببه . . نحن ضد كل شيء يجعل اليمنيين شيعًا وأحزابًا وطوائف .

نحن مع الحرية . . مع المساواة . . مع العدالة . . وأهداف اليمنيين جميعًا يجب أن تكون هذه .

يجب أن تكون الحرية والمساواة والعدالة هي وحدها التي تعيش في وطننا . . إننا ضد المذهبية الرعناء .

ضد كل شيء يفرق بين أبناء الوطن الواحد . . نريد أن ينصهر الشعب كله في بوتقة واحدة .

نريد ألا تكون هناك زيدية ولا شافعية ولا هاشمية ولا قحطانية ، لا قبائل ولا مدنيين ، لا عمائم ولا مقبعين ، لا تهاميين ، ولا جبليين ، لا عساكر ولا رعايا .

نريد أن نكون يمنيين ، نريد أن نكون عربًا ، نريد أن نكون بشرًا ، نحترم إنسانية كل واحد فينا .

* * *

يا مواطنون . . هل تذكرون أن يمنكم يحتل الاستعمار أجزاءً كبيرة منها . . ؟

هل تعرفون أن لكم إخوانًا في عدن، في لحج، في الضالع، وفي العوالق، في يافع وفي العواذل وفي الحواشب وفي حضرموت.

هل تعرفون أن هذا الجنوب الكبير أنتم منه وهو منكم . . ؟

كلا . . لقد شغلكم الأئمة بأنفسهم فنسيتم كل شيء.

اسمعوا . . هذا الجزء الأبي من بلادكم لن تلتقوا به ما دام في بلادكم إمام . .

* * *

قال لي من أعتز بوطنيته وعروبته :

كيف تريدوننا أن نتوحد ؟ . . ووزيركم في القاهرة سيد، وفي إيطاليا سيد، وفي أمريكا سيد، وبحثتم للحبشة عن سيد من حضرموت، والمناصب كلها في أيدي السادة.

وقاطعته أنا : والزيود . .

فقال : الزيود مساكين، عساكر، يستخدمهم السادة للتنافيذ، ويجوعونهم حتى يكونوا خاضعين لهم.

قلت له : هل تقصد أن السادة عقبة في سبيل الوحدة . . ؟

قال : ليسوا كلهم . . منهم أحرار ومنهم معتقلون، ومنهم من ماتوا من أجل حرية الجميع . . ومنهم مضطهدون معذبون . . ومنهم من أفقر طبقات الشعب، ولكني أقصد النظام.

قلت له : ادخلوا معنا يا أخي . . !

قال : أين ؟ . . السفينة ؟ . . إننا نفضل أن نظل في البر.

* * *

فإلى هذا الصديق . . وإلى الأخوة الأحبة في عدن وفي لحج وفي حضرموت، وفي كل بقعة من يمننا الكبير نقول : إننا لا ندعوكم إلى السفينة، فقد تعبنا نحن

فيها، وقد طالت بنا الرحلة. وقد آن لنا أن نحط أقدامنا في الأرض، الأرض الصلبة.. المتماسكة.. ونحن نمد أيدينا إليكم لنسير معًا أخوة أحرارًا، ندك أوكار الرجعية، ونقوض معالم الاستعباد والاستعمار، ونمحو هذه الأشكال المتداعية التي تقف عقبة في سبيل الوحدة والحرية والاستقلال والتقدم. وما الإمام إلا سلطان كبير.

هيا بنا يا رجال، نوحد النضال في سبيل جمهورية شعبية يتساوى في ظلها المواطنون، فلا تابع ولا متبوع، ولا سيد ولا مسود.

هيا بنا نؤسس الجمهورية، جمهورية اليمن، لتحقق مع جمهورية مصر، وجمهورية سوريا، الوحدة العربية المنشودة، ولتقضي معهما على كل أثر للعبودية والاستعمار والإقطاع والتجزئة في أرض العرب، هيا بنا فمن بقاعنا خرجت جيوش العرب الظافرة التي فتحت الأندلس، وجعلت من جبال فرنسا ميادين لمعاركها الباسلة، هيا بنا يا رجال فلا تزال أمامنا معارك في أرضنا الواسعة من المحيط الأطلسي حتى الخليج العربي.. معارك ضد الاستعمار.. ضد الملوك.. من أجل البترول.. من أجل المجد والعزة والسؤدد.. هيا بنا فأمامنا معارك ومعارك.. لن يكسبها العرب إلا مجتمعين.. فلا تتخلفوا.

قصة البعثة اليمنية

وبعد.. فقد قالوا إن تمرد الشبان اليمنيين عن المهازل الشريفة واستخفافهم بالأسياد.. وحقدهم على الجزارين الذين ذبحوا شعبهم وسفكوا دماء إخوانهم. قالوا إن هذا هو ما منع الإمام أحمد من التوسع في التعليم، وإرسال البعثات.. بل وبدءوا في الآونة الأخيرة يذيعون أنباء مشروعات وهمية لإرسال طلاب إلى هذا البلد أو ذاك.. ثم يعلنون أن الإمام قد عدل عن هذا وأن الأسباب هي هذا النشاط الذي يقوم به الطلاب في الخارج، ويرددون هنا وهناك أن طلبة البعثة قد حرموا زملاءهم باليمن الخروج، وقد ثبطوا عزيمة الإمام في الاتجاه إلى التعليم.

وتعلو الصيحات ضد البعثة وضد الشباب بحجة إرضاء الإمام، وعدم إزعاجه، وتخويفه من التعليم، وكثيرون هم الذين يصدقون هذا..

ولكننا نعرف زيف هذا القول، وأنه إدعاء باطل وتبرير خبيث لحرمان الشعب من التعليم.. إذ ما الذي منع الإمام يحيى من إنشاء المدارس واستقدام المدرسين.. وإرسال البعوث إلى المدارس والجامعات في دول العالم الكبرى.. وقد ظل اليمنيون تحت حكمه ثلاثين عامًا هادئين هدوء الأموات، لا ينبسون ببنت شفة؟ لماذا حرم أبناء اليمن طيلة حكمه الرهيب من التعليم.. ؟ ما الذي كان يثبطه ؟

وهؤلاء الأربعون طالبًا الذين طبلت الحكومة المتوكلية وزمرت لخروجهم، والتي يردد الأمراء اليمنيون أن خروجها كان غلطة فاحشة.. من الذي أخرجها.. ؟

وكيف خرجت.. ؟ هل خرجت لأن الجو كان هادئًا.. لأن الإمام كان شجاعًا لا يخاف العلم.. ؟

كل من يعرف شيئًا بسيطًا عن اليمن، يعلم أنها خرجت لأن اليمنيين الأحرار في عدن كانوا قد وجدوا، وكانوا قد أعلنوا أن للبلاد قضية، وأن للشعب حقوقًا ينتهكها الحكام.. خرجت بعد صدور صحيفة صوت اليمن، ومناشدتها للعالم العربي أن يتدخل لدى أسياد اليمن.. خرجت لأن الإمام يحيى كان يريد أن يذر الرماد في عيون الناس.. فذر الرماد في عينيه هو.. خرجت نتيجة مهاجمة الحكام.. وفضح حقائقهم، وكشف أسرارهم.

وبعد هذا استولى على الحكم الإمام أحمد، وكان أول أمر يبصمه هو إعادة الطلاب اليمنيين الذي كانوا قد وصلوا عدن في طريقهم إلى العراق للدراسة، نعم كان أول أمر في عهد هذا الرجل العجيب.

وحكم الإمام أحمد.. العام الأول.. الثاني.. الثالث والرابع والخامس من عام 1948م إلى عام 1952م، ولم يخرج طالبًا يمنيًا واحدًا، ولم يؤسس مدرسة، وخلال هذه الفترة كان اليمنيون قابعين في بيوتهم هادئين يتلمسون بركة هذا الإمام وينشدون رضاه ويتقون سخطه وغضبه، ولا يفاتحونه في أمر التعليم حتى لا يعكروا مزاجه «الشريف».

هذا الإمام ما الذي ثبط من عزمه خلال هذه الفترة..؟ من الذي منعه من نشر التعليم..؟ لماذا لم يفتح مدرسة واحدة في بلادنا..؟ لماذا لم يبعث طلابًا ولم يستقدم مدرسين..؟ قالوا إنه شجاع، ثم يعودون يقولون إنه يخاف التعليم، ما هذا التناقض..؟

وظل الطلاب طوال هذه المدة، هم هم الذي غلطوا مرة وأرسلوهم ليبدءوا من السنة الثانية الابتدائية.. بمدارس لبنان.. أربعين طالبًا لا يزيدون.

وكان هؤلاء الطلاب هادئين، وديعين، يعملون الممكن وغير الممكن لترويض الإمام، وعدم تخويفه من الشباب المتعلم.

وبعد سنة 1952م كبر هؤلاء الشباب والتحقت المجموعة الأولى منهم بجامعات مصر.. وتكونت جمعية الاتحاد اليمني.. وبدأ الشباب نشاطهم وأرسلوا النداء تلوا النداء إلى الإمام أحمد وإخوانه وشركاه، ولكن دون جدوى.. ووجهت نداءات إلى رجال الثورة في مصر.. وإلى اليمنيين في كل مهجر.

وتوافد الشباب اليمني على مصر جماعات جماعات وفتح لهم زملاؤهم أعضاء البعثة بيتهم وقاسموهم معيشتهم، وعلموهم وأعدوهم للمدارس.

ولمست مصر الحنون هذه الحالة القاسية التي يعانيها أبناء اليمن، واقتنعت بأنها ينبغي أن تقدم شيئًا لليمن المتخلفة، خاصة في مضمار التعليم ففتحت مدارسها وقدمت كل تسهيل ممكن، وأرسل الاتحاد اليمني بعدن مجموعة من الطلاب.. ولم يعد في الإمكان تدبير معيشتهم فلجأ الاتحاد اليمني إلى رجال مصر، وطلب منهم العون.



هربوا كلهم من اليمن.. وبمعجزات وصلوا مصر.. وضمتهم مدارسها الرحبة.. الإمام ووزير الخارجية اليمنية.. ومفوضيته بالقاهرة.. يطاردونهم ويحاربونهم.. ويتهمون هؤلاء الأطفال.. بالتدخل فيما لا يعنيهم..!

ورأى هؤلاء الرجال أن يعرضوا مساعدتهم على الإمام أحمد، وتحت الأنوار الساطعة لم يجد الإمام ركنًا يختفي فيه.. لا يوجد سبب يتذرع به.. وفوض أمره إلى الله، وأرسل لمصر طلابًا.. خرج رجال وزارة المعارف لاستقبالهم في المطار، وكان ذلك في ساعة متأخرة من الليل، وتوقفت أجنحة الطائرة، وصعد رجال الوزارة ليجدوا الأطفال الصغار الذين بعثهم الإمام أحمد يغطون في نوم عميق،

فحملوهم في أحضانهم وابتسموا، وقالوا سنربيهم . . سنعلمهم، وكأني بالإمام أحمد يقول لهم : خذوهم، علموهم، وأنفقوا عليهم خمسة عشر عامًا .

وبعد هذا كان المؤمل أن يخجل الرجل ويسارع هو بتعليم أبناء الشعب، ومن أموال الشعب .

وتزايد العدد في القاهرة حتى لم تعد تحتمله دار البعثة، ولم يعد في إمكان زملائهم أن يقاسموهم الخبز، ولجئوا إلى الإمام . . وجاء ابنه إلى مصر، وأصدر أوامره بإلحاقهم بالبعثة، مزقها الإمام، وجاء السيف عبدالله فقال : إنهم أبناء غير شرعيين لليمن، لأنهم خرجوا دون أمر الإمام . . وجاء الحسن فرفض مجرد الكلام معهم، وقال : نحن غير مسئولين عنكم . . اعملوا ما شئتم .

وكانت وقاحة من الجميع . .

وأصدر الرئيس جمال عبد الناصر أمرًا كريمًا بتسهيل دراسة الطلاب اليمنيين بالمعاهد المصرية، ومنح أكثر من سبعين طالبًا منهم إعانة شهرية للمعيشة .

وجاء العمري ذات يوم إلى القاهرة وقال للطلاب : لقد كان جلالة الإمام على وشك التوقيع على الأمر بإلحاقكم بالبعثة، وصرف مرتباتكم، ولكننا فوجئنا بالقاضي محمد محمود الزبيري يعلن في راديو صوت العرب أن مصر قد تولت الإنفاق عليكم . . وقد قال الإمام، كثر خيرهم . . !!

ولم يقف الأمر عند هذا ولن يقف، وظل الطلاب يتوافدون من كل مكان ويصلون إلى القاهرة، ولا مورد لهم، ولكنهم يريدون أن يتعلموا، وألحقت مصر مجموعة أخرى منهم، ولكن إلى متى ؟ . . وكم ستلحق مصر ؟

وزاد الطلاب وتكاثروا والحكومة اليمنية لا تعمل شيئًا من أجلهم سوى مغالطات وألاعيب وأخذ المسئولون اليمنيون يعالجون الأمر بطريقتهم المستهترة العابثة المرتجلة فقرروا لمجموعة من الطلاب جنيهين ونصف للواحد، ولمجموعة أخرى خمسة جنيهات، وثالثة ستة جنيهات ونصف، ورابعة عشرة جنيهات ونصف . . وهكذا، والغالبية العظمي من الطلبة اليمنيين لا شيء إطلاقًا .

واشتكى الطلاب وراجعوا وتظلموا واحتجوا، ولكن دون جدوى، واعتصموا بالمفوضية اليمنية بالقاهرة، وقالوا : لن نخرج من هنا حتى تحل مشاكلنا وتجاب مطالبنا العادلة.

وحضر إلى المفوضية كثير من رجال الأمن في مصر ورجال التعليم، والتقوا بالطلبة وسمعوا شكواهم، وكان البدر في مصر.. ووصل المسئولون اليمنيون فجأة إلى المفوضية وفي جيوبهم أوامر من البدر بإجابة بعض مطالب البعثة، وقال المسئولون اليمنيون : لماذا الاعتصام ؟.. هذه أوامر الأمير بحل مشاكلكم كلها، أصدرها أمس الليل ولم يكن يعلم أنكم معتصمون، فلماذا هذا التمرد ؟.. يجب أن تخرجوا من المفوضية وأن تهدءوا حتى لا يسحب الأمير أوامره، وحتى لا تثبطوا عزيمة الإمام ورغبته في التعليم، اهدءوا فالهدوء هو الوسيلة الوحيدة. واستغرب الطلبة وظنوا فعلاً أن النية صادقة وأن ما عليهم إلا أن ينصرفوا لدراستهم، وخرجوا من المفوضية.

ومرت فترة هدءوا فيها وسكتوا وانصرفوا إلى دراستهم، وفجأة وصلهم أحد خدام الإمام أحمد، نفذه الإمام وفوضه في كل شيء.

وصل فاستلم مفاتيح المفوضية وأوراقها وختومها ومكاتبها وكراسيها، وصحونها وملاعقها وكل شيء فيها، واستلم المفوضية بيده، وألغى اختصاص كل موظفيها حتى الوزير المفوض نفسه. وأعلن هذا العسكري أن جميع الأوامر التي أصدرها البدر ملغاة ولا قيمة لها، ولن ينفذ منها حرفًا، وإن المفوضية لن تقدم لأي شاب يمني جوازًا ولا شهادة ميلاد ولا أي ورقة، وذهب إلى المستشفى فأخرج المرضى منه، وقال لن نعالج أحداً، وأمر بنقل الطلاب إلى طنطا.

وجاء أول الشهر فلم يصرف مرتبات الطلبة، وزاد فذهب إلى دار البعثة وقطع عنهم التيار الكهربائي، وألغى إيجار منزلهم واتصل بالمحلات التجارية التي كانت تقدم لهم المواد الغذائية دينًا وحذرها ومنعها.

ومر عشرون يومًا والطلاب لم يستلموا مليمًا واحداً والنور مقطوع عنهم، ولا طعام ولا مصروفات، وظلوا يتصلون بالصحافة والهيئات والشخصيات، وأخيراً اعتصموا بالمفوضية، وظلوا بها عشرين ساعة محرومين من الطعام حتى جاءهم

مندوب من المؤتمر الإسلامي، وممثلون للطلاب العرب بالقاهرة، وقدم لهم الطلاب العرب مائة جنيه، ومندوب المؤتمر الإسلامي مائتي جنيه يأكلون منها ويصرفون، ووعدهم بإعادة النور إلى منزلهم، وقال لهم انهوا الاعتصام الآن، وسنناقش مشاكلكم، ونعمل جميعًا على حلها وتحقيق مطالبكم.

وخرج الطلبة من المفوضية اليمنية.

والتقوا بالجبلي التاجر في اليوم التالي، ومعهم بعض الطلاب العرب فقال الجبلي: أنا أتحداكم أن تكون لكم مشكلة واحدة.. ما هي مشاكلكم؟.. أنتم متمردون..!

ولما عرضوا مشاكلهم، قال لهم: هذه كلها قد حللناها، أنتم ستنتقلون إلى طنطا جميعًا ولن يبقى منكم أحد، وسنساويكم جميعًا في المصروفات، وسنلحق الطلاب الذين لم يلتحقوا بعد، فقولوا لي أمام الطلبة العرب ما هي مشاكلكم؟.. ولماذا لا تخرجون إلى طنطا؟

ولابد أن نذكر أنه كان من أهم الأسباب التي أدت إلى رفض الطلبة الذهاب إلى طنطا هو وجود عدد كبير من زملائهم دون مصروف، وقد كان هؤلاء الزملاء يشاركونهم البيت والطعام.. فإذا خرج الطلبة الذين لهم مصروفات إلى طنطا وحدهم حسب الخطة التي كانت موضوعة، فإن زملاءهم لن يجدوا أين يسكنون ولا مع من يأكلون.

بقيت كلمة: لماذا فكرت الحكومة المتوكلية في نقلهم إلى طنطا؟.. هل حرصًا على دراستهم؟.. كلا، فالحرص على دراستهم كان يقضي بقاءهم في مدارسهم التي هم مسجلون بها ولا سيما والعام الدراسي يشرف على الانتهاء، والانتقال يتسبب في ضياع كثير من الوقت.

وهذه مشكلة مفتعلة وتضييع للوقت.. و إن كان بعض رجال التعليم الذين لا يعرفون حكامنًا تمامًا قد بدت الفكرة عندهم لا غبار عليها.

مساكين.. أسيادنا.. هم مرتبكون.. يستحقون الرثاء والشفقة.. لم يعد زمام أنفسهم بأيديهم.

البعثة هذه خرجت أول ما خرجت من اليمن . . إلى لبنان . . قضت مدة، جزءاً منها في صيدا، والآخر في طرابلس . . ثم ادعى بعض المسئولين أن كلية المقاصد الإسلامية في صيدا ستعلم الطلبة الشيوعية ولا بد من نقلهم إلى كلية التربية والتعليم بطرابلس وقد كان .

ومرت شهور وإذا بالأسياد يأمرون بانتقال البعثة إلى المدارس المصرية، ويقال إن السبب هو نزول السيد الفضيل الورتلاني في الأراضي اللبنانية .

وعادت الحكومة اليمنية وقالت : بل يسافر نصفهم إلى مصر ويبقى النصف الآخر في لبنان . . أحسن عيب . . ووصل النصف إلى مصر، وقالوا : بني سويف أحسن مكان . ومر عام . . وإذا بالمجانين في تعز يأمرون بجمع الطلبة كلهم، الموجودين في طرابلس بلبنان والموجودين في بني سويف في مكان واحد . . واختاروا حلوان، وقالوا فيها مياه معدنية وهواء صحي جميل . . !

ومر وقت قالوا بعده . . لماذا يبقى الطلاب في حلوان . . القاهرة أفضل لهم . . حتى يتمدنوا، ونقلوهم إلى القاهرة .

والآن يستبسل المسئولون في سبيل إخراجهم من القاهرة إلى طنطا .

يا شباب . . إلى أين أنتم راحلون بعد طنطا . . ؟

هذه هي تحركات الطلاب في مجموعهم، وبجانب هذه الدورة " المتوكلية " لكل طالب فيهم قصة .

فمثلاً : الزميل محمد خشافة، بعد هذه الدورة التي دارها مع زملائه أرسلوه إلى بريطانيا، وأدخلوه مدرسة بعيدة عن لندن طبعًا، ولم تمر شهور حتى أعادوه إلى مصر لأنه لا يصلح لإنجلترا ولأن إنجلترا لا تصلح له، لا أدري . وفي القاهرة قضى بضعة شهور، وعادوا ثانية وأرسلوه إلى إنجلترا، هذه المرة لا إلى بريطانيا . أقام مدة وإذا به يتلقى أمر آخر بأنهم يستحسنون له القاهرة للدراسة . . ووصل القاهرة . . فقطعوا مصروفه، وسألوه : هل أنت طالب ؟ . . في أي كلية أنت مسجل ؟ . . أنت تلعب ؟ . . لا مرتب لك . . !

وبعد هذا بكل وقاحة وصفاقة يقول مندوب الإمام للطلبة : أنتم فاشلون . . ! .

يا ناس . . ألغوا عقولكم . . صدقوهم . . !

* * *

والزميل الملازم محمد قائد سيف ، تخرج من الكلية الحربية المصرية ، ووصل إلى صنعاء ليضع نفسه تحت تصرف الأسياد للعمل في الجيش . . مرت شهور عديدة وهو يقيم في دار الضيافة بدون مرتب ، وطبعًا بدون عمل . . أبرق للإمام . . توسل إلى الأمراء وأخيرًا اختار له الحسن عددًا من الرجال . . وقال له : دربهم حتى يكونوا بوليسًا ممتازًا . . !

فقال محمد قائد : يا سمو الأمير . . أنا ضابط جيش ولست ضابط بوليس . قال الحسن : وما هو الفرق بين الاثنين ، كله واحد ، خذ دربهم وأحسن تدريبهم .

وظل الملازم يجهد نفسه في تدريب هؤلاء الرجال ، وكون منهم فرقة طيبة وذات يوم جاء سيف الإسلام الحسن ووزع هؤلاء الرجال مع القوافل الخارجة من صنعاء للحراسة ، وتفرقوا وراء الجمال . . شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالاً .

ووجد الملازم محمد قائد نفسه من جديد عاطلاً ، فتوجه إلى السيف الحسن يرجوه أن يمكنه من العمل .

قال الحسن : لماذا لا تذهب إلى باريس ؟

فأجاب الملازم الحر : لماذا . . ؟

قال الحسن : للدراسة . . !

قال الملازم : وماذا أدرس ؟ . . وقد تخرجت من الكلية الحربية المصرية ، وأنهيت دراستي . . ؟

قال الحسن : الطيران . . !

* * *

والزميل الملازم محمد وجيه الجنيد ، تخرج أيضًا من الكلية الحربية المصرية ،

ووصل إلى اليمن فأوفده المسئولون الناجحون إلى ألمانيا للتدريب على إصلاح وأعمال التليفونات، ووصل هو وزملاؤه إلى ألمانيا، وظلوا يعملون في برادة الحديد..!

* * *

أما الزميل الأستاذ حسين علي عبدالله الحبشي فقد تخرج من كلية الحقوق بجامعة القاهرة، وقد أرسله الأسياد إلى لندن للدراسات العليا والتحضير للدكتوراه..! وفي هذه.. توقفوا..!

يا ناس.. يا عالم.. هل هؤلاء الحكام جادون..؟

أنتم فاشلون

بقيت كلمة صغيرة، ليس في اليمن مكتب لإدارة شئون المعارف، ولا إدارة للبعثات، ولا موظف واحد مختص فعلاً في شئون الطلاب.



أطفال اليمنيين.. كلهم هكذا !

وليس هناك ميزانية للمعارف ولا للبعثات وقد قالت الدكتورة « كلودي فاين » في كتابها « طبيبة فرنسية في اليمن» إن أحد مرافقي الإمام قال لها : « إن مدرسًا في أحد كتاتيب القرى الصغيرة النائية طلب من الإمام أن يحول له قليلاً من الطباشير، والطباشير في اليمن هو حجر أبيض طبيعي من الجبل. . !» .

يا ناس. . من هم الذين فشلوا، الطلاب أم الأسياد. . ؟

يا أسياد.. لقد فشلتم..! أنتم عاجزون عن إدارة شئون البلاد..! أنتم لا تفهمون شيئًا..! أنتم لا تصلحون لشيء..! استقيلوا..! اتركوا البلاد..! وسترون.. وسنرسلكم تتعلمون، وقد تنجحون في دراستكم.. جربوا..!

هذا إذا أحسنا الظن وافترضناكم جهلاء لا تصلحون لشيء.. إذ في هذه الحال لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، أما إذا صممتم على أنكم محيطون بكل شيء علمًا فالأمر يختلف ويكون التفسير الوحيد لأعمالكم هذه وسوء تصرفكم هو سوء النية، وأنكم تنفذون سياسة مرسومة هي تعذيب اليمنيين، والقضاء عليهم كشعب حر، وإبادتهم وتحويل يمنهم الخضراء العربية السعيدة إلى أطلال لا يسكنها معكم إلا البوم الناعق.

بعثة العراق

على فكرة، يجب أن نكون منصفين فنذكر أن الإمام يحيى أيضًا قد أرسل بعثة إلى العراق قبل الحرب الثانية، ووصلوا بغداد ومعهم ورقة مكتوب في أعلاها «صدر إليكم الأولاد المذكورون لتعليمهم وقرايتهم».

وظل الشبان اليمنيون المساكين يبحثون عمن يفهم لهم هذا الأمر «الشريف» وينفذه دون جدوى، وساءت حالهم، فلا ملابس معهم ولا نقود ولا وكالة لحكومتهم، ويظهر أن اليمن لم يكن لها اتصال لاسلكي مع أحد، وقد تفضل أهل الخير بإنزال أعضاء بعثة الإمام يحيى المتوكل على الله في غرف الأوقاف بالمساجد، وظل رئيسهم الشهيد محيي الدين العنسي رحمة الله عليه، يستدين من هذا وذاك حتى فهمت حكومة العراق أن «صدر إليكم» يعني أرسلنا إليكم يا حكومة العراق.. «الأولاد المذكورون».. يعني هؤلاء الشبان أعضاء البعثة «لتعليمهم وقرايتهم» يعني من فضلكم أدخلوهم مدارسكم وأجروا لهم المصروفات والنفقات الضرورية.

وهذه البعثة كانت عاملاً هامًا من عوامل الوعي والوثبة في اليمن، وقد ظهر من أعضائها أبطال كبار استشهد منهم الأبطال محيي الدين العنسي، وأحمد حسين

الحورش، والعقيد أحمد يحيى الثلايا، وقضى آخرون مدداً مختلفة في السجون.

الفتاة.. أين هي..؟

وبعد؛ ففي هذه الأحداث الرهيبة التي مرت بها بلادنا، وفي هذا الصراع الجبار بين الرجعية وقوى الانطلاق والتحرر، لم تأت إشارة واحدة إلى المرأة اليمنية، لم تأت إشارة واحدة إلى نصف الشعب، لقد تحدثنا عن الشباب، ومشاكل الشباب، فمتى نتحدث عن المرأة وحقوق المرأة، إنها أمي وأمك، وأختي وأختك، وزوجتي وزوجتك. . بنتي وبنتك . . ولن يتقدم شعب نصفه محكوم عليه بالإعدام .

إن المرأة اليمنية جديرة بالاهتمام، وعلى قوى التقدم والنهضة في اليمن ألا تتجاهل هذه الحقائق .

وإني لأسال . . لماذا لا تسير الحركة النسائية في اليمن مع حركة الرجل منذ الآن . . ؟

لماذا لا يبدأ بتعليم الفتاة اليمنية حتى تسير جنباً إلى جنب مع أختها العربية . . ؟



يمنيات يرقبن العيد.. من بعيد لبعيد..!

ونكتفي هنا بهذه اللمحة على أن نعود إلى هذا الموضوع في بحث خاص نفرده لحفيدات بلقيس وبنات أروى بنت أحمد. . بحث نخصصه للفتاة اليمنية قريبًا.

رسالة من دمشق

وصلتني رسالة من الزميل يحيى حمود جغمان من دمشق. . وقد لمست الهوة العميقة، والفرق الشاسع بين واقع شعبنا في اليمن، ومدى ما يمكن أن يفهمه الناس عن هذا الواقع. . وأجد من المناسب أن أشرك القارئ معي في فقرات من هذه الرسالة:

«إنني أصارحك يا أخي، أنني أصاب بألم شديد عندما أجد كل من أتحدث إليهم عن اليمن. . والأوضاع في اليمن، يقيسون المشكلة بمقياس ظروفهم

وأوضاعهم، ويعتبرون أن في اليمن «حكومة فاسدة» . . ! كلهم بلا استثناء . . وعندما أثور محتجًا بأن هذا الفهم لا ينصف قضية اليمن، وأن ليس هناك في اليمن « حكومة » بل عصابة . . تعذب، وتشرد، وتقتل، وتهدم، وتحرق، وتنشر في الأرض الخراب والدمار والويل . . عندما أفعل ذلك، ينقسمون حيال حديثي إلى فئتين . . مغرض وطيب . . أما المغرض فإنه يفهم حقيقة ما في اليمن، ولكن مصلحته تدعوه إلى أن يناصر هذه «الحقيقة » التي يعلمها، ويناصب الحق . . أما الطيب فإنه قد يفهم أنني متجن ومبالغ . . ومن بين هؤلاء الطيبين « الرقيب» . . فإنه رغم أفكاره المتحررة، وروحه العربية الثائرة، يأبى أن يسمى السيطرة على اليمن . . سيطرة عصابة . . ويأبى إلا أن يعامل هذه العصابة كحكومة، وقد شطب لذلك مقالاً كنت قد دفعت به إلى الصحافة أشرح فيه بصراحة واختصار وصدق حقيقة وطبيعة ما في اليمن، وقال «الرقيب » : إننا نعترف بالوضع الراهن في اليمن، وبحكومة اليمن، فلو سمحنا بمقالك هذا، لكان معناه، أننا نسحب اعترافنا «بحكومة اليمن » . . وهذا غير مناسب ولا سيما في الوضع الراهن » .

وقد أرسل إليّ المقال . . وأنا أضعه أمام القارئ بنصه .

العصابة التي تحكم اليمن

عرف التاريخ عصابات من اللصوص المجرمين، وسفاكي الدماء، تجتمع تحت زعامة أحد أفرادها، يكون أعتى الباقين إجرامًا، وأوفرهم سهمًا في الذبح والتقتيل . . تضرب هذه العصابة في الأرض، فتنشر الخراب والدمار والحرق والتقتيل، تثير في البلاد الآمنة الرعب، وتزرع الذل والخوف في قلوب الصغار والكبار .

وقد تستولي هذه العصابة على مقاطعة من المقاطعات، أو مدينة من المدن فتخضعها لسلطانها، وتحكمها بشرعتها، وينتشر أفرادها في أنحائها كالألغام يدمرون، وكالوحوش الضواري يوسعون السكان الآمنين المسالمين ضربًا وفتكًا، وانتهاكًا للحرمات وشربًا للعرق والدموع والدماء، وانتزاعًا للأموال والأرواح .

عرف التاريخ عصابات كهذه، ولكنها اضمحلت وانقرضت بانقراض عصور

الظلام والاستعباد، ولأن شمس الحضارة تطهر المجتمع الإنساني من أمثال هذه الجراثيم الفتاكة، تمامًا كما يتطهر الماء من الميكروبات العالقة به إذا ما أغلي على النار.

بيد أن التاريخ لم يذكر أن واحدة من العصابات استطاعت أن تسيطر على شعب بأسره يعد بالملايين، فتخضعه لشرعة البارود والنار والخناجر الغادرة، وتكفنه بظلها الإجرامي، ونفوذها المظلم أكثر من نصف قرن من الزمان، وتتحكم في كل ما يحتويه هذا البلد من أموال وأرواح.

والعالم لا يعرف أنه لا تزال عصابة كهذه تعيش في النصف الأخير من القرن العشرين، وتبسط نفوذها على بقعة منه تسمى اليمن، ويعد ساكنوه خمسة ملايين نفس بشرية من العرب، وتنفذ فيهم شريعة السوط والسيف والنار.

وقد لا يوافقني المغرضون على هذا الرأي، فأقول لهم آمنوا أو لا تؤمنوا فلن تغيروا من الحقيقة شيئًا، وقد يظنني بعض الطيبين أنني أتحامل وأتجنى على ما يدعى «الحكومة المتوكلية الناصرية». . فأقول لهم تعالوا معي لنتدارس الحقائق. . نتعرف على ما هو واقع، تعالوا ولنقارن طبيعة ونظم تلك العصابات الإجرامية المنقرضة بطبيعة ونظم وأعمال العصابة المعاصرة التي تسمى نفسها «الحكومة المتوكلية» لنرى أحكومة أم عصابة تلك التي تسيطر على اليمن.

تتألف العصابة عادة من أفراد ليس لهم من صفات الإنسان إلا المظهر فقط، وفيما عدا ذلك فهم لا يمتون إلى الإنسانية بسبب؛ نفوس شريرة، وعقول لا تفكر إلا في الإجرام، وعيون لا ترتاح إلا لمرأى الخراب والحريق والجثث والدماء، وآذان لا يطربها سوى الأنين والبكاء، وقلوب قاسية فظة كأنها قدت من الحجارة، بل قل إن لهم أجسامًا لا قلوب لها. . ! وبطبيعة تكوينهم هذا، فإنه لا يستطيع أن يتزعمهم، أو يسيطر عليهم إلا أعتاهم قوة، وأفظعهم بطشًا، وأقساهم قلبًا، فيسيرون وراءه، خاضعين لأوامره. . والويل لمن يفكر في عدم طاعته.

وقد يوجد بين أفراد العصابة من يحمل نفسًا طماحة طماعة تحدثه ألا فرق بينه وبين الزعيم، بل قد يكون له من المزايا والصفات ما يجعله يفوق الزعيم، فلماذا لا

يأخذ مكانه ؟ ولماذا لا يقود العصابة؟ . . فإذا ما برزت فكرة (هذا الطموح) إلى الوجود . . تكون معركة ؛ ويل فيها للمهزوم . . فإما أن يفوز فيكون هو الفتوة والبطل الذي ليس له منازع ، وإما أن يقهر في مبارزة حمراء ، فيمزق جسده خنجر مسموم ، أو ينهش جثته الرصاص ، ويتركه رفاقه بالأمس حيث سقط ، نهبًا لوحوش الفلاة . . هذه هي طبيعة العصابة ولائحتها الداخلية . . فما هو النظام الذي تحكم به الآخرين ، وما هي الأعمال التي تقوم بها ؟ . . طبعًا الحرق والنهب والتقتيل . . أما عندما تستولي على بلدة . . عندما تدخلها ظافرة بعد معركة غير عادلة بين مجرمين مسلحين عتاة وبين سكان آمنين ، فإنها تنصب نفسها حكومة على تلك البلدة المغلوبة على أمرها ، ويلبس رئيس العصابة ثوب الحاكم بأمره ، ويبيحها لأعوانه ، بكل ما فيها من أموال وممتلكات وأعراض وأرواح ، ردحًا من الزمن يقصر أو يطول ، حتى تخف نشوة النصر ، ويبشم المجرمون ، مما اغتصبوا من عذارى ، وشربوا من دماء ، ويأخذ كل رؤساء البلدة عقلاءها وأهل الحل والعقد فيها وكل رجل يتوجس منه خطراً حتى لو كان هذا الخطر مجرد ظنون .

مجرم يتوقع الخطر من كل إنسان حتى من أقرب المقربين إليه ، ويخاف من كل شيء ذا حركة حتى ولو كان ظله . . أجل يأخذهم جميعًا ، ويذبحهم عن آخرهم . . ثم يبدأ في تطبيق نظام حكومته الجديدة .

يأخذ بعض أبناء البلدة رهائن آدمية يضمن بها ولاء آبائهم ، والأب مهدد في حياة ولده إن هو حدثته نفسه بما لا يرضى عنه « الزعيم » فيتنازل المسكين عن كل ما فوقه وما تحته محافظة منه على فلذة كبده . ويذهب أعوان الزعيم إلى المواطن يطالبونه بتسديد الضريبة التي يكون قد فرضها الزعيم مضافًا إليه أجرة أتعابهم وتحملهم مشاق الوصول إليه لتبليغه الأمر . . يفرضونها كما يريدون ، فإذا تظلم بحجة أن المبلغ أكبر من أن يستطيع سداده ركلوه إلى الشارع واقتحموا داره ، ونهبوا كل ما يستطيعون حمله ، وكسروا وأتلفوا كل ما لا يستطيعون حمله ، فإذا اعترضه المواطن أسكته أحدهم برصاصة أو بطعنة . وقد يرأفون به فيكتفون بإرساله إلى السجن ، حتى يبت « الزعيم » في أمره . . !

وفي حكم العصابة تتحول المدارس إلى سجون ، لأن العلم هو عدو العصابة

الأول، فلن تقدر أن تحافظ على مركزها إلا إذا خيم الجهل والخوف والمرض والفاقة، وفي هذا الجو تستطيع العصابة، أن تثير السكان بعضهم على بعض، فتقرب بعضًا وتشرد بعضًا، ثم تشرد المقرب، وتقرب المشرد، وتنشر العداء بين المواطنين وتبث الفرقة وتشجع الفساد، وتبذر الأحقاد والضغائن. . تنشر كل رذيلة وتغذيها بقدر ما تستطيع حتى ينشغل الناس بأنفسهم عن التطلع إلى من يحكمهم، ومن هو السبب في كل البلاء الذي حل بهم، فتظل العصابة فوق الكل مسيطرة على الجميع، وتطمئن على مركزها.

وفي حكم العصابة ليس لأي مسكن من مساكن المواطنين حرمة، فلأي فرد من أعوان الزعيم أن يقتحم أي بيت من بيوت المواطنين في أي ساعة من ساعات النهار أو الليل ليغتصب أو ينهب كما يريد.

وفي حكم العصابة ليس للحرية الشخصية ولا لحياة الإنسان ضمانة، سوى مزاج رئيس العصابة، وأمزجة أعوانه، فلا قانون، ولا قضاء، ولا نيابة، ولا دفاع، ولا محاكم، لا شيء سوى المزاج الشخصي لصاحب الأمر. . فبكلمة بسيطة يزج بالمواطن في السجن ليقضي فيه بقية حياته. . وبكلمة بسيطة يساق المواطن إلى الجلاد ليفصل رأسه عن جسده في ساحة عامة، وعلى مرأى من كل المواطنين ومسمع.

أما من فكر في توجيه كلمة نصح إلى الحكومة، فإنه لا يكتفي بفصل رأسه عن جسده بعد تعذيبه بالجلد والكي والبصق على وجهه، وطليه بالقطران والزفت. . كل هذه الألوان من العذاب. . تجرى دائمًا في الساحات العامة أمام المواطنين، لا يكتفي بفصل رأسه عن جسده بعد كل ذلك التعذيب والتعزير، بل ترمى جثته إلى الكلاب لتأكلها، وتعلق رأسه على عمود في ساحة عامة حتى يغامر بحياته «لص جريء شريف» لاختطافها عن أعين السكان المرعوبين المروعين.

عندما تحكم عصابة في بلد، تمنع عن ساكنيه الحياة التي وهبها الله لهم، وتتعاون مع الجوع والأمراض، والأوبئة الفتاكة في حرب إبادة على المحكومين حتى لا تبقي ولا تذر. . تتعاون مع عزرائيل الذي ينشط في عهدها على إفناء كل ذي كبد حرى، وكأن هدفها الأوحد هو إعدام الحياة.

وفي عهد العصابة يضطر إلى الفرار من يقدر على الفرار . . يضطر السكان أن يتركوا الأرض لمن يحكمها . . يضطرون إلى مغادرة بلادهم لينجوا بجلودهم، ويهيمون على وجوههم باحثين عن بلاد لا تحكمها عصابات .

ولكن ما كل من فر ونجا بجلده بسعيد . . فقد تلاحقه لعنة العصابة إلى مهجره، فإذا كان لا تزال له عائلة أو أقرباء عاجزين عن الفرار فاضطروا إلى البقاء في أرضهم مرغمين، راضخين لحكم العصابة . . فقد لحقته إلى مهجره لعنة العصابة، إذ هو مهدد في حياة أولئك العاجزين الذين يعزهم، ومهدد في داره أن تهدم على رؤوسهم حتى لا يبقى حجر على حجر، أن لم يعلن ولاءه وخضوعه ويذعن ويطيع وهو في مهجره البعيد .

إذن، لا بد لذلك المشرد التعس أن يكد ويتعب ويشقى ويجمع ما يقدر على جمعه من دريهمات قليلة بالعرق والأعصاب والدموع، ويحرم نفسه حتى من القوت الضروري ليرسل ما تجمع لديه إلى وطنه المنهوب البعيد، إلى العصابة تسديداً لما تفرضه من ضرائب .

هكذا تحكم العصابة بلداً . . فهل يستطيع أحد أن يقول أي عصابة في التاريخ تستطيع أن تعمل أكثر مما ذكرت؟

وبعد، فإني ـ وأنا أكتب ـ لم أجهد فكري، وأتعب خيالي بحثًا عن عصابة تاريخية لأصفها، بل ـ ويعلم الله ـ أمام عيني تاريخ حالك السواد، حافل للأربع والخمسين سنة الأخيرة من حياة اليمن في القرن العشرين . . وما كل هذا إلا نقطة من بحر من ذلك التاريخ .

إن حادثة واحدة مما يحتويه هذا المقال لم أختلقها، بل حدثت فعلاً في اليمن خلال الوضع الراهن، وما زالت تحدث حتى هذه اللحظة .

حتى ما كتبته عن طبيعة العصابة أو « لائحتها الداخلية » فقد حدث فعلاً بين ثلاثة عشر أخ في الأسرة الحاكمة . . كل واحد منهم يرشح نفسه ليكون إمامًا، وكل واحد منهم يعتقد في نفسه أنه أحق من أخيه، وأجدر بتزعم العصابة . . وقد قتل منهم في سبيل ذلك أربعة، ومات بالسم ثلاثة، ونفي اثنان . . ! كما أن كل ما ذكرته

عن استباحة المدينة حدث فعلاً في صنعاء سنة 1948م، عندما أعلن الإمام أحمد أن كل ما في صنعاء مباح، فأحرقت ونهبت واغتصبت نساؤها، ولا تزال هذه المدينة الصابرة تعاني من المأساة حتى اليوم. . كما أشعلت العصابة النار في الحديدة سنة 1955م.

إنني لم أحص ـ كما قلت سابقًا ـ كل الجرائم التي ارتكبت ضد اليمن منذ أن سيطرت عليها هذه الحكومة المتوكلية الناصرية. . وليس في مقدور أي عالم في الأرض أن يحصيها، ولكنني فقط أردت أن أورد بعض الأدلة لذوي القلوب الطيبة، الذين قد يظنونني متجنيًا في قولي « العصابة التي تحكم اليمن ».

دمشق ــ يحيى حمود جغمان

خذوها كلمة..

يا يمنيون، خذوها كلمة، لا تحلموا، ولا تستسلموا للأوهام، لا تتخيلوا، أن مشكلتكم في اليمن، ولن تحل إلا في اليمن، بأيديكم أنتم. . لا تستغيثوا بالعرب، لا تستصرخوا ضمير الدنيا، لا تملئوا الدنيا صراخًا ونياحًا، العرب غارقون في المشاكل، والدنيا تسير غير عابئة بالواقفين، والعرب يعطفون عليكم، ولكنهم لن يعملوا من أجلكم شيئًا، القومية العربية تهيب بكم أن تسرعوا في حل مشاكلكم حتى تساهموا في بنائها وتدعيمها، والدنيا تريدكم أن تسيروا معها، ولكنها لن تسحبكم سحبًا.

يا يمنيون، لا تنتظروا الشباب حتى يتعلم، فسيطول بكم الانتظار، لا تنتظروا ما يأتي به الخارج فمن بالخارج ينتظرون مثلكم.

يا قبائل اليمن ويا عساكره، يا أبناء تهامة، ويا سكان المدن، يا شباب اليمن ورجاله وكهوله، أنتم جميعًا أينما كنتم تملكون أن تغيروا أوضاعكم، أنتم وحدكم الذين تستطيعون أن تفعلوا شيئًا.

العساكر سيبقون كما هم حفاة عراة، القبائل سيبقون كما هم يدفعون ويدفعون حتى ينتهي ما فوقهم وما تحتهم، البيوت ستبقى كما هي مفتوحة للخطاط والتنافيذ، الأبناء أبناؤكم جميعًا يأهل اليمن سيظلون يتسكعون في الشوارع ويجرون وراء البهائم بلا مدارس ولا تعليم، المدن ستبقى هكذا مظلمة مهددة فقيرة.

القرى ستبقى هكذا خاوية خالية، التجارة ستبقى كما هي حكرًا على تاجر أو تجار، ستظلون وسيظل الجوع والفقر والظلام في بيوتكم، سيظل الواحد منكم يرى أطفاله يموتون ونساءه يحتضرن دون أن يستطيع فعل شيء.

ستبقى القيود في الأقدام . . والسياط على الظهور . . والرشوة تؤخذ من جيوبكم أخذًا، وسيظل أبناؤكم ينتزعون من بيوتكم انتزاعًا؛ رهنًا وضمانًا لخضوعكم وذلكم وولائكم .

يا يمنيون، خذوها كلمة، ستظلون أتعس أهل الأرض، ستبقون أفقر سكان الدنيا، سيبقى الظلام في بيوتكم ومدنكم وقراكم، ستبقى الجراح والدموع . . سيبقى جيشكم أضعف الجيوش . . سيبقى شعبكم أجهل الشعوب . بلادكم السعيدة . . الغنية الخضراء ستبقى عارًا في جبين الإنسانية .

لماذا أنتم هكذا ؟ . . لماذا ؟ . . هل أنتم أغبياء ؟ . . هل أنتم لا تصلحون للحياة؟ . . هل بلادكم فقيرة ؟ . . يا رجال . . بلادكم أجمل بلد . . أرضكم أغنى أرض . . رجالكم أشجع الرجال . . ماضيكم ناصع مشرق . . تاريخكم حافل زاهر .

يا رجال أين أنتم ؟ . . في بلادكم نشأت أعرق الحضارات . . أجدادكم هم الذين أخرجوا للدنيا أقدم حضاراتها ومدنياتها . . أجدادكم هم رجال سبأ ومعين وحمير . . هم الذين شادوا سد مأرب وأقاموا قصر غمدان أول ناطحة سحاب في العالم .

يا رجال . . إن جيوش الإسلام الفاتحة كانت منكم . . إن قادة العرب المنتصرين آباؤكم .

يا رجال . . كانت الدنيا تسمى بلادكم . . العربية السعيدة، واليمن الخضراء . . واليوم يسخر الناس منكم ويبتسمون عندما يذكر اسم بلادكم .

إن كنتم قد زهدتم في الحياة . . وآثرتم هذا الهوان وهذه الضعة . . فاعملوا من أجل أجدادكم الذين يتحرقون حزنًا في قبورهم لأنكم أضعتم مجدهم، اعملوا من أجل أولادكم . . من أجل أحفادكم حتى لا يشعرون بالهوان . . ويكونون عبيدًا لأبناء البلاد الأخرى .

يا رجال . . أنقذوا شرف أجدادكم . . وخلّفوا شيئًا لأولادكم .

قسمًا..

اعلمي يا يمن . . أن الشباب لن يدعك فريسة للرجعيين والجبناء . .
أنت أرضنا الطيبة . .
أنت العربية السعيدة . .
أنت الخضراء الغنية . .
قسمًا بحبات رمالك يا تهامة . .
قسمًا بكل وريقة خضراء يا جبالنا الشاهقة . .
قسمًا بتراثك الخالد يا مأرب . .
قسمًا بكل قطرة من مياهك الغزيرة يا سد مأرب . .
قسمًا بالمجد، مجد سبأ ومعين وحمير . .
قسمًا يا بلقيس . .
قسمًا بالعرب . . وبأمجاد العرب وبطولات العرب
وبتاريخ العرب . .
لنحررنك يا يمن . .
يا منبع العرب . .

المحتويات

رقم الإيداع ٩٠٩٠/٩٩
الترقيم الدولى 2 - 0554 - 09 - 977

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ـ٨١٧٢١٣ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)